مايكل لورانس

تقديم توماس آر. شراينر

9Marks Online PDF

اللاهوتُ الكتابيُّ
في حياة الكنيسة

دليلٌ للخدمة

مايكل لورانس

تقديم توماس آر. شراينر

9Marks Online PDF

Biblical Theology in the Life of the Church: A Guide for Ministry
Copyright © 2010 by Michael Lawrence

Published by Crossway
a publishing ministry of Good News Publishers
Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.
This edition published by arrangement.
with Crossway.

All rights reserved.

الطبعة العربيَّة الأولى ٢٠٢٣م

الكتاب: اللاهوتُ الكتابيُّ في حياة الكنيسة- دليلٌ للخدمة

المؤلِّف: مايكل لورانس
الناشر: خدمة النشر المعمدانيَّة الأردنيّة
الترجمة: واثق حدادين
التحرير والتدقيق اللغويّ: شادي معايعة

البريد الإلكتروني: info@Jordanbaptist.org
الترقيم الدولي: 979-8-9870148-2-0

يُطلب هذا الكتاب من المكتبة المعمدانيَّة الأردنيَّة
لطلب الكتاب يمكنكم مراسلتنا عبر البريد الإلكترونيِّ التالي:
bookshop@jordanbaptist.org

9Marks Online PDF

الإهداء

في ذكرى ميريديث كلاين

(١٩٢٢- ٢٠٠٧م)

وأهديه إلى

سكوت هافمان، وغوردون هوغنبرغر،

وريك لينتس، وديفيد ولز

أساتذتي

الذين علَّموني ليس فقط أن أحبَّ اللاهوت،

.بل أيضًا أن أحبَّ الكنيسة

9Marks Online PDF

جدول المحتويات

التقديم ٧

التمهيد ٩

شكرٌ وعرفان ١٩

المقدِّمة: النصُّ المرادُ اختباره ٢١

القسم الأوَّل: الأدوات التي نحتاج إليها

الفصل الأوَّل: الأدوات التفسيريَّة: الأسلوب النحويُّ التاريخيّ ٣٩

الفصل الثاني : أدوات اللاهوت الكتابيِّ ١ : العهود والحِقَب والأسفار المقدَّسة ٦١

الفصل الثالث: أدوات اللاهوت الكتابيِّ ٢ : النبوَّة والرمز والاستمراريَّة ٨١

الفصل الرابع: اللاهوت الكتابيُّ والنظاميّ: هل نحتاجُ حقًّا إلى كلَيهما؟ ١٠١

الفصل الخامس: أدوات اللاهوت النظاميّ: كيف نفكِّر لاهوتيًّا ولماذا ١١٩

القسم الثاني: القصص التي يجب سردُها

الفصل السادس: قصَّة الخلق ١٣٩

الفصل السابع: قصَّة السقوط ١٥٧

الفصل الثامن: قصَّةُ المحبَّة ١٧٣

9Marks Online PDF

الفصل التاسع: قصَّة الذبيحة ١٨٩

الفصل العاشر: قصَّة الوعد ٢٠٥

القسم الثالث: وضعُ الأمور معًا من أجل الكنيسة

الفصل الحادي عشر: الوعظ والتعليم (دراسات حالة) ٢٢١

الفصل الثاني عشر: اللاهوت الكتابيُّ والكنيسة المحلِّيَّة ٢٤٥

الخاتمة ٢٦٣

قراءاتٌ إضافيَّةٌ باللغة الإنجليزيَّة ٢٦٧

9Marks Online PDF

التقديم

لا أعرف شيئًا عن إصلاح السيَّارات، وسبق أن حاولتُ إصلاحَ سيَّارتي بمفردي بضعَ مرَّات عندما كنتُ أصغر سنًّا، وكان وضعي الماليُّ محدودًا.

طلبتُ بعض النصائح، وانطلقتُ في محاولات الإصلاح. ومِن غير المُستغرَب أنَّ النتائج كانت كارثيَّة، إذ كان يقعُ دائمًا أمرٌ غير متوقَّع، وكنتُ أعلَقُ في ذلك الوضع البائس. كانت المشكلة أنَّ معرفتي بالسيَّارات محدودةٌ، وافتقرتُ إلى المنظور الأوسع اللازم لإصلاحها.

ونواجه، نحن القساوسةَ، في أحيانٍ كثيرةٍ المشكلة ذاتها التي علقتُ فيها في أثناء محاوَلةِ إصلاح سيَّارتي. إنَّنا نرغب في مساعدة الناس على حلِّ مشكلاتهم، لكنَّنا نفتقر إلى الإطار الأوسع الذي نحتاج إليه لمساعدتهم فعليًّا. وإذا فشلنا في فَهْمِ الكتاب المقدَّس، فإنَّ الأمر قد ينتهي بضررٍ أكثر من النَّفع. إنَّ دعوتنا الأساسيَّة، نحن القساوسة، هي رعاية أفراد رعيَّتنا، لكنْ كيف يمكننا تحقيق دعوتنا إذا لم نمتلك اطِّلاعًا واسعًا على الكتاب المقدَّس كلِّه، وكنَّا لا نعرف كيفيَّة وضعِ أجزائه معًا؟ كيف يسعنا أن نُسدي إلى آخرين نصيحةً روحيَّةً حكيمةً إذا كنَّا نجهل كلَّ مشورة الله (أعمال ٢٠: ٢٧)؟ في ١كورنثوس الأصحاحات ١ – ٤، نكتشف أنَّ كنيسة كورِنثوس كانت منقسمة ما بين بولس وأبلُّوس وصفا (بطرس)، وحتَّى المسيح. يبدو أنَّهم لاحظوا فعَّاليَّة بولس وأبلُّوس بناءً على قدراتهما الخطابيَّة. ورفع بعضهم أبلُّوس على بولس؛ لأنَّهم اعتقدوا أنَّه كان أكثر فعَّاليَّةً من الناحية البلاغيَّة، وربَّما كانت حُجَّتهم أنَّ الروح القدس كان يعمل عملًا أقوى في أبلُّوس. ماذا كنتَ لتقولَ لأهل كورِنثوس لو كنت راعيَهم؟ أعتقد أنَّ كثيرين منَّا سيقولون ببساطة: "أوقِفوا الانقسامات. أظهِروا محبَّتكم، أيُّها

9Marks Online PDF

المؤمنون بالمسيح، وكونوا متَّحدين في بشارة الإنجيل. يا لحماقتكم إذ تنقسمون حول المتكلِّم الأكثر فعَّاليَّة من الناحية البلاغيَّة". لكنْ عندما يواجه بولس الرسول المشكلة، فإنَّه يبحث بحثًا أعمق ويتأمَّل في المسألة لاهوتيًّا. يحاجُّ بأنَّ انقساماتهم تعكسُ سوءَ فهمٍ أساسيًّا لصليب المسيح. فلو فهموا حقًّا رسالة المسيح المصلوب، لَمَا وقعوا فريسةً لمثل هذا المنظورِ العَلمانيِّ. وحيث إنَّهم كانوا مفتونين بقدرة بولس وأبلُّوس على الخطابة؛ وكانوا يتباهَون بهما، كانوا ينكرون الحقيقة الأساسيَّة للصليب: أنَّ الله يخلِّص الخطاة. كان افتخارهم في بولس وأبلُّوس قِناعًا لكبريائهم.

ويمكننا أن نستمرَّ في التفكير في ردِّ بولس على أهل كورنثوس. غير أنَّ منظوري أنا في طَرْحِ هذه المسألة هو ببساطة: كم منَّا يفكِّر لاهوتيًّا لدى مواجهة مثل هذه المسألة، ويفشل في فهمِ الصليب؟

إنَّنا جميعًا نحتاج إلى تعليمٍ لنعرفَ كيفيَّة التفكير من منظورٍ لاهوتيّ. لذا كم هو مفرحٌ قراءة هذا الكتاب لمؤلِّفه مايكل لورانس! الدكتور لورانس هو راعٍ عريق، وحكمته الراعويَّة تشعُّ بجَلاءٍ من هذه الصفحات. أفضل لاهوتٍ في تاريخ الكنيسة كان دائمًا ذاك الذي يكتبُه قساوسةٌ رعاة. ومن الأمثلة على ذلك، أغسطينوس ومارتن لوثر وجون كالفن وجوناثان إدواردز وتشارلز سبيرجن ولويد جونز. يقدِّم القسُّ لورانس مدخلًا واضحًا مفيدًا جدًّا في اللاهوت الكتابيّ، بحيث نرى أهمِّيَّة العهود والشريعة، النبوَّة والرموز، الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع). علاوة على ذلك، نحن نتعامل مع رَسْمٍ توضيحيٍّ لِلاهوتٍ كتابيٍّ من الخلق إلى التحقيق النهائيّ، حيث يشرح بعض المسارات الحيويَّة الأساسيَّة لقصَّة الكتاب المقدَّس. ورغم أنَّ هذا الكتاب ليس كبيرًا جدًّا، فهو حافلٌ بالحكمة، وينظرُ دائمًا إلى نَفْعِ اللاهوت الكتابيِّ للكنيسة والخدمة الراعويَّة. ويتناول الفصلان الأخيران من الكتاب علاقة اللاهوت الكتابيِّ بالوعظ والتعليم، وعلاقته بالكنيسة المحلِّيَّة، لذا فهما وحدَهما يستحقَّان أن يُدفَع فيهما ما دُفِع ثمنًا للكتاب كلِّه. لقد تعلَّمتُ وتشجَّعتُ من قراءة هذا الكتاب. وأتذكَّرُ الكلمات التي سمعها أغسطينوس عندما كان في الحديقة قبل إيمانه بالمسيح: "خذْ واقرأ".

توماس آر. شراينر
أستاذ تفسير العهد الجديد في جيمس بوكانان هاريسون،
كلِّيَّة اللاهوتيَّة المعمدانيَّة الجنوبيَّة؛ قسٌّ واعظ،
في كنيسة كليفتون المعمدانيَّة

9Marks Online PDF

التمهيد

هذا كتابٌ للَّذين يتمتَّعون بشغف تُجاهَ الخدمة في الكنيسة المحلِّيَّة. إنَّه ليس كتابًا للَّاهوتيِّين والأكاديميِّين (مع أنِّي آمل أن تقرأه كلتا المجموعتَين ويعجبَهما). إنَّه كتابٌ للقساوسة وقادة الكنيسة الذين لا يستطيعون حتَّى تذكُّرَ آخر مرَّةٍ أَجْرَوا فيها مناقشة باستخدام مصطلحاتٍ أكاديميَّةٍ مثل "التوافقيَّة" (Compatibilism) أو "العدالة الإلهيَّة" (Theodicy)، لكنَّ عليهم كلَّ أسبوعٍ مساعدةَ شخصٍ ما على فهمِ سببِ وجوبِ الصلاة ما دام الله كلِّيَّ العلم، ويعرف بالفعل كلَّ شيء (قبل أن نطلبَه)، أو فهمِ سببِ عدمِ سماح الله لسيِّدةٍ بالإنجاب، أو لشخصٍ ما بالعثور على عمل. بكلماتٍ أُخرى، هذا الكتابُ هو لأشخاصٍ مثلي.

إنَّه لأشخاص مثل أحد شيوخ الكنيسة الذي كان يتناول الغداء منذ وقتٍ قريبٍ في مطعم برغر مع أحد أصدقائه. كان هذا الصديق قد فقدَ وظيفته إبَّان أزمةٍ اقتصاديَّة، وتعطَّلتْ سيَّارته قبل بضعة أيَّام. والآن كان ينظر إلى حساب التوفير الذي كان يتضاءل شيئًا فشيئًا وصولًا إلى الإفلاس.

وفي تلك الأوقات، كان يستمع إلى الوعَّاظ على شاشة التلفاز، وكانوا قد وعدوا بأنَّ الله سيوفِّر بركاتٍ مادِّيَّةً اليوم، فقط إذا تمتَّعَ بالإيمان. قال الصديق ساخرًا: "كما في سفر التثنية، حيث يقول الله إنَّه سيبارك بيوتنا وحقولنا فقط إذا سمعنا صوتَه واتَّبعنا وصاياه".

كيف كان على صديقي شيخ الكنيسة أن يتجاوَبَ؟ هل يَعِدُ سفرُ التثنية المسيحيِّين اليوم بأنَّنا سنكون مباركين في المدينة، ومباركين في الحقل؟ مباركين في دخولنا، ومباركين في خروجنا؟ إذا كان في متناولك كتابٌ مقدَّس، فانظُرْ إلى الأعداد القليلة الأولى من الأصحاح ٢٨ من سفر التثنية.

9Marks Online PDF

سترى أنَّه يَعِدُ بالتأكيد بمثل هذه البركات لشعب العهد القديم. وليس الحديث في هذا المقطع بشأن بركات روحيَّةٍ غير ملموسة، بل عَنَتِ البركات التي وعد بها الله حظائرَ ملآنةً وأرحامًا مثمرة، كما تضمَّنت مدحًا من الأمم المحيطة، وهيبةً من أعداء الأمَّة، ويعني هذا أفضلَ حياةٍ يمكن تصوُّرها اليوم.

هل تنطبقُ هذه الوعود على المؤمنين بالمسيح اليوم؟ هل يمكن أن يتوقَّع المؤمنون الذين فقدوا وظائفَهم أنَّ الله سيوفِّر لهم سريعًا عملًا فقط متى تمكَّنوا من حَشْدِ ما يكفي من الإيمان؟ ماذا عن الزوجَين المصابَين بالعُقم اللَّذَين يتشوَّقان لأنْ يُرزَقا طفلًا؟ أيجب أن نقول لهما: "عليكما فقط أن تؤمِنا، والله سوف يعطيكما الطفل الذي تتشوَّقان إليه"؟ أم أنَّ البركات التي وعد الله بها الشعبَ القديم هي مجرَّدُ ظلٍّ لوعد الأبديَّةِ الذي هو للمؤمنين ببشارة الإنجيل؟

تؤثِّر الإجابة عن هذه الأسئلة تأثيرًا مباشرًا في الكيفيَّة التي سيخدمُ بها شيخ الكنيسة صديقه الذي لا يجد عملًا. إنَّه يؤثِّر في الطريقة التي يجب أن نخدم بها نحن الناس من حولنا.

لن أخبركم الآن بما قاله شيخ الكنيسة لصديقه (سنعود إلى هذه القصَّة في نهاية الكتاب). غير أنَّ هذه القصَّة توضح الفرضيَّةَ التي ينطلق منها هذا الكتاب: يحدِّدُ لاهوتنا شكلَ خدمتنا وسِماتها. اللاهوت هو الكيفيَّة التي ننتقل بها من نصِّ الكتاب المقدَّس إلى الكيفيَّة التي ينبغي أن نعيش بها حياتَنا اليوم.

الأهمِّيَّة الحاسمة للّاهوت الكتابيّ

هذا كتابٌ لاهوتيٌّ بامتياز، لكنَّه في الواقع كتابٌ عن الخدمة؛ لأنَّني مقتنعٌ بأنَّ علينا أن نمارسَ لاهوتنا ممارسةً حَسَنة أوَّلًا إذا أرَدْنا أن يكون لخدمتنا تأثيرٌ دائم، وأن تكون كنائسنا صحيحة، أي تتمتَّع بصحَّة جيِّدة. سيتناول هذا الكتاب كيفيَّة ممارسة اللاهوت الذي سيساعدنا بدَوره على القيام بأمورٍ عمليَّة، وأعني بهذا الخدمة الراعويَّة. ليس ذلك فحسب، بل آمل أن أتناولَ ممارسةَ اللاهوت عمليًّا، ليتسنَّى لك أن تعرفَ كيفيَّة أداء ذلك بنفسك.

9Marks Online PDF

ربَّما تكون قد لاحظت أنَّ هذا الكتاب ينتمي إلى "سلسلة العلامات التسع" (9Marks Series). و"العلامات التسع" هي خدمةٌ مكرَّسة لإعداد الكنائس المحلِّيَّة والرعاة، وتحملُ هذا الاسم من كتاب مارك ديفير "العلامات التسع للكنيسة الصحيحة" (Nine Marks of a Healthy Church). والعلامة الثانية للكنيسة الصحيحة، على حدِّ قَول ديفير، هي اللاهوت الكتابيّ.[1] وما يعنيه ديفير بمصطلح "اللاهوت الكتابيّ" هو اللاهوت المؤسَّس على الكتاب المقدَّس، أو اللاهوت الصحيح.

يشير ديفير إلى أنَّ كلمة "صحيح" تعني موثوقًا دقيقًا صادقًا.[2] وهي الكلمة ذاتها التي يستخدمها بولس الرسول مِرارًا وتَكرارًا مع تلميذَيه تيموثاوس وتيطس لوصف عقيدتهما وتعليمهما. والعقيدة الصحيحة تقاومُ الفجور والخطيَّة (١تيموثاوس ١: ١٠- ١١)، والتعليم الصحيح يقاومُ العقيدة الكاذبة (١تيموثاوس ٦: ٣). إنَّ التعليم الصحيح هو النمطُ الذي رآه تيموثاوس في بولس الرسول (٢تيموثاوس ١: ١٣). سوف تَرفُضُ بعض الكنائس العقيدة الصحيحة، حيث ستفضِّل سماع ما يداعبُ آذانهم (٢تيموثاوس ٤: ٣- انظر ترجمة كتاب الحياة). ومن جديد، ستشجِّع العقيدة الصحيحة مَن يتمسَّكون بقوَّةٍ بالرسالة الصادقة، وستوبِّخُ المناقِضين (تيطس ١: ٩). يقول بولس الرسول مِرارًا وتَكرارًا لهذين التلميذَين (تيموثاوس وتيطس) أنْ يتكلَّما "بما يليق بالتعليم الصحيح" (تيطس ٢: ١). وهكذا فالعقيدة الصحيحة، أو اللاهوت الذي بحسب الكتاب المقدَّس، هو جزءٌ مهمٌّ ممَّا أريد أن أتحدَّثَ بشأنه في هذا الكتاب. ويُكرَّسُ الفصلان الرابع والخامس لهذا الموضوع، ويسعى الجزء المتبقِّي من الكتاب إلى التطبيق العمليّ.

غير أنَّ ما أريدُ أن أتناولَه ليس فقط اللاهوت الصحيح عمومًا، بل أريد أيضًا أن أتحدَّثَ خصوصًا بشأن اللاهوت الكتابيِّ تحديدًا. وبهذا المعنى، فإنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ يدور حول قراءة الكتاب المقدَّس، ليس كما لو كان ستَّة وستِّين سِفرًا منفصلًا، بل بوصفه كتابًا واحدًا بحَبْكٍ واحد- مجد الله الظاهر بواسطة يسوع المسيح. وهكذا فإنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ يدور حول اكتشافِ وَحدة الكتاب المقدَّس في خضمِّ تنوُّعه. ويتعلَّق الأمر بفهم ما يمكن أن يُسمَّى "القصَّة الشاملة"

1) Mark Dever, Nine Marks of a Healthy Church, new exp. ed. (Wheaton, IL: Crossway, 2004), Ch. 2.

2) Mark Dever, What is a Healthy Church? (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 70.

9Marks Online PDF

(metanarrative) للكتاب المقدَّس. وبهذا المعنى، فإنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ بوصفه تخصُّصًا، موجودٌ منذ قرنَين بصورةٍ أو بأُخرى. ومنذ عهدٍ قريب، بات يحظى بشعبيَّةٍ خاصَّة ما بين الإنجيليِّين. وسأصف كيف نفعل ذلك في الفصلَين ٢ و٣، ثمَّ سأعرِّفه بعنايةٍ أكبر في الفصل ٤.

أمَّا الآن، فأريد في البداية أن أوضِّحَ أنَّ أكثرَ أمرٍ عمليٍّ يمكننا القيام به، وأهمُّ أداةٍ نحتاج إليها في الخدمة، هو اللاهوت الكتابيّ. وأعني ما قلتُه حرفيًّا. وتعلُّم كيفيَّةِ تطبيق اللاهوت الكتابيِّ ليس مجرَّدَ ممارسةٍ أكاديميَّة، بل هو أمرٌ حيويٌّ لعملك بوصفك راعيَ الكنيسة أو قائدَها. إنَّه يشكِّل وعظَك وأسلوبك في المشورة، وكرازتك، وقدرتك على المشاركة بحكمةٍ في الثقافة، وأكثر من ذلك بعدُ. لن تكونَ لاهوتيًّا متمكِّنًا، ما يعني أنَّك لن تكون راعيًا جيِّدًا، إذا لم تتعلَّمْ كيفيَّة ممارسة اللاهوت الكتابيّ.

تعني قراءة الكتاب المقدَّس تعلُّم كيفيَّة استخدام أدوات اللاهوت الكتابيّ، بالمعنى الضيِّق للكلمة. ويعني تطبيق الكتاب المقدَّس تعلُّمَ كيفيَّةِ استخدام أدوات اللاهوت النظاميّ. ويُستغرَب أنَّ مجالَيْ دراسةٍ لاهوتيَّين، هما اللاهوت الكتابيُّ واللاهوت النظاميّ، غالبًا ما يتحاجَجان بعضهما في مواجهة بعض. غير أنَّ الكنيسة وراعيها يحتاجان إلى مجالَي الدراسة كلَيهما. وهكذا سننظر هنا في كيفيَّة ممارسة اللاهوت الكتابيّ، حتَّى نكون لاهوتيِّين نظاميِّين أفضل، ونصيرَ رعاةً أفضل.

ما يعنيه كلُّ هذا هو أنَّك تحمل بين يدَيك كتابًا يعالجُ "كيفيَّة تناوُلِ الأمر". وسيساعدك تعلُّمُ كيفيَّة ممارَسةِ اللاهوت الكتابيِّ على تعلُّم كيفيَّة ممارَسة الخدمة الراعويَّة على نحوٍ أفضل. أو إذا لم تكن راعيَ كنيسة، فسوف يساعدك ذلك على تعلُّم كيفيَّة التعليم والتلمذة وتقديم المشورة للمؤمنين بصورةٍ أفضل. وهذا هو عملُ كلِّ مؤمنٍ بالمسيح. وبواسطة هذا الكتاب، سوف نفكِّر معًا في كيفيَّة قراءة الكتاب المقدَّس وتطبيقه من أجل الخدمة في الكنيسة. وسيتَّبع الكتاب ذلك المخطَّط الأساسيَّ- من اللاهوت الكتابيِّ إلى اللاهوت النظاميِّ، ثمَّ إلى الخدمة الراعويَّة. وأرى أنَّ هذا التقدُّم سيُترجَم إلى لاهوتٍ مفيدٍ حقًّا.

أدرك أنَّ وَصفيَ للَّاهوت بأنَّه مفيدٌ للخدمة، بل ضروريّ، هو تشديدٌ جريء. وأنا أصرِّح به لسببَين.

9Marks Online PDF

الخدمةُ هي لاهوتٌ عمليّ

أوَّلًا، إذا كنتَ راعيًا أو مشاركًا فاعلًا في الخدمة، فيجب أن تكون لاهوتيًّا. ولا يعني هذا أنَّ عليك أن تؤلِّفَ كتبًا لاهوتيَّة (مع أنَّ قراءتها قد تكونُ مفيدةً). كما لا يعني حتَّى أنَّ عليك أن تعرفَ كلَّ تفاصيلِ أيِّ جدلٍ لاهوتيٍّ يظهرُ على شاشة الرادار (مع أنَّك يجب أن تعرف كيفيَّة تمييز معلِّم كاذبٍ عندما تصادِفُ أحَدَهُم). بل إنَّ دورَك، بوصفك لاهوتيًّا، يعني:

- أنَّك علَّمتَ الكنيسة عن صلاح الله وسيادته، بحيث إذا شُخِّصَ طفلٌ بالسرطان، فسيكون الوالدان حزينَين، لكنْ دون أن يُتركا في مواجهة هذه الدوَّامة وحدَهما.
- أنَّك هيَّأتَ اليافعين قبل بلوغ الثامنةَ عشرةَ، أي قبل توجُّههم إلى الجامعات، بالأدوات اللازمة لمقاومة التوجُّهات النسبيَّة المتطرِّفة لأساتذتهم في الجامعة.
- أنَّك تعرف كيفيَّة مساعدةِ شخصٍ في كنيستك يكافح مع مفهوم معرفةِ الله للمستقبل أم لا؛ لأنَّ صهرَه من كنيسةٍ أُخرى جعلَه يقرأ كتابًا سيِّئًا يتناوَل مثلَ هذه المسألة.
- أنَّك ساعدْتَ زوجةً شابَّةً وأمًّا تكافح لتظهرَ بأقصى درجات الكمال، وتسعى إلى إسعاد الناس كي تجدَ أنَّ تبريرَها وقيمتها الحقيقيَّة تكمنُ في بشارة الإنجيل.
- أنَّك أعدَدْتَ المخطوبين لتحدِّيات الزواج بمشورة ما قبل الزواج التي تركِّزُ على خُطَّة الله لقداستِنا، وليس فقط لِلَحظات السعادة الآنيَّة.

لقد قلتُ منذ قليلٍ إنَّ كلَّ قسٍّ يجب أن يكون لاهوتيًّا. غير أنَّ التعبير الأدقَّ هو قَولُ إنَّ كلَّ قسٍّ هو لاهوتيّ، سواء أدرك ذلك أم لم يُدركْه. وسنتحدَّثُ أكثر بهذا الشأن في الفصل الخامس. لكنَّ كلَّ راعي كنيسةٍ (بل في الواقع كلَّ إنسان) يعتمد على مجموعةٍ من الافتراضات اللاهوتيَّة عند معالجةِ مواقِفَ كهذه. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل افتراضاتك صحيحةٌ سليمة؟ أهي كتابيَّة؟

اللاهوت الكتابيُّ إذًا هو مجالُ الدراسة الذي يساعدنا أن نكونَ أفضل اللاهوتيِّين، ومن ثَمَّ أفضل الخُدَّام. إنَّه الوسيلة التي تفهمُ بها نصوصًا مثل تثنية ٢٨، وصولًا إلى لاهوتِ بشارة

9Marks Online PDF

الإنجيل، وهو الوسيلة التي تنتقل بها من كلماتِ نصوص العهد القديم، إلى كيفيَّةِ تشجيعِ صديقٍ مؤمنٍ بالمسيح لا يجدُ عملًا.

نموذج الخدمة المتمركزة حول كلمة الله

السبب الثاني الذي يجعل اللاهوت مفيدًا للخدمة، بل حتَّى ضروريًّا، هو الآتي: تتمتَّع كلمة الله بقدرةٍ حقيقيَّةٍ على تغيير حياة الناس. وبوصفنا خدَّامًا، فإنَّ لنا مصلحةً أساسيَّةً في معرفة كيفيَّة فهمِ كلمة الله وتطبيقها تطبيقًا صحيحًا.

تكلَّم الله بواسطة كلمته المكتوبة. وفي هذه الكلمة، كشفَ الله عن ذاته، وكشف عمَّن نكون نحن، وبيَّن الكيفيَّة التي ينبغي أن تعيش بها البشريَّة عمومًا، ويعيش بحسبها شعبُه خصوصًا. ينالُ غير المؤمنين الخلاص، وينمو المؤمنون في النعمة بواسطة الوعظ والتعليم والمشورة والتحدُّث من كلمة الله التي تُطبَّق على أرض الواقع بعملِ الروح القدس. وغايتُنا في الخدمة، نحن القساوسة والمؤمنين، هي تقديم كلمة الله إلى الآخرين حتَّى يتسنَّى للكلمة أن تُنجِزَ عملَها فيهم. نمسك بكلمة الله عاليًا ونقول: "إليكم ما يقوله الله. يُرجى أن تسمعوا وتصغوا، فنحن مدعوُّون لقراءتها. أجل، ومدعوُّون إلى «تفسير المعنى» لسامعينا (نحميا ٨: ٨)".

لا يتَّفق الجميع مع هذا التشديد على كلمة الله. أتيحت لي الفرصة منذ وقتٍ قريب لأُسهِم في تأليف كتاب يتضمَّن "خمس وجهات نظر" حول العبادة، وقد شارك فيه كتَّابٌ مختلِفون، كلٌّ منهم في واحدةٍ من وجهات النظر الخمس حول العبادة الجماعيَّة في الكنيسة. ثمَّ أُتيحت لكلٍّ منَّا الفرصة للردِّ على الكتَّاب الآخرين بغيةَ إبرازِ مساحاتِ الاتِّفاق والاختلاف. في الفصل الذي شاركتُ في كتابته بمعيَّة مارك ديفير، أكَّدنا أهمِّيَّةَ كلمة الله في الاجتماعات الأسبوعيَّة للكنيسة. وكانت حُجَّتُنا، أنا ومارك، أنَّ كلَّ ما نقوله ونرنِّمه ونصلِّيه ونمارسه في اجتماعات كنيستنا، يجب أن يكون نابعًا من الكتاب المقدَّس.

وردًّا على الفصل الذي كتبناه، شعر أحَد المؤلِّفين المشاركين بأنَّنا بالَغْنا في التشديد على دَوْرِ كلمةِ الله. في الواقع، قال إنَّه لا يؤمن بأنَّ الأسلوبَ الكلاسيكيَّ "للوعظ بالكلمة" هو الوسيلة

9Marks Online PDF

الوحيدة (أو حتَّى الأساسيَّة) التي يُقبِلُ بها الناس إلى الإيمان وينمون فيه. وقال إنَّ النموَّ لا يحدثُ في المقام الأوَّل بالسَّمع، بل بالنظر: "مشاهدة الآخرين يعيشون إيمانهم يوميًّا هي الأداة الأساسيَّة للتَّغيير الحقيقيّ". كما قال إنَّ فكرةَ تغيُّر الناس بسماع الكلمة المنطوقة أو العظات، يجعل من الوعظ بالكلمة أمرًا "سحريًّا".[٣]

أنا على ثقة بأنَّ هذا الأخَ يقدِّر كلمة الله ويستخدمها في خدمته، وأنا بالتأكيد أشدِّدُ على أهمِّيَّة الشهادة الأمينة للكنيسة لدَعْمِ ما تقوله تلك الكنيسة. غير أنِّي أخشى أنَّه فوَّتَ ما يقوله الكتاب المقدَّس عن نفسه. يعلِّمنا الله أنَّ كلمتَه "تعمل" مسرَّته و"تنجح" في تحقيق غرضه (إشعياء ٥٥: ١١). فكلمته تدعو "الأشياءَ غَيرَ المَوْجودَةِ كأنَّها مَوْجودَةٌ" (رومية ٤: ١٧)، وهو أيضًا "حامِلٌ كُلَّ الأشياءِ بكلمةِ قدرته" (عبرانيِّين ١: ٣). وقد لخَّص مايكل هورتون هذا تلخيصًا جيِّدًا حينما قال إنَّ كلمة الله ليس فقط تنقلُ معلومات، بل هي تخلق الحياة حقًّا. إنَّها ليسَتْ مجرَّدَ أمرٍ وصفيّ، بل هي فعَّالةٌ أيضًا. فعندما يتكلَّم الله، يكون عاملًا فاعلًا.[٤]

وقد دافعَ الإنجيليُّون عن الطبيعة المقترَحة لكلمة الله في مواجهة الحداثيِّين والليبراليِّين الذين يقوِّضون مصداقيَّتها. لكنْ ماذا بشأن البراغماتيَّة في الفِناء الخلفيِّ للإنجيليِّين، والتي من شأنها أن تقوِّض كفاية كلمة الله؟ وعلاوةً على هذا التشديد على أنَّ كلمة الله هي المقدِّمة الأساس، هي أيضًا قويَّةٌ فعَّالة؛ لأنَّ روح الله يحمل كلمة الله لتعملَ تمامًا ما قصدَ لها أن تعملَه. كلُّ الخليقة "أُتقِنَتْ بكلِمَةِ الله" (عبرانيِّين ١١: ٣؛ مزمور ٣٣: ٦)، ونحن نصير خليقةً جديدة بواسطة هذا الأمر نفسه (رومية ١٠: ١٧؛ ٢كورنثوس ٤: ٦). لقد وُلِدْنا ثانيةً "بكلِمَةِ الله الحَيَّةِ الباقيَةِ إلَى الأبد" (١بطرس ١: ٢٣). لهذا يشير الرسل في حديثهم إلى الكنائس، إلى كلمة الله بأنَّها "الكلِمَةَ المَغروسةَ القادِرَةَ أنْ تُخَلِّصَ نُفوسكُمْ" (يعقوب ١: ٢١)؛ وبأنَّها كلمة الله "ثابِتَةٌ فيكُم" (١يوحنَّا ٢: ١٤)؛ وبأنَّها كلمة المسيح التي يجب أن تسكن "فيكم بغنًى" (كولوسِّي ٣: ١٦).[٥]

---

3) Dan Wilt, "Responses to Michael Lawrence and Mark Dever," in Perspectives on Christian Worship: 5 Views, J. Matthew Pinson, ed. (Nashville: B&H, 2009), 278.

4) Michael S. Horton, People and Place: A Covenant Ecclesiology (Louisville, KY: Westminster John Knox Press, 2008), 40.

٥) المرجع السابق نفسه، ٣٩- ٤٠.

9Marks Online PDF

باختصار، ينطلق نموذج الخدمة الذي أعتمِدُ عليه في هذا الكتاب بفهمٍ ثلاثيِّ الجوانب لكلمة الله. في الخليقة والخليقة الجديدة، نرى الآب يتحدَّث بواسطة الابن بقوَّة الروح القدس. وبهذا فإنَّ مهمَّتَنا الأساسيَّةَ في الخدمة هي الإشارة إلى الابن بواسطة كلمة الابن، والثقة بالروح القدس الذي إمَّا أن يقسِّي القلوب، وإمَّا أن يُليِّنها بحسب مسرَّته (مرقس ٤: ١- ٢٠). لذلك تكون الكنيسةُ المحلِّيَّةُ هي المكانَ الذي "تسكنُ" فيه كلمة الله (كولوسِّي ٣: ١٦)، أو حرفيًّا تُقيم هناك مسكنًا. لذلك نحن نزرع الكلمة ونسقيها، ونستمرُّ في ذلك، ونثق دائمًا بالله الذي ينمِّيها متى .شاء وكيفما شاء (١كورنثوس ٣: ٦)

ما علاقة كلِّ هذا باللاهوت الكتابيّ؟ يحدِّد اللاهوت الكتابيُّ الكيفيَّة التي بها نبدأ بمهمَّة قراءة الكلمة، والتحقُّق من أنَّ ما يُشكِّلُ حياةَ الناس هو كلمة الله وليس كلماتنا نحن. يُعدُّ اللاهوتُ الكتابيُّ الوسيلةَ التي نجلبُ بها الناس إلى قصَّةِ خُطَّة فداء الله المغيِّرة للحياة.

خُطَّةُ هذا الكتاب

تبدأ المقدِّمة بتحريك العجلة، وذلك بِطَرْح سؤالٍ عن ماهيَّة النصِّ الكتابيّ. إنَّ نصَّ الكتاب المقدَّس يختلف عن أيِّ نصٍّ آخَر، وسوف ننظر في طريقة هذا الاختلاف وسببه.

ثمَّ يُقدِّم الفصل الأوَّل بعض الأدوات الأساسيَّة للتفسير، وهي أدوات قد تكون مألوفةً لك.

ويستعرضُ الفصلان الثاني والثالث الأدوات الأساسيَّة للَّاهوت الكتابيّ. السؤال الأساسيُّ الذي لا بدَّ من الإجابة عنه هنا هو الآتي: كيف نتعامَل مع أجزاء الكتاب المقدَّس بوصفها وَحدةً واحدة؟

ويتناوَلُ الفصلان الرابع والخامس مقارنةَ اللاهوت الكتابيِّ باللاهوت النظاميّ، إضافةً إلى مناقشة تعريف اللاهوت النظاميِّ وكيفيَّة التفكير بأسلوبٍ لاهوتيّ.

ثمَّ سأتتبَّع في الفصول من السادس حتَّى العاشر خمسة موضوعاتٍ لاهوتيَّةٍ كتابيَّةٍ مختلفة، وسننظر في ما تعلِّمنا إيَّاه بشأن اللاهوت النظاميِّ المرتبطِ برعاية الكنيسة.

9Marks Online PDF

أمَّا الفصلان الحادي عشر والثاني عشر فهما الفصلان العمليَّان أكثر الكلّ؛ إذ يتضمَّن الفصل الحادي عشر دراساتِ حالة عدَّة عن الوعظ. وسأبدأ بنصٍّ ثمَّ أنظر إلى كيفيَّة الوعظ منه في ضَوء كلِّ ما تعلَّمناه عن اللاهوت الكتابيِّ والنظاميّ. ثمَّ يختتم الفصل الثاني عشر الكتاب بالنظر في أهمِّيَّة اللاهوت الكتابيِّ لمجالاتٍ أُخرى من الخدمة، بما في ذلك المشورة والإرساليَّات وغيرهما.

كيف تقرأ هذا الكتاب؟ سيجدُ بعضكم الفصول الأولى شاقَّةً؛ حيث إنَّنا سنتعامَلُ مع بعض المسائل التقنيَّة للأسلوب اللاهوتيّ. إذا بدا هذا أكثر ممَّا توقَّعتُم، فأودُّ أن أشجِّعكم على التعامل مع هذا الكتاب مثل كتيِّبات التعليمات التي تأتي مع أيِّ كمبيوتر جديد. يكون هناك دليلٌ سميكٌ يُخبركم بكلِّ ما قد تفكِّرون فيه. ثمَّ هناك دليلُ البدء السريع من صفحةٍ واحدةٍ لأولئك الذين يريدون فقط تشغيلَ الكمبيوتر والمُضِيَّ قُدُمًا.

إذا كان ما تبحث عنه هو دليلَ البدء السريع، فانتقلْ مباشرةً إلى الفصل السادس وابدأ القراءة من هناك. هذا هو المكان الذي يجري فيه تشغيل الكمبيوتر لتبدأ حياتُه؛ لأنَّ ذلك هو المكان الذي تراني أمارسُ فيه الأمور التي تناولَتْها الفصول الخمسة الأولى. في وقتٍ لاحق، عندما تكون مستعدًّا لأداء ذلك بنفسك، يمكنك العودة وإلقاء نظرة على الفصول السابقة.

أمرٌ واحدٌ لن يفعلَه هذا الكتاب: سردُ قصَّة الكتاب المقدَّس بالطريقة التي تفعلها معظم النصوصِ الأساسيَّة للَّاهوت الكتابيّ. كما أنَّ هذا الكتاب لن يطرحَ لاهوتًا نظاميًّا كاملًا. لهذا من الأفضل أن يرافقَ هذا الكتاب كتابان آخران: أحَدُهما يسردُ القصَّة نفسَها، والآخر يتناول أقسام اللاهوت النظاميّ. ومن جهة اللاهوت النظاميّ، فليس هناك أفضل من اللاهوت النظاميِّ لواين جرودم.[٦] ومن جهة سردِ قصَّة الكتاب المقدَّس، فأوصي بثلاثةِ كتب: كتاب "رسالة الإنجيل والملكوت" للمؤلِّف غرامي غولدزوورذي (الذي يقع ضمن ثلاثيَّة المؤلِّف[٧]). هو نصٌّ تمهيديٌّ رائعٌ يروي قصَّة الكتاب المقدَّس بوصفها قصَّة شعب الله، في مكان

6) Wayne Grudem, Systematic Theology (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994).

متاحٌ بالعربيَّة في ثلاثة مجلَّدات تحت عنوان: "علم اللاهوت النظاميّ" من مطبوعات إيجلز وبرنامج اللاهوت بالامتداد (المترجم).

7) Graeme Goldsworthy, The Goldsworthy Trilogy (Exeter: Paternoster Press, 2000).

9Marks Online PDF

الله، وتحت حكم الله. نسخة أبسط قليلًا من هذا الكتاب، وهي تَدين بالفضل للمؤلِّف غرامي غولدزوورذي منذ البداية، هي كتاب "صورة الله الكبرى" للمؤلِّف فون روبرتس.[٨] أخيرًا، إذا كنتَ ترغب في الاطِّلاع على كتابٍ بصبغةٍ أكاديميَّة أكثر قليلًا، فأنا على ثقة بأنَّك ستستفيد كثيرًا من كتاب "سيادةٌ وسلالة" للمؤلِّف ستيفن ديمبستر.[٩] إنَّه يستحقُّ الوقتَ الذي ستُمضيه في قراءته.

8) Vaughan Roberts, God's Big Picture: Tracing the Story-line of the Bible (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2002).

9) Stephen Dempster, Dominion and Dynasty: A Biblical Theology of the Hebrew Bible (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2006).

9Marks Online PDF

شكرٌ وعرفان

ما كان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا رؤية صديقي وزميلي مارك ديفير المتمثِّلة في تطوير مجتمعٍ من الكتَّاب لتناوُل كلِّ واحدةٍ من "العلامات التسع" للكنيسة الصحيحة. أنا شاكرٌ له على تشجيعه بإعطائي "علامة اللاهوت الكتابيّ"، ثمَّ عملِ أمرٍ مفيدٍ للكنيسة بواسطتها. كانت الخطوة الأولى هي سلسلةً من العظات التي قدَّمتُها في الكنيسة المعمدانيَّة في كابيتول هِل صيفَ عام ٢٠٠٦م. تلقَّيتُ حينها تشجيعًا وتعليقاتٍ من جماعة الكنيسة، لا سيَّما الأشخاص الذين أوكِلَتْ إليهم مراجعة العظة، وقد أقنعوني بمدى فائدة الموادّ، وعملوا على جعْلِها أفضل. شكرٌ خاصٌّ لجون إنغولد وليزا لو على طباعة تلك العظات.

تمكَّنتُ من العمل على بعضٍ من هذه الموادِّ في أثناء رحلات إرساليَّة، وذلك مرَّتَين: في خريف عام ٢٠٠٧م، ومرَّةً أُخرى في عام ٢٠٠٨م . أنا شاكرٌ لقيادة "مجلس الإرساليَّات العالميّ" لمنطقة آسيا الوسطى على منحيَ الفرصة والامتياز للعمل مع شعب كنائسهم. مع أنَّ هذا الكتاب أُلِّف بحيث يكون الجمهور المستهدَف هو مؤمني أميركا الشماليَّة، فقد كانت تلك التجرِبة هي ما أقنعَني حقًّا بالبُعد العمليِّ العابر للثَّقافات للَّاهوت الكتابيّ.

هذه العِظات، التي انطلقَتْ في أرجاء العالم، تكوِّن اليومَ القسم الثاني من هذا الكتاب، لكنْ بعد أن جرى تعديلها على نحوٍ مناسبٍ للنَّشر.

ولولا جوناثان ليمان، لظلَّتْ لك العظاتُ المفيدة موجودةً اليوم في ملفَّاتي. ما كان لهذا الكتاب تحديدًا أن يرى النور لولا جوناثان. كانت رؤيتُه وشراكته، أوَّلًا في مساعدتي على توسيع رؤيتي من

9Marks Online PDF

تلك العظات الأوَّليَّة وصولًا إلى الكتاب الذي بين يدَيك، ثمَّ في إنشاء فصلٍ دراسيٍّ في كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة الذي منحني الفرصة لكتابة النصِّ المبدئيِّ، وأخيرًا في تحرير النصِّ كلِّه. كلُّ هذه الأمور لا تقدَّر بثمن. كما قرأ ستيف ويلوم النصَّ المبدئيّ، وزوَّدني بنقدٍ بنَّاء وأفكارٍ ثاقبة أنقذتني من الوقوع في أخطاءٍ عدَّة كانت محتمَلة.

ساعدَ جوش مانلي ومات ميركر وريان بيشوب ومارك ستام، وهم بعض المتدرِّبين في كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة في ربيع عام ٢٠٠٩م، في عمليَّة البحث وتنسيق النصّ. وساعد جف تشانغ في تصميم أشكال الكتاب.

أنا شاكرٌ أيضًا لألان فيشر والمحرِّرين في دار كروس واي. لقد كان من دواعي سروري العمل معهم منذ المرحلة الأولى من هذا الكتاب حتَّى نهايته.

أخيرًا، أُدين كثيرًا لزوجتي، أدريان، التي تمكَّنت بسلاسةٍ من إدارة شؤون أسرةٍ مكوَّنة من سبعة أفراد، وكانت في الوقت نفسه تقرأ النصَّ المبدئيَّ وتضيف التعليقات إلى معظم أجزائه. كان لديَّ وزوجتي في كلِّيَّة اللاهوت الأساتذة أنفسهم، والذين ظلُّوا في الخدمة معًا منذ نحو عشرين عامًا حتَّى اليوم. وما تزال هي أهمَّ شريكٍ لي في المباحَثات اللاهوتيَّة، وهي أيضًا حبُّ حياتي.

صارَ هذا الكتاب بحالةٍ أفضل بكثيرٍ ممَّا كان عليه بفضلِ كلِّ هذه المساعدة. ومع كلِّ ما تلقَّيتُه من مساعدة، فإنَّ أيَّ عيوبٍ ما تزال متبقِّية هي تمامًا ضمن مسؤوليَّتي. رجائي هو أن يستخدمه الله، بعيوبه وكلِّ ما فيه، لتشجيع عمل كنيسته، وتعزيز مجدِ رسالة الإنجيل.

مايكل لورانس

كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة، واشنطن العاصمة

9Marks Online PDF

المقدِّمة

النصُّ المرادُ اختباره

نواجه، نحن قادةَ الكنيسة، مشكلاتٍ وأسئلةً كلَّ يوم تتطلَّب منَّا اللُّجوء إلى الكتاب المقدَّس للحصول على إجاباتٍ وإرشادٍ وحكمة. ويُعدُّ الكتاب المقدَّس، إلى جانب الصلاة، الأداةَ الأساسيَّة الأهمَّ التي أُعطيَتْ لنا لأداء الخدمة الراعويَّة. فمهما كان الزمن الذي أدَّيتَ فيه الخدمة الراعويَّة، فإنَّ هذه الأداة مألوفةٌ لك تمامًا، وأنت تعرفُ طريقك إلى كلِّ الأسفار الستَّة والستِّين. لديك مقاطعُ مفضَّلة تعودُ إليها مِرارًا وتَكرارًا- مثل المزمور الثالث والعشرين في أثناء زيارات المستشفيات، ورومية ٨ للمؤمن المحبَط الذي يتعرَّض لضُغوط، ويوحنَّا ٣ للمحادثات الكرازيَّة، ونحميا للدروس عن القيادة، وإشعياء ٦ للشابِّ الذي يفكِّر في دعوةٍ للخدمة. ليس لك أن تتصوَّر دخولَ اجتماعِ الكنيسة أو غرفةِ المستشفى دون أن يكونَ الكتاب المقدَّس في متناول يدك.

ومع أنَّ الكتاب المقدَّس مألوف كثيرًا لك، فالسؤال هو: متى كانت آخر مرَّةٍ فكَّرتَ فيها في ماهيَّة هذه الأداة القويَّة التي تحملها في يدك؟ بالتأكيد، إنَّها مجموعةٌ من ستَّةٍ وستِّين سِفرًا موحًى بها. وتسجِّل لنا هذه الأسفار تاريخ شعب العهد القديم، وخدمة يسوع المسيح، وتأسيس الكنيسة. لكنْ إذا أخذنا الكتاب المقدَّس بمجمله، ولم نأخذْه ضمن أجزاء متفرِّقة، كيف تجيب عن السؤال: "ما تعريف الكتاب المقدَّس؟".

9Marks Online PDF

أهمِّيَّة التعريفات

الجواب الذي يهمُّني حقًّا ليس الإجابة التي تعلَّمتَها في كلِّيَّة اللاهوت أو صفوف درس الكتاب في كنيستك، بل أطلبُ إجابتَك من خبرتك العمليَّة. أسألك عن كيفيَّة استخدام الكتاب المقدَّس يومًا بعد يوم في خدمتك؛ لأنَّ ذلك سيُظهر لنا معًا ما تعتقده فعليًّا بشأن الكتاب المقدَّس.[١]

مثلًا، عندما أختار مطرقةً، لا أفكر فيها من جهة الموادِّ الداخلة في بنائها أو في الأجزاء المكوِّنة لها. بل أفكِّر في أمرٍ من شأنه أن يساعدني على دقِّ مسمارٍ في الحائط، شيءٍ يكون موافِقًا لهذا الاستخدام. من جهةٍ أُخرى، لديَّ في منزلي الكثير من عيدان تناوُل الطعام الصينيَّة، لكنَّني لا أفكر فيها دائمًا على أنَّها أدواتٌ لتناوُل الطعام. لقد تبيَّن لي أنَّ حجمها مناسب لفتح أقفال أبواب غرفة النوم والحمام عندما يحبس أحد أطفالي الصغار نفسه بالخطأ في إحدى تلك الغرف. من الناحية الوظيفيَّة، أصبحت عيدان تناول الطعام الصينيَّة هذه مفاتيح، بغضِّ النظر عن تعريفها الصحيح.

ولا يختلف الأمر في حالة الكتاب المقدَّس. بغضِّ النظر عن التعريف الصحيح، سيحدِّد تعريف الوظيفة التي تضعُه كيفيَّة استخدامك له. في بعض الأحيان، يعني هذا أنَّك ستستخدمه بحسب الغاية المقصودة، أي بالطريقة التي أستخدم مطرقةً لدقِّ مسمار. لكن في أحيانٍ أخرى، يعني هذا أنَّك ستُسيء استخدامه، أي باستخدامه بالطريقة التي استخدمتُ فيها عيدان الطعام الصينيَّة لفتح الأبواب. وبينما لا يكون هناك أيُّ ضررٍ حقيقيٍّ من سوء استخدامي لعيدان تناوُل الطعام لتكون مفاتيح، فإنَّنا نعلمُ أنَّ الضررَ الحقيقيَّ ينتج من سوء الاستخدام، وسوء التطبيق، لأداة قويَّةٍ مثل الكتاب المقدَّس.

---

١) لا أقصد من هذا السؤال لزومَ وجودِ وظيفةٍ تحدِّد المعنى أو السُّلطة. معتنقو ما بعد الليبراليَّة (انظرْ مثلًا، George Lindbeck, The Nature of Doctrine: Religion and Theology in a Postliberal Age [Philadelphia:Westminster, 1984]) جادلوا بأنَّ الكتاب المقدَّس هو الكلمة المكتوبة لأنَّ هذه هي وظيفته في الكنيسة. وعلى النقيض من هذا الرأي، فإنَّ وجهة نظر هذا الكتاب هي أنَّه لكونِ الكتاب المقدَّس هو السجلَّ الموحى به والمعصوم للخُطَّة الإلهيَّة لتاريخ الفداء، والتي تكشف أهداف الله وشخصيَّته، فيجب أن يكون الكتاب المقدَّس عندنا هو المعيار، ولا بدَّ أن يكون كافيًا. لذلك تنشأ وظيفة الخدمة نشوءًا حصريًّا من الأنطولوجيا (البُعد الوجوديّ)، وليس العكس.

9Marks Online PDF

إجابتان محتمَلتان

ما تعريف الكتاب المقدَّس إذًا؟ إنَّ بيان إيمان كنيستي يقدِّم إجابةً واحدةً ممكنة، وأعتقد أنَّ كثيرين منَّا يميلون إلى تبنِّيها. في المادَّة الأولى من بيان الإيمان، نؤكِّد أنَّ الكتاب المقدَّس هو "كنزٌ مثاليٌّ للتعليم السماويّ"، وأنَّه "يكشف عن المبادئ التي سيحكم الله علينا وَفقَها"، ومن ثَمَّ فهو "المعيار الأعلى الذي يجب بواسطته امتحان كلِّ أنماط السلوك والعقائد والآراء البشريَّة".[٢] الكتاب المقدَّس هو مجموعةٌ من التعاليم والمبادئ والمعايير. وبكلماتٍ أخرى، فإنَّ الكتاب المقدَّس هو "كتاب الإجابات" عن مشكلات الحياة، أو هو خلاصةٌ وافيةٌ للمبادئ التي يمكن بها أن يحيا المرء أو يموت. لكنْ هل هذا التعريف كافٍ لاستخدامه في الخدمة؟

فلنأخذْ هذا التعريف للكتاب المقدَّس ونطبِّقه على سؤالٍ واجهَه شيوخ كنيستي منذ وقتٍ قريب. كانت إحدى العائلات تفكِّر في إجراء عمليَّة شراء بمبلغٍ كبير. ولتقديم الدفعة الأولى المطلوبة، كان عليهم أن يعدِّلوا لمدَّةٍ قصيرةٍ مبلغَ العشور المقدَّم إلى الكنيسة. كانوا يأملون في تعويض الكنيسة لاحقًا، لكنْ لم يكنْ هناك ما يضمن ذلك، وهكذا أتَوا إلينا طلبًا للنَّصيحة.

إذا كان الكتاب المقدَّس في الأساس هو كتابًا يتضمَّن إجابات، فإنَّنا نتوقَّع أن نجدَ عددًا معيَّنًا أو مقطعًا يعطي هذه العائلة ما تحتاج إليه. لكنْ ما المقطع الذي سنتَّجه إليه؟ يبدو أنَّ ملاخي ٣: ١٠: "هاتوا جميعَ العُشورِ إِلَى الخَزنَة..." يقدِّم إجابة. لكن ماذا علينا أن نفعل بعد ذلك مع ٢كورنثوس ٩: ٧؟ "كُلُّ واحِدٍ كما يَنوي بقَلبِهِ، ليس عن حُزنٍ أو اضطِرار. لأنَّ المعطيَ المسرورَ يُحِبُّهُ الله". تأمَّلْ أيضًا في قصَّة حنانيا وسفِّيرة في أعمال الرسل ٥. هل تعني القصَّة أنَّه كان علينا تحذير هذه العائلة، أم أنَّها مجرَّد قصَّةٍ حول ما حدث لشخصَين في أورُشليم في زمنٍ فريدٍ من حياة الكنيسة دون أيِّ تأثيراتٍ معياريَّةٍ في حياتنا؟ كما ترَون، فإنَّ نهج حسبان الكتاب المقدَّس "كتابَ إجابات" يُثير مجموعةً من الأسئلة قبل الوصول إلى الإجابة التي نبحث عنها.

---

2) *The New Hampshire Confession*, Article I, "Of the Scriptures" (rev., 1853), adopted by Capitol Hill Baptist Church, Washington, DC, at its incorporation on February 28, 1878. For the full text of the confession see William L. Lumpkin, *Baptist Confessions of Faith*, rev. ed. (Valley Forge, PA: Judson Press, 1969), 361–367.

9Marks Online PDF

إجابة أخرى محتمَلة عن سؤال: "ما تعريف الكتاب المقدَّس؟" هي أنَّه قصَّة، أي سَرْدٌ لتفاعُل الله الخالق مع العالم المخلوق. ورغم وجودِ الكثيرِ من الناس في هذه القصَّة، فإنَّ الأمرَ يتعلَّقُ بصورةٍ أساسيَّة بما فعلَه الله وسيفعله لدينونة هذا العالم، ولخلاص شعبه. ووَفقًا لهذا التعريف العمليّ، يكشف الكتاب المقدَّس عن خُطَّةِ الخلاص، وكيف أنجزَها الله، أوَّلًا بواسطة شعب العهد القديم، وأخيرًا بواسطة يسوع المسيح. هل هذا التعريف أكثر فائدةً للخدمة من التعريف السابق؟

فلنطبِّقْه على السؤال الذي نظَرْنا فيه منذ قليل. إذا كان الكتاب المقدَّس هو غالبًا قصَّةَ أعمال فداء الله في التاريخ، فليس هناك الكثير ليُقالَ لتلك العائلة إجابةً عن سؤالها أكثر من وَضْعِ الثقة في المسيح لخلاصهم، وليس في غناهم الدنيويّ. قد نشير إلى لوقا ١٦ وقصَّة لعازر والغنيّ، أو إلى عبرانيِّين ١١ وسِمة الإيمان الذي ينظرُ "وطَنًا أفضَلَ، أيْ سماويًّا". لكن في النهاية، ما لم نعُدْ إلى نهج كتاب الإجابات أو إلى الحكمة البراغماتيَّة العمليَّة، فهذا التعريف للكتاب المقدَّس لا يترك لنا سوى القليلِ لنقولَه للعائلة التي تريد أن تعرف ما إذا كان في وُسعها تأخير العشور لإتمام عمليَّة الشراء. كما ترَون، قد تكون قصَّة نهج الفداء في الكتاب المقدَّس أمينةً للنُّقطة الأساسيَّة، لكن يبدو أيضًا أنَّها تتناقض مع ٢بطرس ١ : ٣، حيث وُعِدْنا بأنَّنا وُهِبْنا "كُلَّ ما هو للحياةِ والتَّقوَى، بمَعرِفَةِ الذي دَعانا بالمجدِ والفَضيلَة".

تعريفٌ أفضل

ما الذي علينا أن نفعلَه إذًا؟ ما نحتاج إليه هو فهْمٌ أفضلُ لماهيَّة الكتاب المقدَّس، والذي لا يختزله في مجرَّدِ كتابِ إجاباتٍ عن أسئلة الحياة، بل يحافظ على التركيز على الله، الذي ينتمي الكتاب المقدَّس إليه. كما نحتاج أيضًا إلى فهمٍ لا يختزله في قصَّةٍ كيفيَّة حصول الخلاص لنذهب إلى السماء، أمَّا ما تبقَّى من الحياة، فيمكن تركُه لأيِّ تأويلات. إنَّنا نحتاج إلى تعريفٍ عمليٍّ للكتاب المقدَّس يسمح بإجاباتٍ نظاميَّةٍ عن أيِّ سؤالٍ تقريبًا، لكنَّه يوفِّر أيضًا إجاباتٍ في سياقِ قصَّة الكتاب المقدَّس ذاتها. نحن لا نريد أن نقتطعَ أعدادًا من سياقها، وبهذا نسيء تطبيق تلك الأعداد، لكنَّنا لا نريد قصَّةً لا تتطرَّقُ بتاتًا إلى التفاصيل الدقيقة لحياتنا.

9Marks Online PDF

يساعدنا اللاهوت الكتابيُّ على تحقيقِ فهمٍ أفضلَ لماهيَّة الكتاب المقدَّس. وعندما نتحدَّث بشأن اللاهوت الكتابيّ، فإنَّنا نعني اللاهوتَ الذي يحاول أن يفهمَ ليس فقط ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس بصورةٍ نظاميَّة، بل القيام بذلك أيضًا في سياقِ إعلان الكتاب المقدَّس المتدرِّج وتطوير خَطِّ القصَّة بالتدريج أيضًا. يحاول اللاهوت الكتابيُّ الأمين إظهارَ ما يفترضُه اللاهوت النظاميّ: أنَّ الكتاب المقدَّس ليس مجموعةً انتقائيَّةً فَوضَويَّةً متناقضةً في ظاهرها من الكتابات الدينيَّة، بل هو قصَّةٌ واحدةٌ، وسَرْدٌ موحَّدٌ ينقلُ رسالةً متماسكة متناغِمة. وهكذا فإنَّ اللاهوت الكتابيَّ يهتمُّ ليس فقط بأخلاق القصَّة، بل أيضًا بسَرْدِ القصَّة، وكيف أنَّ طبيعةَ سَرْدِها وتكشُّفِها بالتدريج، تشكِّل فهمَنا لمنظورها.

الآن، لا يعني هذا أنَّ للَّاهوتِ الكتابيِّ أسبقيَّةً على اللاهوت النظاميّ، أو أنَّه أهمُّ أو أكثر أمانةً للكتاب المقدَّس من اللاهوت النظاميّ. في الواقع سنرى أنَّ اللاهوت الكتابيَّ يفترض عددًا من أمورِ اللاهوت النظاميّ، ويعتمد عليها- أمورٍ مثل عصمة الوحي كما أتانا في أسفار الكتاب المقدَّس، وموضوعيَّة معرفة الله بواسطة الإعلان، وموثوقيَّة الوحي.

وكلُّ ما سيردُ في هذا الكتاب يهدف إلى مساعدتك على بناءِ لاهوتٍ كتابيٍّ أمين صحيح. وحالما تنال ذلك، سيكون لديك تعريفٌ وظيفيٌّ للكتاب المقدَّس يسمح لك بالتحدُّث بقوَّةٍ من كلمة الله إلى حياةِ أشخاصٍ مثل العائلة الغنيَّة التي نظَرْنا في قصَّتها منذ قليل. في الفصول القليلة المقبِلة، سننظرُ في أدوات اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميِّ وكيفيَّة عملهما معًا. ثمَّ سنستعرضُ خمسةَ فصول في علم اللاهوت الكتابيّ، حيث نروي قصَّةَ الكتاب المقدَّس كلَّها، ونوضح كيف تلامسُ هذه القصَّة تفاصيلَ حياتنا. ثمَّ سنختتمُ بفصلَين يستكشفان استخدام اللاهوت الكتابيِّ في حياة الكنيسة، من الوعظ، إلى الإرشاد والتلمذة، إلى الإرساليَّات، وصولًا إلى فهمنا للعلاقة ما بين الكنيسة وثقافتنا.

9Marks Online PDF

طبيعة الوحي الإلهيّ[٣]

ومع هذا، فهناك الكثير من سمات إعلان الله عن حقِّه في الكتاب المقدَّس والتي أودُّ نقاشَها هنا. تحدِّد هذه السماتُ كيفيَّة دراستنا للكتاب المقدَّس وبناء لاهوتٍ كتابيّ. ثمَّة أربعُ خصائصَ أساسيَّة لإعلان الله عن ذاته كما سجَّله الكتاب المقدَّس، والذي يتطلَّب فهمَ ما إذا كنَّا سنفهم الكتاب المقدَّس وتعاليمه بصورةٍ صحيحة، بدلَ إساءة تفسير النصِّ وإساءة تطبيقه.[٤] ستلاحظ أنِّي أتحدَّثُ في هذا القسم بشأن الوحي على أنَّه "عملٌ إلهيٌّ" في التاريخ، بدلَ السجلِّ المكتوب لتلك الأفعال الإلهيَّة، ما نسمِّيه الكتاب المقدَّس.[٥] تسبق أفعال الله للإعلان عن ذاته كلماته التي تفسِّر ذاتها. إنَّ هذا الكتاب هو عن كيفيَّة فهمِ هذه الكلمات وتطبيقها في الحياة، لكنَّنا نريد أوَّلًا للقيام بذلك أن نفهمَ طبيعةَ الطريقة التي عملَ بها الله في التاريخ ليُلعنَ عن ذاته.

أوَّلًا: إعلانُ الله متدرِّج. يرى الإسلام أنَّ القرآن أُنزِلَ على نبيِّه دفعةً واحدة، وأُنزِلَ من السماء بمعجزة. والنصوص المقدَّسة للبوذيَّة والكونفوشيَّة تقتصر على حياةِ رجلٍ واحد. أمَّا الكتاب المقدَّس فلم يُكتب في لحظةٍ واحدة، ولا حتَّى في حياةٍ واحدة. بل كُتِبَ على مدى ألفَي سنة، حيث أعلنَ الله بالتَّدريج عن ذاته وقصَّته؛ وذلك لأنَّ الكتاب المقدَّس، كما قُلْنا سابقًا، ليس الإعلانَ عن مجموعةٍ من المبادئ، بل عن قصَّة الفداء. وفداء الله، أي خلاصه لشعبه، يحدث تاريخيًّا في حِقَبٍ زمنيَّةٍ عدَّة على مدار التاريخ. آلاف السنين تفصل قصَّة الخلق وما سيفعله الله مستقبَلًا في الخليقة الجديدة. وبين هاتَين الخليقتَين، سقطَتِ البشريَّة في الخطيَّة، وعملَ الله على خلاص الخطاة، ثمَّ بيَّن عملَ الخلاص ذلك. يمكننا أن نشير إلى الخروج وغزو كنعان؛ إلى سبي الشعب القديم ثمَّ عودته؛ ثمَّ إلى القصَّة الأسمى في تجسُّد يسوع المسيح وصلبه وقيامته. الكتاب المقدَّس هو سجلُّ الأعمال الفدائيَّة التي أنجزَها الله، كما أنَّه تفسيرٌ لتلك الأعمال، ومن ثمَّ باتَ ضروريًّا أن تكون للكتاب المقدَّس سمةٌ تاريخيَّة متدرِّجة.

---

٣) يقتبس هذا الجزء بصورةٍ كبيرة من المرجع الآتي:

Geerhardus Vos's *Biblical Theology* (Carlisle, PA: Banner of Truth, 1975).

٤) المرجع السابق نفسه، ٥–٩.

٥) المرجع السابق نفسه، ٥.

9Marks Online PDF

ثانيًا، إنَّ إعلان الله ليس فقط متدرِّجًا، بل هو تاريخيٌّ في طبيعته. فمثلًا، صلب المسيح وقيامته هما حَدَثان موضوعيَّان في التاريخ، ليس فقط يعلنان شيئًا عن الله والفداء، بل يحقِّقان الفداء أيضًا. الكتاب المقدَّس هنا ليس مجرَّد قصَّة يرويها البشر عن خلاص الله، بل هو قصَّة أقرَّها الله عن ذاته ثمَّ بيَّنها بنفسه. وهناك تركيزٌ متمحور حول الله في كلِّ هذا حيث يتغلغَلُ الله بموضوعيَّةٍ وعلى نحوٍ ملموسٍ في التاريخ البشريّ، ويعمل من أجل خلاص شعبه لمجد الله القدير. وهكذا، نتحدَّثُ في اللاهوت الكتابيِّ بشأن تاريخ الفداء.

ثالثًا، هناك طبيعةٌ متناغِمةٌ لهذا الإعلان المتدرِّج عن الله وخُطَّته للفداء. إنَّها لا تسير ببساطة مثلما يحدُثُ في موقع إنشائيّ، حيث يكون الانتقالُ متدرِّجًا من المخطَّطات وصولًا إلى تشييد المبنى في شكله النهائيّ. بل تتكشَّف وتتطوَّر مثل بذرة وصولًا إلى شجرةٍ مكتملةِ النموّ. في هيئة بذور، يُعطى الحدُّ الأدنى وبداية إعلان الخلاص. في النهاية، أعلن ذلك الحقُّ البسيط عن نفسه، فكان معقَّدًا غنيًّا متعدِّدَ الطبقات، وكان غايةً في الجمال. تلك هي سِمةُ الإعلان التي ستساعدنا على فَهْم السِّمات الرمزيَّة للكتاب المقدَّس، وديناميكيَّة الوعد وتحقيقه، ووجود كلٍّ من الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع) على مرِّ تاريخ الفداء.

رابعًا، إنَّ إعلان الله تاريخيّ، لذا فاللاهوت الكتابيُّ عمليّ. إنَّ قصْدَ الله من الإعلان ليس تحفيزنا فكريًّا، بل أن يقودَنا إلى علاقةٍ مخلِّصةٍ بشخصِ الله. لذا يجب ألَّا نعتقد أنَّ اللاهوت الكتابيَّ هو فقط لهواة التاريخ والأدب، بل على العكس تمامًا. إذا كان الإعلان هو قصَّةَ أعمال الله في الفداء– قصَّة تبدأ منذ بدء الزمان وتنتهي في نهاية الزمان– فهي إذًا قصَّةٌ تتضمَّن حياتَنا وعصرَنا، لذا فهي عمليَّة جدًّا.

سِمةُ الكتاب المقدَّس

إذا كانت هذه هي سِمةَ الإعلان الذي سيُشكِّل نهجَنا في اللاهوت الكتابيّ، فماذا يعني هذا تحديدًا للكتاب المقدَّس؟ ما نوع النصِّ الذي ننظر فيه؟ أريد أن أسلِّط الضَّوء على خمسة أمورٍ عن الكتاب المقدَّس سنعود إليها مِرارًا وتكرارًا. وهذه الخصائص الكتابيَّة ستحدِّد كيفيَّة دراستنا للكتاب المقدَّس، كما أنَّها تشكِّل أيضًا ما نتوقَّع أن تكون عليه نتائج دراستنا.

9Marks Online PDF

١. تاريخيٌّ- إنسانيّ

أوَّلًا، كُتِبَ الكتاب المقدَّس على يدِ بشرٍ عاشوا في أزمنةٍ معيَّنةٍ من التاريخ. نقرأ في ٢بطرس ١: ١٩- ٢١:

> "وعِندَنا الكلِمَةُ النَّبَويَّةُ، وهي أثبَتُ، الّتي تفعَلونَ حَسَنًا إنِ انتَبَهتُمْ إليها، كما إلَى سِراجٍ مُنيرٍ في مَوْضِعٍ مُظلِمٍ، إلَى أنْ يَنفَجِرَ النَّهارُ، ويَطلَعَ كوكَبُ الصُّبحِ في قُلوبِكُمْ، عالِمِينَ هذا أوَّلًا: أنَّ كُلَّ نُبوَّةِ الكِتابِ لَيسَتْ مِنْ تفسيرٍ خاصٍّ. لأنَّهُ لم تأتِ نُبوَّةٌ قَطُّ بمَشيئَةِ إنسانٍ، بل تكلَّمَ أُناسُ اللهِ القِدّيسونَ مَسوقينَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس".

في معظم الأحيان يلجأ الناس إلى هذه المقطع لإثبات السمةِ الإلهيَّة للكتاب المقدَّس، وسنفعل نحن ذلك بعد قليل. غير أنَّ هذا المقطعَ يتناولُ أيضًا بوضوحٍ السمةَ التاريخيَّة- الإنسانيَّة للكتاب المقدَّس. وهو يشير إلى الأنبياء على أنَّهم أُناسُ الله الذين تكلَّموا، وضمنيًّا كتبوا أسفار الكتاب المقدَّس. عندما يتكلَّمُ أناس الله، فهُم يستخدمون لغةً بشريَّة. وتعمل هذه اللغة على تكوين الثقافة التي يعيشون فيها كما أنَّها تعكس تلك الثقافة. لذلك تحدَّث إشعياء اللغة العبريَّة القديمة وكتب بها، واستخدمَ صُورًا مثل "يرفعون أجنحةً كالنسور" ولم يقُل يحلِّقون بأجنحةٍ كالطائرات النفَّاثة! وكما ذَكَرْنا سابقًا، عاشَ كُتَّابُ الأسفار المختلفون في ثقافات متنوِّعةٍ على مدار عشراتِ القرون. لم يكونوا جميعهم يتحدَّثون اللغة نفسها، أو يعيشون في الأماكن ذاتها تحت الحكومات نفسها، أو يُنشِئون عائلاتهم بالطريقة ذاتها.

وما يعنيه هذا عمليًّا هو أنَّ الكتاب المقدَّس هو كتابٌ بشريٌّ بامتياز. وعلينا كي نفهمَه أن نفهمَ لغاتِ مؤلِّفيه وثقافاتهم وسياقاتهم. ولا يمكننا أن نفترضَ أنَّ ما نعنيه بكلمةٍ أو صورةٍ شعريَّةٍ هو ما كانوا يعنونه في ذلك الحين. سيتعيَّن علينا الانخراط في دراسةٍ نحويَّةٍ وأدبيَّةٍ وحتَّى ثقافيَّةٍ إذا أرَدْنا تجنُّبَ قراءةِ أفكارنا وثقافتنا نحن في الكتاب المقدَّس. نريد تطبيق مبادئ التفسير التحقيقيّ (Exegesis)، وليس التأويل (Eisegesis). نريد أن نقرأ من النصّ، وليس في النصّ، وهكذا سننظرُ في الفصل الأوَّل بتدقيقٍ في الأدوات التفسيريَّة للّاهوت الكتابيّ.

9Marks Online PDF

لا تبدأ بالقلق من أنَّك تحتاج إلى شهاداتٍ عدَّة في اللاهوت لتفهمَ حقًّا كتابَكَ المقدَّس. إنَّ السِّمةَ الإنسانيَّة التاريخيَّة للكتاب المقدَّس تتضمَّن ليس فقط البُعد بوصفنا أشخاصًا يعيشون في مكان وزمانٍ مختلفَين، بل يعني أيضًا الاستمراريَّة معنا؛ لأنَّ هذا كُتِبَ على يدِ بشرٍ، وليس ملائكة. بالتأكيد، قد يتحدَّثون لغاتٍ مختلفةً ويأكلون طعامًا مختلفًا، لكنْ تحت اختلافاتٍ ثقافيَّةٍ حقيقيَّة. هم أشخاصٌ مثلنا مخلوقون على صورة الله، ولهم مثلما لنا مخاوفُ وآمالٌ ومشكلاتٌ وقدرات. ويمكنُنا على اختلاف الأزمنة، أن نتواصَلَ مع الكُتَّاب بوصفهم أشخاصًا، ويستطيعون هم التواصُل معنا أيضًا. كما أنَّ ما فعله الله من أجلهم يمكن أن ينطبق علينا أيضًا.

٢. إلهيّ

ليس الكتاب المقدَّس فقط كتابًا بشريًّا، بل هو أيضًا كتابٌ إلهيّ. كما يشير المقطع في ٢بطرس ١: ١٩ – ٢١، يقف الله وراء مختلف الكُتَّاب والأنبياء البشريِّين، وقد أوحى للأنبياء بروحه القدُّوس أن يقولوا بالضَّبط ما أرادهم أن يقولوه. كما يقول بولس الرسول في ٢تيموثاوس ٣: ١٦: "كلُّ الكتاب هو موحًى به من الله...".

هذه هي عقيدة الوحي، وهي عقيدة لا تعني أنَّ الله أفرغَ عقولَ الكُتَّاب البشريِّين وشخصيَّاتهم واستخدمهم بالتلقين كما تُلقَّن لوحة المفاتيح، بل عقيدة الوحي هي وصف الكتاب المقدَّس لنفسه بنفسه، حاسبًا إيَّاه نتاج الروح القدس الذي يعمل بسيادةٍ بواسطةِ الكاتب البشريّ. ولهذا تَبِعاتٌ عدَّة. أوَّلًا، يعني هذا أنَّ ما يقوله الكتاب المقدَّس هو ما يقوله الله. لذا فإنَّ الكتاب المقدَّس ليس مجرَّد تأمُّلاتٍ روحيَّةٍ للنَّاس حول ما قد يكون الله عليه. بل هو وحيٌ من الله.

ثانيًا، يعني هذا أنَّ الكتاب المقدَّس معصومٌ، أي جديرٌ بالثِّقة ودون أيِّ أخطاء، في كلِّ ما يؤكِّده وكلِّ ما يقصدُ أن يقولَه. لا شكَّ أنَّ هناك الكثيرَ من الأمور التي لا يتحدَّث الكتاب المقدَّس بخصوصها. ولا شكَّ أنَّ الكتَّاب كانوا خطاةً مثلنا. لكنَّ النصَّ الذي وضعوه، بوحيٍ من الروح القدس، جديرٌ بالثقة، وفيه الطبيعة الكاملة لمؤلِّفه الله المجيد.

9Marks Online PDF

ثالثًا، يعني هذا أنَّه رغم العدد الكبير من الكُتَّاب البشريِّين، فإنَّ وراء نصِّ الكتاب المقدَّس يقفُ مؤلِّفٌ إلهيٌّ واحدٌ وعقلٌ واحدٌ وإرادةٌ واحدة. ولماذا هذا مهمّ؟ ويعني هذا ليس فقط أنَّنا لن نجدَ تناقُضًا (رغم أننا قد نجد أمورًا غامضة)، بل يعني أيضًا أنَّنا يجب أن نتوقَّع أن نجدَ الوَحدة والتماسُكَ للقصَّة بمجملها. قد لا يكون الكُتَّاب قادرين على رؤيتها في زمن كتابتها، لكنَّ المؤلِّفَ الإلهيَّ قادرٌ على رؤية القصَّة كلِّها، وقد كتبَها بحيث تتناسب أجزاؤها بعضها مع بعض.

هذا هو الأساس لفَهْم الطابع الرمزيّ، ومسألة تحقيق الوعد للكتاب المقدَّس، والتي سنناقشها مطوَّلًا في الفصول المقبِلة. مثلًا، ليس الأمر أنَّ كتَّاب العهد الجديد، الذين يحاولون أن يُفسِّروا يسوع، لاحَظوا بعض أوجه التشابه مع داوُد، واستغلُّوها لأغراضهم الخاصَّة. بل الأمر هو أنَّ الله خلقَ داوُدَ ورتَّبَ بسيادةٍ حياتَه حتَّى يكون صورةً ووَعدًا لملكٍ أعظمَ سيأتي من بعده. هذه هي وجهة نظر بولس الرسول في ١كورنثوس ١٠: ١١: "فهذِهِ الأُمورُ جميعُها [تدبير الله لشؤون التاريخ] أصابَتهُمْ مِثالًا [الرمز]، وكُتِبَتْ [الوحي] لإنذارِنا [تطبيق] نَحنُ الذينَ انتَهَتْ إلَينا أواخِرُ الدُّهورِ [التاريخ المتدرِّج للفداء]".

بعيدًا عن كون الكتاب المقدَّس مجموعةً انتقائيَّةً من الخبرة الروحيَّة للآخرين، فإنَّه قصَّة الله عن أعماله في التاريخ لخلاص الخطاة لمجد الله القدير. إنَّه قصَّةٌ واحدةٌ متماسكة، جرى تخطيطها وتنفيذها وتسجيلها على يدِ إلهٍ واحدٍ كلِّيِّ القدرة وكلِّيِّ المعرفة.

٣. السرد

إحدى التَّبعات الواضحة لما قلتُه للتوِّ هي أنَّ الكتاب المقدَّس كلَّه يُفهم بصورةٍ أفضل على أنَّه سَرْد. ولا يعني أنَّ السردَ هو النوع الوحيد في الكتاب المقدَّس، لا بل يتكوَّن الكتاب المقدَّس ليس فقط من السرد التاريخيّ، بل أيضًا من أنواعٍ مختلفةٍ مثل الشعر والشريعة والنبوَّات والرسائل والبشائر. بقَول هذا، فإنَّ الكتاب المقدَّس كلَّه يُفهَم بأفضلِ صورةٍ بوصفه قصَّةً واحدة. قصَّةٌ عن ملكٍ وملكوتٍ وعلاقة الملك برعاياه. ويروي ريتشارد غافن الأمرَ على النحو الآتي: "[الكتاب المقدَّس] ليس في الواقع استناراتٍ معطاةً من السماء لتزويدنا بالمعرفة المتعلِّقة

9Marks Online PDF

بطبيعة الله والإنسان والعالم، بل هو تفسيرُ الوحيِ الإلهيِّ لعمل الله لافتداء البشر حتَّى يعبدوه ويخدموه في العالم".[٦]

لكنَّ هذا السردَ لعمل الله ليس مجرَّدَ قصَّة، بل هو قصَّةٌ تبدأ منذ بدء الزمان وتنتهي في نهاية الزمان. ويعني هذا أنَّه ليسَ قصَّةً قديمةً من الماضي، بل قصَّةٌ واحدةٌ مستقبليَّةٌ تشملُ حاضرَنا اليوم. ويُطلِقُ الدارسون عليها اسم "السرد الشامل"– قصَّةٌ تشرحُ كلَّ شيء، وهي بهذا تزوِّدنا بمنظورٍ إلى العالم (Worldview). ما يجب أن نفهمه هو أنَّ الله قصدَ من هذا السرد أن يطوِّقَنا ويُعيدَ تعريفَنا. إنَّه يوفِّر لنا طريقةً لفَهْم الواقع تختلف عن الروايات التي توفِّرها ثقافتنا الساقطة. وهذا الربط ما بين السرد والواقع مهمّ. ليس المقصود من سَرْدِ الكتاب المقدَّس أن يكونَ مجرَّد سردٍ مُلهِمٍ لنتمكَّن من التعامل مع الواقع الصعب لحياتنا. لا، بل قصَّة الكتاب المقدَّس موحًى بها لتسمحَ لنا بمعرفةِ ماهيَّة الواقع. اللاهوت الكتابيّ، كما ينشأ من الكتاب المقدَّس، يوفِّر إطارَ عملٍ يعطي المعنى لحياتنا. إنَّه يسمحُ لنا بأن نرى بأعينٍ جديدة، ويبدأ هذا بالطريقة التي ننظرُ بها إلى أنفسنا. ليس الأمرُ أنَّنا نفسِّر الكتاب المقدَّس. بل إنَّ الكتابَ المقدَّس هو الذي يفسِّرنا، بالإعلان عن الأحداث الأساسيَّة للواقع، ثمَّ يعلِّمُنا أن نقرأ أنفسَنا في ضَوء تلك القصَّة.

قلتُ إنَّ هذه القصَّةَ هي قصَّةُ ملكٍ وملكوته. ويعني هذا أنَّ هذه القصَّة ليس فقط تفسِّرنا، بل هي أيضًا تمارسُ السُّلطةَ علينا. ليسَتْ مجرَّدَ وصفٍ للواقع؛ فلِسَرْدِ الكتاب المقدَّس وظيفةٌ معياريَّةٌ أو موثوقةٌ في حياتنا وفي كنائسنا أيضًا. وتتطلَّبُ كيفيَّةُ تعريفنا لتلك الوظيفة المعياريَّة أن ننتبهَ إلى موضعِنا في هذا السَّرْد، ومدى ارتباط الجزء الذي نشغلُه بالأجزاء الأُخرى. إنَّه يتطلَّبُ منَّا أن نضعَ في حسباننا الموضوعات المركَزيَّة للقصَّة، والطبيعة المتدرِّجة لها. لكنْ عندما نفعل هذا، نكتشف قصَّةً تتحدَّى ميولنا الرامية إلى تقليص المسيحيَّة إلى مجموعةٍ محدودةٍ من العقائد، بل هي قصَّةٌ تُعلنُ مجملَ حياتنا تحت سيادة الملك.

6) Richard B. Gaffin, Jr., "Introduction," in *Redemptive History and Biblical Interpretation: The Shorter Writings of Geerhardus Vos,* ed. Richard B. Gaffin, Jr. (Phillipsburg, NJ: P&R, 1980), xvii

9Marks Online PDF

٤. منظَّمٌ بحسب العهود

قصَّة أيَّةِ مملكةٍ هي جزئيًّا قصَّة العلاقة ما بين ملكٍ ورعاياه. في الكتاب المقدَّس، يجري تعريف هذه العلاقة وهيكلتها وَفقًا للعهود. وليسَتِ العهود مجرَّد عقودٍ أو وعود، بلِ هي علاقاتٌ تحت سُلطةٍ تتضمَّنُ التزاماتٍ ومكافآت. وشروط العلاقة ومنافعها منصوصٌ عليها، كما يردُ نصُّ العواقب أيضًا في حال انتُهِكَتِ العلاقة. والأهمُّ في العهود الكتابيَّة هو أنَّ على الله أن يتنازلَ عندما يدخل في عهد للشُّروع فيه. إنَّه يضعُ الشروط، ويوفِّر المنافع، وينفِّذ الدينونة عندما يُنتَهَك العهد.

في الشرق الأدنى قديمًا، في الألفيَّة الثانية قبل الميلاد، في زمنَي إبراهيم وموسى، كان ما يحكُم العلاقات الدوليَّة هو معاهدات ما بين الملوك العظماء والملوك التابعين أو الأقلِّ شأنًا. وقد أخذتْ هذه المعاهدات شكلَ عهود، حيث تعهَّد الملك العظيم بالحماية والمبارَكة مقابل ولاء الملك التابع وطاعته. وما دامَ التابعون يطيعون، فإنَّهم يتمتَّعون بحظوةٍ لدى الملك العظيم. لكنْ متى انتهَك الملك التابعُ شروطَ العهد، جلبَ عليه الملك العظيم دينونةً سريعةً حاسمة. كما أنَّ الملك التابع يقفُ بوصفه وسيطًا أو ممثِّلًا لشعبه كلِّه. لذا فإنَّ طاعتَه أو عصيانه يؤثِّران ليس فقط فيه، بل في كلِّ مَن ينضوون تحت قيادته بوصفه ممثِّلًا لهم.

في التدبير الإلهيّ، أوحى الله لموسى أن يكتبَ الأسفار الخمسة من العهد القديم في وقتٍ كان فيه هذا العهدُ معروفًا ومعتَرَفًا به على نطاقٍ واسع. وفي تنازُلِ الله إلى مستوى الفهم البشريّ، استخدمَ هذا العهدَ ليكشفَ عن علاقته الخاصَّة بصفةِ ملكٍ عظيمٍ لأبناء الشعب الذين صنعَهم على صورته ليحكُموا الأرضَ بوصفهم وكلاءَ ونوَّابًا، وملوكًا تابعين لملك السماء العظيم.

سننظر من قُربٍ في الفصلَين الثاني والثالث في العهود المختلفة التي قطعَها الله، وكيف تساعد في بناء القصَّة التي تكشفُ بالتَّدريج خُطَّةَ الله للفداء. قد تكون معظم العهود مألوفةً لك بالفعل: العهد القديم والعهد الجديد، أو العهد الموسويُّ والعهد الداوُديّ. وهناك أيضًا عهودٌ أُخرى سنتناولها في حديثنا. لكنْ أريدُ هنا أن أعرضَ بإيجازٍ التمييزَ ما بين نوعَين من العهود في الكتاب المقدَّس: عهد الأعمال وعهد النعمة.

9Marks Online PDF

إنَّ عهدَ الأعمال مُعبَّرٌ عنه بالضَّبط من اسمِه: تُقدَّم البركات في مقابل ما يُنجَز من أعمال. ويؤدِّي الفشل في أداء الأعمال إلى لعناتِ العهد. كان هذا إلى حدٍّ بعيد العهدَ النموذجيَّ للشرق الأدنى القديم، ونرى هذا النوع من العهود يظهَرُ بوضوحٍ مع آدم ومع موسى. افعَلْ هذا تَعِش، وافعَلْ ذلك تَمُتْ.

لكنَّ هناك نوعًا آخَرَ من العهود في الكتاب المقدَّس. في هذا العهد، ليس الملك التابع هو الذي يجب أن يُنجِزَ العمل للحصول على بركةِ الملك العظيم. بل يتعهَّدُ الملك العظيم نفسُه بتأمين البركة للتابع، ويُجازفُ بنفسه بتلقِّي العقوبات إذا ما انتُهِكَ العهد. وهذا ما يُسمَّى عهد النعمة، وقد صُوِّرَ تصويرًا جميلًا في العهد الإبراهيميِّ في تكوين ١٥، وهو أيضًا طبيعة العهد الجديد الذي تأسَّس في يسوع المسيح وأُعلِنَ في بشارة الإنجيل.

بينما نحاول تفسير الكتاب المقدَّس وتطبيقه، فإنَّ أحد الأسئلة الأساسيَّة التي سيتعيَّن علينا طرحُها هو الآتي: في أيِّ عهدٍ- في أيِّ حقبةٍ من عمل الله للفداء- يقعُ هذا النصّ؟ ما الوظيفة التي يشغلُها النصُّ في هذا العهد؟ وما علاقتي بذلك العهد؟

٥. المركَز: مجد الله في الخلاص بواسطة الدينونة[٧]

إنَّ نعمة الله في بشارة الإنجيل بالموت الكفَّاريِّ ليسوع المسيح تَصِفُ ليس فقط ذروةَ العهود، بل أيضًا ذروة العمل الفدائيِّ لله في التاريخ. كما أنَّها تقودُنا في النهاية إلى النقطة الأساسيَّة في القصَّة ومركَز ثقلها. ونظرًا إلى أنَّ هذه القصَّة هي قصَّةُ الخلاص، فيسهل جدًّا الوقوع في عادةِ التفكير في أنَّ هدف القصَّة هو نحن: الأشخاص الذين ينالون الخلاص. غير أنَّ هذا يمثِّل قراءةً خاطئةً للقصَّة؛ فمع أنَّنا نستفيد على نحوٍ لا يُقاس من هذه القصَّة، فإنَّ مركَزَ القصَّة والنقطة الأساسيَّة منها هما الله ومجده (أفسس ١: ٦، ١٢، ١٤).

---

٧) أنا مدين لجيم هاملتون بفكرة "مجد الله في الخلاص بواسطة الدينونة" بوصفها مركَزَ ثقل اللاهوت الكتابيّ. وقد بيَّن هذه الفكرةَ على نطاقٍ أوسعَ وتفاصيلَ أكبر ممَّا أقدِّمه في هذا القسم في المرجع الآتي:

James Hamilton, "The Glory of God in Salvation through Judgment: The Centre of Biblical Theology?" *Tyndale Bulletin* 57 (2006): 57–84

9Marks Online PDF

ولا يعني هذا أنَّ الله أشبه بطاووسٍ سماويٍّ عملاقٍ هائلٍ مختالٍ بنفسه، ومعجَبٍ بنفسه على نحوٍ أشبَه بوسواسٍ نرجسيّ. في الواقع، يُعدُّ استعراضُ مجدِ الله في الكتاب المقدَّس حافلًا بالتهكُّم. فمع أنَّ مجد الله يُرى في قدرته على الخلاص، فإنَّ الخلاصَ لا يأتي إلَّا بالدينونة. وهذه الدينونة يحملها بنفسه، في أقنوم الابن. في الصليب يُرى مجد الله، في هيئة آلامٍ وتضحياتٍ تلقَّاها مَن لا يستحقُّها بدل أولئك الذين يستحقُّونها تمام الاستحقاق.

هنا نعمة الله ومجده بينما يسير عبر تلك الحيوانات المقسومة من الوسط، كما أنَّه يوفِّر كبشًا ليفتدِيَ إسحاق بن إبراهيم، ويوفِّر حملَ الفصح للشعب العبرانيّ. وكان كلُّ ما قدَّمه الله لشعبه مجرَّد صورة وتذوُّق مبدئيٍّ للتدبير النهائيِّ لله: ابنه الحبيب الوحيد، يسوع، الذي ضحَّى على الصليب من أجل الخطاة، حاملًا الدينونة التي يستحقُّونها، لكي يظهر مجد الله في الخلاص والرحمة، حتَّى عندما استوفى بواسطة نفسِه مطالبَ العدالة.

الخلاصة

ما المبادئ العمليَّة من هذا الفصل؟ تمامًا كما يحتاج النجَّار إلى معرفةِ نوعِ الخشب الذي يعمل عليه، بدأنا بالنظر في المادَّة التي سنستخدمها في العمل على اللاهوت الكتابيّ. نجد في الكتاب المقدَّس نصًّا موحًى به من الله كتبَه بشرٌ في أوقاتٍ مختلفة من التاريخ، لكنَّها تحافظُ على "سردٍ شاملٍ" واحدٍ يجري تنظيمه بواسطة العهود، ويركِّز على مجد الله.

لذلك عندما نأتي إلى تفسير هذا النصِّ والنظر في أهمِّيَّته للخدمة الراعويَّة، فإنَّ علينا أن نضعَ هذه الأمور في الحسبان. يجب أن نسأل عن موضع المقطع في القصَّة كلِّها، وعن الكيفيَّة التي يظهر بها مجدُ الله، وعن الموضع الذي يشغلُه مَن نخدمُهم في القصَّة كلِّها. أخيرًا، سنسأل عن مدى ملاءمتها لمن نخدمُهم.

لذا فلنعُدْ باختصارٍ إلى السؤال الذي بدأتُ به هذا الفصل، عن الزوجَين اللذَين سألا عن إمكانيَّةِ تأجيل عشورهما لإتمامِ عمليَّة شراءٍ كبرى. لم ننظُرْ حتَّى الآن في الأدوات التي سنحتاج إليها للإجابة عن هذا السؤال، لكنْ يجب أن تشعرَ حقًّا بأنَّ الكلمات عن العشور في ملاخي ٣: ١٠

9Marks Online PDF

يجب أن تُفهم في سياق العهد القديم، مع فهمِ كيفيَّة ارتباطها بسياق العهد الجديد الخاصِّ بنا قبل أن نطبِّق العدد على حياةِ المؤمنين في العهد الجديد. كما آمل أن ترى أيضًا أنَّ علينا توقُّعَ أن يكون في الكتاب المقدَّس ما يمكن قَوله للمؤمنين عن وكالتهم على الموارد التي أعطاهم الله إيَّاها. ليس لدينا كتابُ إجاباتٍ مباشر، لكنَّنا لم نُترَك لأدواتنا، أو للنَّصائح الدنيويَّة التي يقدِّمها مخطِّطٌ ماليّ. تشمل السلسلة الإلهيَّة الكبرى للفداء القصصَ المتواضعة لحياتنا بوصفنا غرباءَ ونُزُلاءَ نتبعُ المسيح إلى أرضٍ أفضل.

9Marks Online PDF

القسم الأوَّل

الأدوات التي نحتاج إليها

9Marks Online PDF

الفصل الأوَّل

الأدوات التفسيريَّة: الأسلوب النحويُّ التاريخيّ

بدأ هذا الكتاب بوعدِ تقديم دليلٍ كيفيَّةِ استخدامه للخدمة، وهو دليلٌ من شأنه أن يؤدِّيَ إلى لاهوتٍ مفيدٍ حقًّا. لكنْ حتَّى الآن، ما قدَّمتُه لكم هو التعريف والأساس. لقد قلنا إنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ ليس مجرَّد لاهوتٍ يجدُ مصدرَه في الكتاب المقدَّس، بل لاهوتٌ يحاول فَهْمَ الكتاب المقدَّس بمجمله. وقلنا أيضًا إنَّ الكتاب المقدَّس ليس مجرَّد مجموعةٍ من الأسفار الدينيَّة الموحى بها التي كتبَها أنبياءُ ورسلٌ مختلِفون، بل هو قصَّةٌ واحدةٌ، وسَرْدٌ متماسكٌ لعمل الله للفداء. هذه القصَّة هي الوحيدة التي كتبَها الله، وكان ممثِّلَها الرئيسيَّ وبطلَها، وذروةُ هذه القصَّة هي مجد الله في الخلاص بواسطة الدينونة. غير أنَّها قصَّةٌ عمليَّةٌ بقوَّة، بما أنَّها تشمل الحقيقةَ المتواضعة التي تحدِّد حياةَ كلٍّ منَّا.

وفي هذا الفصل، أودُّ أن أبدأَ بتحقيق وَعدي بالمساعدة العمليَّة. وبمجرَّد أن نُعرِّفَ الكتاب المقدَّس كما فعلنا هنا، فإنَّنا نواجه مشكلة. كيف يمكننا التحقُّق من أنَّنا نقرأ القصَّة ونفهمها فهمًا صحيحًا؟ في هذا الصدد، كيف يمكننا التحقُّق من أنَّنا نقرأ ونفهم الأجزاء المختلفة من القصة فهمًا صحيحًا؟ فلنضَعْ جانبًا الفكرةَ التي الرائعة بأنَّنا يمكن أن نفهمَ الذهن والمقاصد، ومن ثَمَّ، يمكننا أن نفهمَ كلمةَ الله. كيف يمكن أن نثقَ بأنَّنا نستطيع أن نفهمَ بدقَّةٍ كلماتِ نبيٍّ عبرانيٍّ عاش وكتب قبل ثلاثة آلاف سنة؟ أليست الكلمات البشريَّة دون تلك الإلهيَّة؟ أليسَتِ الكلمات البشريَّة مراوِغةً

9Marks Online PDF

وتأتَمِرُ بأمرِ صاحبها على نحوٍ لا يُصدَّق؟ أليس معنى النصِّ فكرةً ذاتيَّة بحسب حُكمِ قائلها؟ فما لم يكُنِ المؤلِّف حاضرًا ليخبرَنا بما قصدَه، فمَن سيقول إنَّ تفسيرًا واحدًا لنصٍّ ما أفضل أو أدقُّ أو أكثرُ إخلاصًا أو ذو غايةٍ أعلى من نصٍّ آخر؟

سأتناول تاليًا بعضَ الجوانب الفنِّيَّة لهذه المشكلة. ولأبدأْ بتوضيح ذلك في سياقٍ يخدمُ فيه كثيرون منَّا كلَّ أسبوع: خدمة الشباب. صباح كلِّ أربعاء، أقودُ تأمُّلًا لأولاد الصفِّ السادس في مدرسةِ أطفالي. ونحن نتأمَّل كلَّ أسبوعٍ في الإنجيل بحسب البشير مَرقُس. ولضمان تفاعُل الأولاد، ولتعليمهم أيضًا كيفيَّةَ دراسةِ الكتاب المقدَّس وحدَهم، أنا لا أعطي درسًا بالتلقين. بل أطلب إليهم قراءةَ المقطع بصوتٍ مسموع، ثمَّ أطرحُ عليهم أسئلةً حول النصِّ الذي قرأوه للتَّوّ. يمكن الإجابة عن جميع أسئلتي تقريبًا من النصِّ نفسه، أو من سياقِه المباشر. لا تكون الأسئلةُ سهلةً دائمًا، لكنَّها دائمًا أسئلةٌ تنشأ من المقطع قَيْد الدراسة.

يكون الأولاد حينها أذكياء متحمِّسون تَرْثارون سعداء. يمرُّون بتمريناتٍ مماثلةٍ في مادَّة الأدب، لذا فالعمليَّة مألوفةٌ لهم. لكنَّ ما يحدثُ أحيانًا صباح كلِّ أربعاء هو أنَّ الكثيرَ من الأولاد يجيبون سريعًا عن الأسئلة دون أن ينظروا مليًّا إلى النصّ. تقعُ هذه الإجابات السريعة دائمًا في واحدةٍ من فئاتٍ عدَّة؛ فهناك إجابةُ مدرسة الأحد- أيًّا كان السؤال، حيث يجب أن يكون الجواب يسوع، أو الصليب، أو الخطيَّة، أو مزيجًا من جميعها. هناك إجابة "سمعتُ القسَّ/ الوالد/ معلِّم مدرسة الأحد يقول...". هذه ليسَتْ إجابةً بتاتًا، بل استدعاءُ سُلطةٍ لئلَّا يُضطَرُّوا إلى التفكير في الأمر بأنفسهم. غير أنَّ الإجابةَ الأكثر شيوعًا تبدأ دائمًا بالآتي: "أعتقد أنَّها تعني..."، وعندما أردُّ على هذه الإجابة بمطالبتهم بكيفيَّة توصُّلهم إلى فكرتهم من النصّ، فعادةً ما يكون الردُّ نظرةً دون أيِّ معالِم، أو غمغَمةً مشوَّشة، كما لو كنت قد طلبتُ أمرًا مجنونًا، مثل السؤال عن أجملِ فتاةٍ في الصفِّ السادس! في مرحلة الصفِّ السادس، يكون الكثير من الطلبة قد تبنَّوا الموقفَ القائلَ إنَّ معنى النصوص الدينيَّة هو شأنٌ خاصٌّ لا يحتاج إلى مزيدٍ من التعليل أكثر من التعبير عن معتقداتهم المخلِصة، حتَّى لو كان هذا التبنِّي دون وعيٍ ناضج. إذا كانت هذه هي الحال في التأمُّلات الصباحيَّة في الصفِّ السادس، فما بالكم بمجموعات درس الكتاب المقدَّس التي يكون أفرادها بالغين من كنائسنا؟

9Marks Online PDF

مشكلةُ المعنى

إذا كنتَ على درايةٍ بالمباحثات الحاليَّة الدائرة حول نظريَّات التفسير، ما يُسمِّيه العلماء "علم التفسير" (Hermeneutics)، فستعرف أنَّ كثيرين اليوم يشكُّون في قدرتنا على معرفة ما يعنيه الكاتبُ بدقَّةٍ عندما كتبَ شيئًا ما، ما لم يكُنْ لدينا وصولٌ مباشرٌ إلى ذلك الكاتب. يُقال إنَّ المسافة والفجوات الزمنيَّة ما بين الكاتب والقارئ من حيث اللغةُ والثقافةُ والسياقُ التاريخيُّ وحتَّى على صعيد التجارِب الشخصيَّة، تُقصي القارئ فعليًّا عن معرفة ما قصده الكاتب بموضوعيَّةٍ ويقين. وقد تسبَّب ذلك لبعض الأشخاص في أزمةٍ حقيقيَّة، في حين كان لآخرين سببًا للاحتفال؛ فهؤلاء يرَون أنَّ فُقدان ما نُسمِّيه "القصد الأصليَّ للكاتب" يعني أنَّ في وُسعنا في النهاية أن نكونَ صادقين في قراءتنا، ونعترف بأنَّنا نستغلُّ النصوصَ لأغراضنا الخاصَّة، لتعنيَ ما نريدها أن تَعنيه.

لم يَعُدِ المعنى الآن يحتاجُ لأنْ يكونَ مرتبطًا بذكاءٍ وبعدم أمانةٍ في عقل الكاتب، بل يمكن أن يكونَ ببساطةٍ المعنى الذي يجدُه مجتمع القرَّاء. وما المعنى الذي يجدونه؟ إنَّهم يجدون المعنى الذي يحتاجون إليه، أو الذي يريدونه، أو المعنى الذي يبدو معقولًا في ضَوء سياقهم هم. في الواقع، هذا النهج الحديث للتَّفسير، القائم على عدم إمكانيَّة الوصول المفترض إلى قصد الكاتب، يعني أنَّه لا يوجد تفسيرٌ رسميٌّ للنصّ، بل فقط ثمَّة مجتمعٌ موثوقٌ يتمتَّع بسُلطة التفسير. منذ آلاف السنين، خدمَتِ المجتمعاتُ النصوص، سواءٌ كانت مقدَّسةً أم سياسيَّة، وعادةً ما كان يحدثُ ذلك لمصلحة مَن هم في السُّلطة وعلى حساب الأقلِّيَّات والمظلومين. الآن، مع ما يعرف بِاسْم منعطف التفسير، صار ثمَّة تحرُّرٌ هائل. فبِتْنا لا نخدمُ النصوص بعدَ الآن. بل النصُّ هو ما يخدمُنا.[١]

ويوجد بالتأكيد بعضُ المجالات التي لم تتناوَلْها هذه الفكرة. فمعظم الأطراف في العقود المكتوبة يصرُّون على أنَّ للعقد معنًى ثابتًا يمكن الوصول إليه. لكنْ في مجالاتٍ أُخرى من القانون،

---

١) عرفتُ هذه الفكرة أوَّل مرَّة حينما كنتُ طالبًا جامعيًّا يدرس الأدب الإنجليزيَّ في ثمانينيَّات القرن العشرين. رغم أنَّ مذاهبَ ما بعد التركيبيِّ والمناهض للتقليديّ، لمؤسِّسيها ديريدا وفوكو وفِش وغيرهم، قد خضعَتْ لنقدٍ وتطوُّرٍ كبيرَين منذ ذلك الحين، فإنَّ عدمَ إمكانيَّة الوصول إلى القصد الأصليِّ للكاتب وعدم أهمِّيَّتها بوصفها مصدرًا موثوقًا للمعنى ما تزالُ سمةً أساسيَّةً لتجربةِ تفسيرِ عصر ما بعد الحداثة. للاطِّلاع على مقدِّمةٍ ومَسْحٍ موجَزٍ ممتازٍ لهذه الحركة، انظر:

D. A. Carson, *The Gagging of God* (Grand Rapids, MI: Zondervan), 92–57.

9Marks Online PDF

لا سيَّما القانون الدستوريّ، إضافةً إلى السياسة عمومًا والأخلاق والدين، لا سيَّما الثقافة الشعبيَّة الحديثة، وطريقة التفكير المعروفة بِاسْم "ما بعد الحداثة"، تبنَّتْ بدافع الانتقام وبعثَتِ الحياة من جديدٍ وعلى نحوٍ خَطِر في المعتقد القديم المعروف بالنسبيَّة.

ويُعيدُني كلُّ هذا إلى السؤال الذي طرحْتُه سابقًا. إذا كان الله هو مؤلِّفَ قصَّةِ الكتاب المقدَّس، لكنَّها قصَّة مكوَّنةٌ من نصوصٍ وضعَها بشرٌ بلغاتٍ وثقافاتٍ وحِقبٍ تاريخيَّة مختلفة، فكيف يمكننا التحقُّق من أنَّنا نقرأ القصَّة قراءةً صحيحة؟ هل يوجَد أصلًا ما يُسمَّى القراءة الصحيحة؟

في الواقع، يوجَد ما يُعرَف بِاسْم المعنى الصحيح للنَّصّ؛ لأنَّ الله هو خالق العالم، وخالق عقولنا، لذا فإنَّ قدرتَنا على استخدام اللغة هي نفسها عنده، وهو إلهٌ يتكلَّم. الله هو خالقُ العقلانيَّة واللغة بحيث يمكن أن تنقلَ اللغةُ المعنى بدقَّةٍ من عقلٍ إلى آخر. وهو نفسُه أثبتَ ذلك ليس فقط بالتصرُّف في التاريخ، بل أيضًا بالتنازل إلى مستوى استخدام اللغة البشريَّة لتفسير ما يفعلُه. نرى هذا مِرارًا وتكرارًا في صفحات الكتاب المقدَّس؛ فالله ليس فقط أرسلَ الضربات العشر على مصر، بل تحدَّثَ إلى موسى وهارون موضِّحًا ما كان يفعله. ليس فقط أنَّ الله شقَّ البحر الأحمر، بل تحدَّثَ وشرحَ ما هو على وشك القيام به وسبب قيامِه بذلك الفعل. ليس فقط جعلَ الله الشعبَ القديمَ أمَّةً، بل تحدَّثَ بصوتٍ مسموعٍ إلى الجموع من جبل سيناء، وأخبرهم بأنَّه جعلَهم شعبًا له.

يمكنني الاستمرار في طرحِ مزيدٍ من الأمثلة، لكنَّ الـمَثَل الأبرزَ هو تجسُّد المسيح نفسه. عندما قرَّرَ الله أن يعلنَ عن ذاته بصورةٍ جليَّةٍ نهائيَّة، لم يرسلْ ملائكةً ولا أطلقَ في السماء آياتٍ وعجائبَ، بل صارَ إنسانًا وتحدَّثَ إلينا بلغةٍ يمكن أن يفهمَها البشر. كما قال كاتب رسالة العبرانيِّين: "الله، بَعدَ ما كلَّمَ الآباءَ بالأنبياءِ قَديمًا، بأنواعٍ وطُرُقٍ كثيرَةٍ، كلَّمَنا في هذِهِ الأيّامِ الأخيرَةِ في ابنِه..." (عبرانيِّين ١: ١ – ٢). ولكي يوضحَ لنا بأنَّنا يجب أن نستمعَ إلى ابنه، تكلَّمَ الله من السماء مرَّتَين: أولاهما في معموديَّةِ يسوع، ثمَّ مرَّةً أُخرى في حادثة التجلِّي. وهذا هو الاستنتاج الذي توصَّل إليه بطرس الرسول:

> "لأنَّنا لم نَتبَعْ خُرافاتٍ مُصَنَّعَةً، إذ عَرَّفناكُمْ بقوَّةِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ ومَجيئِهِ، بل قد كُنَّا مُعاينينَ عَظَمَتَهُ. لأنَّهُ أخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كرامَةً ومَجدًا، إذ أقبَلَ عليهِ

9Marks Online PDF

> صوتٌ كهذا مِنَ المجدِ الأسنَى: «هذا هو ابني الحَبيبُ الّذي أنا سُرِرتُ به». ونَحنُ سمِعنا هذا الصَّوْتَ مُقبِلًا مِنَ السماءِ، إذ كُنَّا معهُ في الجَبَلِ المقدَّس. وعِندَنا الكلِمَةُ النَّبَويَّةُ، وهي أثبَتُ، الّتي تفعَلونَ حَسَنًا إنِ انتبَهتُمْ إليها، كما إلَى سِراجٍ مُنيرٍ في مَوْضِعٍ مُظلِمٍ، إلَى أنْ يَنفَجِرَ النَّهارُ، ويَطلَعَ كوكَبُ الصُّبحِ في قُلوبِكُمْ" (٢بطرس ١: ١٦- ١٩).

ما يعنيه هذا المقطع هو أنَّ الكلمات تنقلُ المعنى عندما توضَعُ في جُملٍ وفِقْرات. ولا تنقلُ الكلمات مجرَّدَ أيِّ معنى، بل تنقلُ المعنى الذي قصدَه الكاتب الذي أنشأ الجُمَلَ والفِقْرات، في إطارِ تعبيره عن نيَّته وقصده. ولأنَّنا نستطيع قراءة الكلمات، ويمكنُنا قراءة كلمة الله، فإنَّ التزامَنا- وامتيازنا- هو أن نقرأ بطريقةٍ تستعيدُ المعنى الذي أرادَ الكاتبُ أن يوصِلَه.

في الواقع، نحن نقرأ بهذه الطريقة طَوال حياتنا. عندما نختارُ مقالةً في صحيفةٍ أو مجلَّة، فإنَّ هدفنا لا يكون هو قراءةَ أفكارنا عن القصَّة المنشورة، بل نحاولُ فهْمَ ما يقوله الكاتب. وقد نستمرُّ في رفْضِ الأفكار أو ربَّما تكون مُلهِمةً لنا. قد نعتقد أنَّ المقالةَ مكتوبةٌ جيِّدًا أو ربَّما نرى أنَّها سيِّئة. ربَّما نفكِّر في كلِّ التطبيقات لمعرفتنا الجديدة التي لم يضعْها كاتب المقالة بتاتًا في الحسبان. لكنْ مهما كان ما ستفعلُه بما قرأتَه، فإنَّ أوَّل ما تفعله بالتأكيد هو البحث عن القصد الأصليِّ للكاتب. وعندما تفعل ذلك، فأنت مشاركٌ في عمليَّة التفسير.

التفسير التحقيقيُّ (Exegesis) هو محاوَلةٌ منضبطةٌ لاستنباط القصد الأصليِّ لكاتب النصِّ بدلَ تفضيلاتنا أو خبراتنا أو آرائنا بشأن ما يعنيه.

كان جيروم يعرف اليونانيَّة والعبريَّة بعد أن كان معظم الناس قد نسوهما، وكان السائد حينها قراءةَ اللاتينيَّة فقط. وقد عبَّر جيروم عن الأمر على النحو الآتي في أواخر القرن الرابع: "إنَّ وظيفةَ المفسِّر هي بيانُ ما يقولُه الكاتب وليس ما يفضِّله المفسِّر نفسه".[٢]

2) Jerome, *Letters*, "To Pammachius" 17.

9Marks Online PDF

لذا فنحن جميعًا نفسِّر كلَّ يومٍ النصوصَ التي نقرأها، من وصفات الأكل إلى كتيِّبات التعليمات، ومن مجلَّتك الرياضيَّة المفضَّلة إلى المدوَّنات التي تستهويك، كما أنَّنا أيضًا نفسِّر كلمة الله. وفي حين أنَّ تفسير الصحيفة يكاد يكون تلقائيًّا، نظرًا إلى أنَّها مكتوبةٌ بلغتنا وثقافتنا، فإنَّ تفسير الكتاب المقدَّس يتطلَّبُ نهجًا أكثر وعيًا. فكلمة الله مكتوبةٌ بلُغاتٍ أخرى في أزمنةٍ أُخرى، لذا يجب أن نحرصَ أكثر على عدم إساءة قراءتها. وما سنفعله في ما تبقَّى من هذا الفصل، هو أوَّلًا النظر إلى طريقةِ التفسير المعروفة بِاسْم الأسلوب النحويِّ التاريخيِّ أو الإعرابيِّ التاريخيّ (Grammatical-historical method). ثانيًا، سنقدِّمُ لمحةً موجزةً عن الأنواع الأدبيَّة المختلفة التي تكوِّنُ الكتابَ المقدَّس. ثالثًا، سندرس كيفيَّة تطبيق طريقتنا على تلك الأنواع المختلفة.

الأسلوبُ النحويُّ التاريخيّ

أصبحت الطريقةُ الأساسيَّةُ للتَّفسير التي نستخدمها لتحديد القصد الأصليِّ للكاتب معروفةً بِاسْم الأسلوبِ النحويِّ التاريخيّ. وقد وصفَها جون أوين بالقَول:

> لا يوجد معنًى آخر فيه [أي في الكتاب المقدَّس] ممَّا هو واردٌ في الكلمات التي ألَّفتْه فعليًّا...ويكون ضروريًّا في تفسيرِ ما في عقل أيِّ شخص أن تكون الكلمات التي يتحدَّثُها أو يكتبها مفهومةً بصورةٍ صحيحة، ولا يمكننا أداءُ عمليَّةِ التفسير في الحال، ما لم نفهَمِ اللغةَ التي يتحدَّث بها...[بما في ذلك التعبيرات الاصطلاحيَّة] لتلك اللغة، مع الاستخدامات الشائعة لتعبيراتها...والقصد من وراء تلك التعبيرات.[٣]

إنَّ تمييز معنى النصِّ بهذه الطريقة يجعلُنا نغوص في الحال في استكشاف القواعد النحويَّة والأدبيَّة والسياق التاريخيِّ للكلمات المقروءة، ومن ثَمَّ الوصول إلى الأسلوب النحويِّ التاريخيّ.

3) John Owen, *Works*, IV, 215, quoted in J. I. Packer, A Quest for Godliness: The Puritan Vision of the Christian Life (Wheaton, IL: Crossway, 1990), 101.

9Marks Online PDF

وفي اكتشاف القصد الأصليِّ للكاتب، يجب أن نتجنَّبَ ما يُعرَف بِاسْم "المغالطة المتعمَّدة"، وهي الفكرة القائلة إنَّ في وُسعنا تجاوُزَ النصِّ باستخدام النصِّ نفسه وصولًا إلى عالمِ الفكر والمشاعر والنيَّات غير المعلَنة للكاتب. غير أنَّه لا يمكننا في الواقع الوصول إلى نفسيَّة الكاتب أو دوافعه ما لم يُعبِّر هو صراحةً عنها بكلماته. إنَّ عقلنا، ومن ثَمَّ المعنى الذي يمكنُنا الوصول إليه، هو العقل المعبَّر عنه الذي كشفَ عن ذاته بالكلمات الموجودة على الصفحة.[٤]

لكنْ بتركيزنا على الكلمات، علينا أن ندركَ أنَّ الكلماتِ في حدِّ ذاتها لا تعني أيَّ شيءٍ بالتحديد. ربَّما يعرف معظمنا أنَّ لكلمة "عين"[٥] مجموعةً من المعاني المحتمَلة، لكنْ حتَّى أضعَ كلمة "عين" في جملة، ثمَّ أضعَ تلك الجملة في فِقْرة، لا يمكننا التيقُّن الجازم بشأن ما أعنيه بتلك الكلمة دون قراءة الفِقرة كلِّها. مثلًا، فكِّرْ في النقطة التي يصبح فيها معنى كلمة "عين" واضحًا لا لبسَ فيه في الفِقْرة الآتية:

> وجْدْنا عَينًا من عيونهم. عُدْنا مُسرورين وشرِبْنا الماء من البئر. كان صَيدًا ثمينًا أن نأسرَ أحَد جنود العدوّ.

إنَّ للكلمة "عين" معانيَ عدَّة في اللغة. من المؤكِّد أنَّ السياق لا يتكلَّم عن العين، وهي عضوُ الإبصارِ في الجسم البشريّ. فهل تعني "عينَ" ماء، أي ينبوعًا؟ لا؛ لأنَّهم شربوا من بئرِهم وليس في السِّياق ما يوحي بأنَّ ما وجدوه هو نبعٌ من ينابيعهم. وتبيَّن أنَّ كلمةَ "عين" هي الاستخدامُ القديمُ لكلمة جاسوس، ويقابلُها اليومَ مصطلحُ جنديٍّ استطلاع. ولم يتَّضحِ المعنى إلَّا عند نهاية الفِقرةِ تقريبًا.

---

٤) للاطِّلاع على مناقشةٍ أوفى لمغالطاتٍ شائعة عدَّة، انظُرِ المرجعَ الآتي:

D.A. Carson, *Exegetical Fallacies* (Grand Rapids, MI: Baker, 1984).

٥) استخدمَ الكاتب في اللغة الإنجليزيَّة كلمة "Ball" ولها معانٍ عدَّة، مثل كرة، وحفلٍ راقص، ووقت طيِّبٍ حقًّا. وارتأينا أن نستخدمَ الكلمة العربيَّةَ "عين" لتوضيح الفكرة المطلوبة من سياقنا (المترجم).

9Marks Online PDF

ومن هنا فإنَّ الوَحدةَ الأساسيَّة للمعنى هي الجملة وليسَتِ الكلمة. والوَحدة التي تحدِّد معنى الجمل، ومن ثَمَّ الكلمات الواردة فيها، هي الفِقْرة.

يعني هذا أنَّ السؤالَ الأساسيَّ الذي يسعى الأسلوبُ النحويُّ التاريخيُّ إلى الإجابة عنه هو "ماذا تعني هذه الجملة؟" وليس "ما معنى هذه الكلمة؟". في الإجابة عن هذا السؤال، ندرك سريعًا أنَّ السياقَ هو الملك.[٦] لذا فالخطوة الأولى في التفسير هي قراءة النصِّ كلِّه، مِرارًا وتَكرارًا. فالتفسير إذًا يبدأ بالكلّ، وليس بالجزء. ثمَّ نتحرَّك إلى الوراء، في سياق الكلّ، باستخدام الأجزاء، بالعودة إلى مستوى الجُمَل، ثمَّ إلى الكلمات. وما نتعلَّمه ونكتشفه هناك يُعيدنا إلى المقطع كلِّه بفَهْمٍ أدقَّ، وربَّما معنًى أدقَّ أيضًا.

القواعد النحويَّة

يبدأ كلُّ هذا بتحليلٍ نحويٍّ تركيبيٍّ أساسيٍّ للنصّ.

- أوَّلًا، كيف ينقسم النصُّ الأكبر إلى وَحدات؟ هذه وظيفة النوع الأدبيّ: مثلًا في الرسائل تكون الوَحدة هي الفِقْرة، وفي الشِّعر تكونُ البيت، وفي السرد التاريخيِّ تكون الحدثَ أو القصَّة.
- ما الانسياب العامُّ للحُجَّة المنطقيَّة في النصِّ الذي تقرأه؟ هل هناك توكيدٌ معزَّزٌ بأحكامٍ ثانويَّة؟ هل يُظهِرُ الكاتب تبايُنًا، أم يوضِّح مبدأً، أم يُنشئ نمطًا، أم يحثُّ على تجاوُبٍ ما؟
- بالنظر إلى جملةٍ معيَّنة، ما الفعل والفاعل والمفعول به؟ وكيف ترتبط بعضُها ببعض؟ (إذا سبقَ لك أن حلَّلْتَ الجملَ في المدرسة، فسوف يساعدُك هذا التحليل بينما تقرأ هذه الفكرة).
- كيف ترتبط الجمل بعضها ببعض؟ إنَّ الانتباه إلى أدوات الربط يسمحُ لنا باستيعاب الانسياب المفصَّل للأفكار. الهدف هنا هو تحليل النصّ، ومحاولة توضيح الانسياب المنطقيِّ بُغيةَ تحديد النقطة الأساسيَّة للكاتب، والوسائل المختلفة التي يدعم بها تلك النقطة.

---

٦) أوضحَ كثيرون هذه الفكرة، لكنِّي شاكرٌ لسكوت هافيمان، الذي نقشَ هذا المفهوم للمرَّة الأولى في ذهني منذ سنوات عدَّة حينما كنتُ طالبًا في السنة الأولى في كلِّيَّةِ لاهوت غوردون كونويل.

9Marks Online PDF

أتشعر بأنَّ الأمرَ يَفوق قدراتك؟ تشجَّعْ. لكلِّ خطوةٍ من هذه الخطوات، عليك فقط أن تقرأ بتأنٍّ مع فهمٍ أساسيٍّ للقواعد والمنطق. ليس عليك أن تُدليَ بأيِّ تعليقات حتَّى هذه المرحلة.

التاريخيّ

بعد ذلك، ما الذي تُخبرُك به السياقات المختلفة الأكبر لتعزيز فهمك لمعنى النصّ؟

- كيف يتلاءم نصُّك مع الحُجَّة الأكبر للسِّفر أو للقِسْم الذي تقرأه من الكتاب المقدَّس؟
- هل يُلقي السياقُ التاريخيُّ (الكاتب والزمن والجمهور والمنشأ [السياق المكانيُّ للنصّ])، الضَّوءَ على فهمك للكلمات أو الحُجَج المدرَجة، في حال كان هذا السياق معروفًا؟
- هل هناك سياقٌ ثقافيٌّ يجب أن تحرصَ على معرفته؟ مثلًا، مَن كان الفَرِّيسيُّون؟ ما حقوقُ المرأة في العالم الرومانيّ؟ أو ما الفرق بين السُّرِّيَّة والزوجة في زمن العهد القديم؟
- هل هناك قضايا تتعلَّق بالجَغرافيا أو السياسة أو التاريخ تُلقي الضَّوء على المعنى؟ مثلًا، أين تقع ترشيش بالنسبة إلى نينوى؟ ما المميَّز في قيصريَّةِ فيلبِّي حتَّى إنَّ يسوع استثارَ هناك اعترافَ بطرسَ (بأنَّ يسوعَ هو المسيح)؟

ما لم تكُنْ دارسًا متفرِّغًا للكتاب المقدَّس، فإنَّ معظم هذه المسائل لن تكون ضمن معلوماتك العامَّة. عند هذه المرحلة، تكون ملاحظات الكتب التفسيريَّة وقواميس الكتاب المقدَّس والموسوعات والخرائط في أطلس الكتاب المقدَّس مفيدةً جدًّا.

كتابيّ (الارتباط بالأسفار الأخرى)

أخيرًا، ربَّما يكون السؤال السياقيُّ الأهمُّ هو كيفيَّةَ ارتباطِ هذا النصِّ بالأجزاء الأُخرى من الكتاب المقدَّس. سأستعرضُ هذه المسألة بتفصيلٍ في فصلٍ لاحق، لكنْ يكفي أن أقول إنَّه إذا اقتُبسَ النصّ، أو جرى التلميح إليه، أو كان يُشبِهُ جزءًا آخرَ من الكتاب المقدَّس، فهذا يُعزِّزُ فهمَنا للقصد الأصليِّ للكاتب.

9Marks Online PDF

أهمِّيَّة الأنواع الأدبيَّة

ذكرتُ سابقًا أنَّ الوَحدةَ الأساسيَّة للفكرة ستختلف اعتمادًا على النوع الأدبيِّ الذي نتعامل معه. لكنِّي لم أشرَحْ ما يعنيه النوع الأدبيّ.

النوع الأدبيُّ هو ببساطةٍ مصطلَحٌ تستخدمُه الأشكال الأدبيَّة المختلفة لوَصْف النصوص المختلفة للكتابة وتمييزها بعضها عن بعض. هذا مهمٌّ لفَهْمِ الكتاب المقدَّس وذلك لأسبابٍ عدَّة. أوَّلًا، تميل الأنواع الأدبيَّة المتميِّزة إلى وجودِ قواعدَ أو أنماطٍ مختلفة للتواصُل، ونحن ندرك هذا بالحدس. عمومًا، لا يُشبه الشِّعرُ المقالةَ الصحفيَّة؛ لأنَّ الشِّعر والنثرَ نوعان مختلفان، مع مجموعةٍ فريدةٍ من القواعد الخاصَّة بكلٍّ منهما. ولهذه القواعد والأنماط تأثيرٌ حقيقيٌّ في معنى الكلمات والجمل التي يضعُها الكاتب. علاوةً على ذلك، ترتبط بعض أنماط الكلمات ارتباطًا وثيقًا بنوعٍ أدبيٍّ معيَّنٍ بحيث يحدِّد استخدام تلك الكلمات في الحال ما نقرأه، وكيفيَّة تفسيرنا له. "كان يا ما كان..." تشير إلى حكايةٍ خياليَّة لا تاريخيَّة، في حين تدلُّ كلماتٌ مثل "إلى العزيز جميل...مع محبَّتي، سالي" إلى رسالة، وليس إلى لائحةِ دعوى قانونيَّة. إذا كنَّا سنقرأ نصًّا ما حرفيًّا- أي وَفْقًا لمعنى الكلمات والقصد الأصليِّ للكاتب- فعلينا تحديد النوع الأدبيِّ للنصّ.

السبب الثاني في أهمِّيَّة فهْمِ النوع الأدبيِّ هو أنَّ من السهل إدراك أنَّ الكتاب المقدَّس يتضمَّن أنواعًا أدبيَّةً عدَّة. إنَّ كلَّ الكتاب المقدَّس صحيح، ويجب أن يُقرأ كلُّه حرفيًّا، لكنَّ القراءةَ الحرفيَّة للشَّرائع في سِفر الخروج تختلفُ عن القراءة الحرفيَّة للشِّعر في مزمور ١٧. بخلاف ذلك، فإنَّنا نواجه خَطَرَ الاضطرار إلى قَولِ إنَّ داوُد ينقضُ في المزمور ١٧ الوصيَّة الثانية من الوصايا العشر حينما يصف جناحَين لله كجناحَي الطائر يسترُ داوُد نفسَه بظلِّهما (العدد ٨).

ثالثًا، من المهمِّ فهمُ النوع الأدبيِّ لأنَّه يساعدنا في الأسفار أو المقاطع التي نشعر بأنَّها غريبةٌ ثقافيًّا ويصعب فهمُها. مثالان واضحان على ذلك هما سلاسلُ النسب والأدبُ النبويُّ أو الرُّؤيَويّ. عادةً ما لا نصادفُ في النصوص التي نقرأها يوميًّا مثل هذَين النوعَين من النصوص، لكنَّ الكتاب المقدَّس يتضمَّن عددًا ليس بقليلٍ من الأمثلة على كلَيهما. فهل نطبِّق فقط قواعد النوع الأدبيِّ المختصِّ بالنَّثر أم بالرسائل؟ هذا ما فعلَه بعض الأشخاص، فأنتجَ ذلك سلاسلَ نسبٍ مملَّةً

9Marks Online PDF

وأدبًا رؤيَويًّا خياليًّا. غير أنَّ الواقع يقول إنَّ لكلا هذَين النوعَين قواعدَ وأعرافًا واصطلاحاتٍ محدَّدة. وإذا أرَدْنا قراءتها قراءةً صحيحة، فعلينا أوَّلًا فَهْمُ تلك القواعد والأعراف.

تفسير الأنواع الأدبيَّة المختلفة في الكتاب المقدَّس

ما الأنواع الأدبيَّة التي تردُ في الكتاب المقدَّس؟ لا يتَّسع فصلٌ واحدٌ للإجابة عن هذا السؤال، لكنِّي سأخَصِّصُ الإجابة باستعراضِ الأنواع الأدبيَّة الأساسيَّة السبعة، وإظهارِ كيفيَّةِ تفسير كلٍّ منها باستخدام الأسلوب النحويِّ التاريخيّ.

١. السَّرد أو النَّثر

يؤلِّفُ السردُ الجزءَ الأكبرَ من الكتاب المقدَّس؛ فهو يمثِّل ٤٠٪ من العهد القديم، و٦٠٪ من العهد الجديد. ليس ذلك فحسب، بل يوفِّر السردُ أيضًا الإطارَ العامَّ الذي نفهمُ به كلَّ الأنواع الأدبيَّة الأخرى. والآن كيف يمكننا تفسير السرد؟

- أوَّلًا، ننتبه إلى القصَّة وتفاصيلها. النقطة الأساسيَّة هي في الحبك الدراميِّ وطريقة تقدُّمه مع سَير الأحداث. ويستخدم السرد الكتابيُّ، حالُه حالُ أيِّ سردٍ، كلَّ الأدوات المعتادة:
  - التطوُّرُ الزمنيُّ للأحداث
  - الحبكُ الدراميُّ والأدوات البلاغيَّة، مثل الحوار، وتغيير المنظور، والذروة
  - تطوُّر الشخصيَّات
  - الأدوات الأدبيَّة مثل التضمين (inclusio) (باستخدام كلماتٍ أو عباراتٍ متكرِّرة تأتي قبل قصَّةٍ معيَّنةٍ وبعدها في سِفرٍ ما) والتوازي المتقاطع (Chiasm) في الشِّعر العبريّ (الذي يتَّبع نمطًا يتوازى فيه البيتُ الأوَّل مع الأخير، والثاني مع ما قبل الأخير، وهكذا وصولًا إلى مركَزِ القصيدة).

9Marks Online PDF

- ترتيب المشهد، بما في ذلك العودة إلى ذكريات الماضي (Flashbacks) واللقطات الفاصلة أو المتدرِّجة (Cutaways).
- ثانيًا، لنتذكَّرْ أنَّ الراويَ كان انتقائيًّا في ما سجَّلَه، ومن ثَمَّ فإنَّ التفاصيل الموجودة مهمَّة. كيف تُسهِمُ التفاصيل في منظور السَّرد؟ كيف يرتبط هذا السرد مع ما سبقَه وما تلاهُ؟
- ثالثًا، السياق هو الملك. كيف يتناسب هذا السرد مع الأجزاء الأخرى من الكتاب المقدَّس، والأجزاء الأخرى من هذا القسم من الكتاب المقدَّس، ومع سردِ الكتاب المقدَّس بمجمله؟
- رابعًا، ما الهدف من السرد في ضَوء غايةِ الكاتب من كتابة السِّفر؟ ليسَتِ القصَّة هي غايةً في حدِّ ذاتها، ولسنا نحن بالضَّرورة (في التطبيق الشخصيّ) الفكرة أيضًا!
- مثلًا: في ١صموئيل ١٧، نقرأ قصَّة داوُد وجُليات. عندما ننتبه إلى التفاصيل والسياق، نرى أنَّ هذه ليسَتْ قصَّةً أخلاقيَّةً عن الشجاعة في مواجهة الصِّعاب الهائلة. ونتجنَّب أيضًا تحويلها إلى تشبيهٍ رمزيّ، حيث تمثِّلُ كلُّ التفاصيل الواردة حقائقَ روحيَّة، بل هي تعريفٌ بالملك غير المتوقَّع الذي يهزمُ العدوَّ في نِزالٍ واحدٍ ويخلِّصُ شعبَ الله. في سياق سِفر صموئيل الأوَّل، تُبرِزُ هذه القصَّة تباينًا مع شاوُل، الملك الصريح الذي تبيَّن أنَّه ليس الملكَ الحقيقيَّ المختار. وفي النهاية، تقودُنا القصَّة إلى المسيح، الذي هزمَ أعداءَ شعبِ الله في نزالٍ واحدٍ على الصليب، وأعادَنا إلى الله.

٢. الأمثال

الأمثال هي نوعٌ أدبيٌّ مهمّ، وغالبًا ما يُساء فهمها. توجد الأمثال عمومًا في البشائر الأربع، وهي موجودةٌ أيضًا في أسفار الأنبياء في العهد القديم. الـمَثَلُ فعليًّا هو مقارنةٌ تصويريَّةٌ ما بين أمرٍ مألوفٍ معروف، وحقٍّ روحيٍّ أو حقيقة. وعادةً ما تكون الصورة خياليَّة، لكنَّها من الواقع. فهي ليسَتْ مجازيَّةً عمومًا، حتَّى عندما تمثِّل أجزاءٌ مختلفةٌ من الصورة حقائقَ روحيَّةً عدَّة. في أحيانٍ كثيرة تضيفُ التفاصيلُ وضوحًا بهيًّا إلى الصورة. والآن كيف يمكننا تفسير الأمثال؟

9Marks Online PDF

- السؤال الأهمُّ الذي ينبغي طرحُه حول الـمَثَل هو: "ما الفكرة الأساسيَّة من الـمَثَل؟".
- انتبهْ إلى التَّكرار (الذي يشبه التشديد على كلمةٍ ما بوضعها بخطٍّ غامق)، أو إلى عكسِ التوقُّعات، أو إلى التغيُّر في الحديث من صيغة المتكلِّم إلى صيغة الغائب. هذه كلُّها تلميحاتٌ تشير إلى الفكرة الأساسيَّة التي يشدِّد عليها الـمَثَل.
- عادة ما تكون الخلاصة أو الفكرة الأساسيَّة في نهاية الـمَثَل، وعادة ما تركِّز على طبيعة الملك أو ملكوته.
- لا يزال السياق هو الملك، لذلك ينبغي تفسير الأمثال في ضَوء السياق السرديِّ الأكبر. لا تَنتزِعِ الأمثالَ من سياقها الذي وضعَها الكاتب فيه، كما لو كانَتِ الأمثالُ مجموعةً عشوائيَّةً من الحكايات الشعبيَّة الخياليَّة.
- مثلًا: مرقس ٤: ٣٠- ٣٢- مَثَل حبَّة الخردل. توجَدُ الفكرة الأساسيَّة من هذا الـمَثَل في الخلاصة، مع الوضع في الحسبان السياق الذي وُضِعَ الـمَثَل فيه. يوضِّح يسوع النموَّ المفاجئَ غير المتوقَّع للملكوت من شيءٍ ضئيل (كحبَّة الخردل) إلى شيءٍ هائلِ الامتداد. وهكذا فإنَّ التطبيقَ ليس احتقارَ الشيء الضئيل، ولا النموَّ المحبِط بسبب الغموضِ الحاليِّ لوضعِ الملكوت. ليس المقصود أن نصوِّرَ الطيورَ على فروعها، أو أن نُصابَ بالارتباك من حقيقةِ وجودِ بذورٍ صغيرة ونباتاتٍ كبيرة.

٣. الشِّعر

يمثِّل الشِّعر ثُلثَ العهد القديم (وهذا الثُّلث بالمناسبة هو أكبر من أسفار العهد الجديد مجتمعةً). ويوجَدُ الشِّعر في أسفارٍ قائمةٍ بذاتها (مثل المزامير)، كما يوجَد أيضًا ضمنَ جميع الأنواع الأدبيَّة الأخرى مثل أسفار الحكمة والأسفار النبويَّة. إنَّ مفتاح تفسير الشعر العبريِّ هو إدراك أنَّه يُكتَب بلغةٍ جزيلةٍ كثيفةٍ غنيَّةٍ بالصور. إنَّ الشعرَ في أيَّةِ لغةٍ يهدفُ ليس فقط إلى إيصال الحقِّ، بل أيضًا إلى إثارة المشاعر. من جهةٍ أخرى، لا يتَّبعُ الشعرُ العبريُّ قوافيَ وأوزانًا شعريَّةً يمكنُ تمييزها، بل يستخدمُ أدواتٍ أخرى لنَظْمِ التراكيب الشِّعريَّة. والآن كيف يمكننا تفسير الشعر؟

9Marks Online PDF

- السمة الأكثر شيوعًا للبنية الشعريَّة العبريَّة هي التوازي الذي يأتي في ثلاثة أشكالٍ مختلفة- المترادِف (تتكرَّر الفكرة للتشديد عليها)، والمتراكِب (تُبنى الفكرةُ على سابقتِها)، والمتعاكس (حيث تتباين فكرةٌ مع فكرةٍ أُخرى).
- وتشمل السِّمات الأخرى التلاعُب بالألفاظ، والجِناس، وترتيب الأبيات وَفقَ الحروف الأبجديَّة (أبجد هوَّز...)، والتَّكرار، والمبالَغة، والتبايُن، والكناية، والمجاز المرسَل بأنواعه (حيث يعبِّر الكلُّ عن جزء أو العكس).
- يَستخدمُ الشِّعر العبريُّ أيضًا الاستعارات والتشبيهات، والتعابير المجازيَّة التصويريَّة، والتهكُّم، والتلطيف.
- ولعلَّ أهمَّ مفتاحٍ لتفسير الشِّعر هو تذكُّرُ أنَّه قصيدة؛ إذ تختلفُ القراءةُ الحرفيَّة للشِّعر عن القراءة الحرفيَّة للنَّثر.
- مثلًا: مزمور ١٩: ٧- ١١. هذه الأعداد هي مثالٌ موسَّعٌ على التوازي المترادِف. ولا يتكلَّم داوُدُ عن ستَّةِ أمورٍ مختلفة، بل عن أمرٍ واحد: كلمة الله. إنَّه يتعامَل معها كأنَّها ألماسة مصقولةٌ مرفوعةٌ في مواجَهةِ الضَّوء. في كلِّ عبارة يحرِّكُ الألماسة قليلًا لتأمُّل وجهٍ مختلفٍ لها. والهدف من التأمُّل الشعريِّ هو أن يولِّدَ فينا رؤيةً وقيمةً عاليةً لكلمة الله وإقناعنا بالاستنتاج الذي توصَّل إليه في العدد ١١.

٤. الحكمة

كثيرون يفضِّلون أدبَ الحكمة في الكتاب المقدَّس، لكنَّهم يرَون فيه مشكلاتٍ أيضًا. إنَّه مفضَّل لأنَّه عمليٌّ جدًّا، كما أنَّه حافلٌ بالمشكلات لأنَّه أقلُّ شَبَهًا بالأنواع الأدبيَّة التي نتفاعل معها في عالم اليوم. كما تبدو مقاطع أسفار الحكمة مفصولةً انفصالًا غريبًا عن الفكرة الأساسيَّة في الكتاب المقدَّس: الفداء الذي في المسيح يسوع.

9Marks Online PDF

في الواقع، أدب الحكمة عمليٌّ جدًّا؛ لأنَّه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفكرة الأساسيَّة للكتاب المقدَّس. ويتناولُ أدبُ الحكمة العَيش بصلاحٍ في العالم وفي نور صفات الله وشخصه القدُّوس. والحكمة هي ثمرةُ مخافة الربّ، ما يعني أنَّها يجب أن تكون موجَّهة بصورةٍ صحيحةٍ نحو الله وخليقته، بما في ذلك الآخرون. إنَّها تتناوَلُ ما هو صحيح عمومًا، لكنَّها تعالجُ أيضًا ما يبدو أنَّه استثناءات لذلك الحقِّ العامّ. والآن كيف يمكننا تفسير أدب الحكمة؟

- علينا إدراكُ أنَّ أدبَ الحكمة يأتي إلينا بصورٍ عدَّة، أو أنواع أدبيَّةٍ فرعيَّة.
  - الدراما (أيُّوب ونشيد الأنشاد)
  - المقولات (أمثال ٩– ٣١)
  - اعترافات السيرة الذاتيَّة والموعظة (سفر الجامعة، الأمثال ١ – ٨).
- مهما كان الشكل، فإنَّ المفتاح في التفسير هو قراءته في السياق ووَفقًا للغَرضِ المعلَن.
  - يهدف سِفر أيُّوب إلى معالجة مشكلةِ المعاناة المجحِفة.
  - ويعتزم سفر الجامعة تناوُلَ معنى الحياة تناوُلًا واقعيًّا.
  - وتهدف الأمثال إلى استثارةِ مخافةِ الربِّ في النفوس، ثمَّ تبيِّن كيف أنَّ وجود المخافة (أو غيابها) يَظهَرُ في سياقاتٍ عدَّة متنوِّعة. غير أنَّ الأمثالَ ليستْ تشريعًا حاسمًا مؤكَّدًا.
  - سِفرُ نشيد الأنشاد هو احتفالٌ بالمحبَّة الإنسانيَّة في الزواج الذي يشير إلى ما وراء ذاته إلى محبَّة الله لشعبه.
- مثال: سفر الأمثال ١٢: ٢١: "لا يُصيبُ الصِّدِّيقَ شَرٌّ، أمَّا الأشرارُ فيَمتَلِئونَ سوءًا". تجعلُ القراءة دون تأنٍّ القارئ يرتكب أحَدَ خطأين. سيفترض أنَّ هذا صحيحٌ دائمًا، ومن ثَمَّ سيرى أنَّ المعاناة هي دينونةٌ إلهيَّةٌ في مواجهةِ الشرّ. وبدلَ ذلك، سيشير ببساطةٍ إلى أيُّوب، أو إلى يسوع، ويقول إنَّ المثلَ خاطئٌ بوضوح. لكنَّ هذا المثَلَ لا يقدِّمُ وعدًا مطلَقًا، ولا هو يناقِضُ سِفرَ أيُّوب. بل حالُه حالُ كلِّ الأمثال هو صحيحٌ عمومًا (وليس

9Marks Online PDF

بالمطلَق). في الكون الأخلاقيِّ الذي خلقَه الله، عادةً ما يجلب الشرِّيرُ المتاعبَ إلى نفسه، وعادة ما يجلب الصدِّيقُ البركة. وما وراء الطابع المَثَلِيِّ لهذا التصريح، فإنَّ الـمَثَل يشير أيضًا إلى بركةٍ في نهاية المطاف وإلى دينونةٍ تأتي من الله. ورغم وجودِ استثناءاتٍ في هذه الحياة، فإنَّ الله سيحفَظُ في النهاية هذا الـمَثَل في الدينونة الأخيرة.

٥. النبوَّات

تحتوي الأسفار النبويَّة على النثر والشعر كلَيهما، لكنَّ ما يُميِّزها بوصفها نوعًا أدبيًّا خاصًّا هو وجودُ وحيٍ نبويّ– "هكذا يقول الرَّبّ"– علاوةً على الوظيفة التي تؤدِّيها هذه النبوَّات الموحى بها. يصلُ الأنبياءُ إلى المشهد الكتابيِّ كأنَّهم مدَّعون عامُّون، يترافَعون في القضيَّة الإلهيَّة في دعوى قضائيَّة مرفوعةٍ على الشعبِ القديم لانتهاكهم العهد. وهم ليسوا فقط يترافعون في القضيَّة، بل يُنبِئون أيضًا بالدينونة الآتية (بالدعوة إلى التوبة)، ويعلنون عن الخلاص المستقبليّ (الدعوة إلى الإيمان). والآن كيف يمكننا تفسير النبوَّات؟

- السِّمة الأساسيَّة– والمشكلة– للتفسير هي ديناميكيَّة تحقيق الوعد. وهذا ما يُميِّزُ المفسِّرين بعضهم عن بعض. ويساعدُنا زمان تحقيق النبوَّة ومكانُها وطريقتها على فَهْمِ معناها.
- أحد الجوانب المهمَّة للنبوَّة هو الإيجازُ النبويُّ للأحداث (لبيان عمقِها). يرى الأنبياء الجبالَ في الأفق البعيد خطًّا واحدًا ثنائيَّ الأبعاد. وحالما نصل إلى هناك في التاريخ ونرتحلُ إلى تلك الجبال، نكتشف أنَّها سلاسِلُ عدَّة تفصلُ ما بينها مسافاتٌ شاسعة. ويعني هذا أنَّ لمعظمِ النبوَّات، إنْ لم يكُنْ لجميعها، آفاقًا عدَّة من مستويات التحقُّق.
- مثلًا، في سِفرِ إشعياء، "آية عِمَّانوئيل" في الأصحاح ٧ تتحقَّق في الأصحاح ٨ في ابن إشعياءَ نفسِه. لكنَّ تلك ليسَتْ سوى السلسلةِ الأولى من الجبال. وخلف سلسلة الجبال يرتفعُ شاهقًا التحقيقُ النهائيُّ للنصِّ في ولادة يسوع المسيح.

9Marks Online PDF

- وإليكم مثَلًا آخرَ في نبوَّة الدينونة النهائيَّة في إشعياء الأصحاحات ٢٤– ٢٧. تتحقَّقُ هذه النبوَّة أوَّلًا بالسبي البابليِّ للملكة الجنوبيَّة، ويمكن أن تتحقَّقُ سلسلةٌ جبليَّةٌ ثانية من التحقُّق بتَدمير روما لأورشَليم في عام ٧٠م. في نهاية المطاف؛ وفي ضَوء الإعلان، ندرك أنَّ هذه النبوَّةَ تتحقَّق في نهاية العالم في اليوم الأخير.
- السِّمةُ المشترَكة للنبوَّة هي استخدام لغةٍ وصورٍ من الماضي لوَصْفِ المستقبَل. تُستخدَم صُوَرُ الخلق وجنَّة عَدْن والطوفان وسدوم وعمورة والخروج من مصر لوَصْفِ أحداثٍ مستقبليَّة. وتزوِّدنا هذه الصور بفهمٍ لاهوتيٍّ لِما يحدث، وليس بالضرورة بفهمٍ حرفيٍّ له.
- ليستْ كلُّ النبوَّات غيرَ مشروطة، والمثال الأشهَر على ذلك هو تحذير يونان لأهل نينوى، حيث تنبَّأ يونان أنَّ نينوى ستنقلب، إلَّا إذا تابَ شعبها. وبالفعل تابَ أهلُ نينوى، فلم تتحقَّقِ النبوَّة.
- والقليل من النبوَّات ليس تنبُّئيًّا، بل وَصْفيّ (رمزيّ). مثلًا، يفهم العهد الجديد أنَّ الكثيرَ من حياة الملك داوُد توقَّعَتْ مجيء المسيَّا.
- وكما هي الحال دائمًا، فالسياق هو الملك. في حالةِ النبوَّة، يكونُ شكلُ قصَّةِ الكتاب المقدَّس بمجملِها أمرًا غايةً في الأهمِّيَّة. وعلينا أن نتذكَّرَ أنَّ الإعلانَ متدرِّج، وفي إعلان يسوع المسيح، أُعطينا الفكرةَ الأساسيَّة ونهاية القصَّة. ويعني هذا أنَّ لدَينا أفضليَّةً على قرَّاءِ العهد القديم. نحن نعمل من قصَّة الكتاب المقدَّس بمجمله عودة إلى النبوَّة، وليس العكس. وكما يؤكِّد لنا بطرس الرسول في ١بطرس ١: ١٠– ١٣، فإنَّ بشارة الإنجيل تعطينا رؤيةً أوضَح ممَّا كانت عليه رؤيةُ أنبياءِ العهد القديم. لذلك يحدِّدُ العهد الجديد المعنى النهائيَّ لنبوَّة العهد القديم، وليس العكس.
- مثلًا: إشعياء ١١– نبوَّة حكمِ غصنٍ من أصل يسَّى. تستندُ هذه النبوَّة إلى صورٍ من سِفرِ التكوين الأصحاح ٢ (جنَّة عَدْن)، وسفرَي الخروج ويشوع. وتصفُ النبوَّة المستقبلَ في صورٍ متداخِلة: بالعودة إلى جنَّةِ عَدْن، والخروج الثاني، والانتهاء من العمل غير المكتمِلِ لدخول أرض الميعاد. وبجَمعِ هذه الصور معًا، وكثيرٌ منها هو صُوَرٌ شعريَّة، علينا أن

9Marks Online PDF

نميِّزَ أنَّ للنبيِّ قصدًا لاهوتيًّا، وليس بالضَّرورة تنبُّؤات تاريخيَّة حرفيَّة. وسيُنجَزُ كلُّ هذا بالحكم التقيِّ لفرعٍ من جذع يسَّى، الذي يوصف بمصطلحاتٍ مأخوذةٍ من حضور الله في سفر الخروج (العددان ١٠ و١١). لذلك تشير النبوَّة في النهاية إلى الابن السماويِّ لداود، الإله- الإنسان يسوع المسيح، وحكمه الشاملِ في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

٦. الرسائل

الرسائل هي النوع الأكثر مباشرةً بين الأنواع الأدبيَّة؛ لأنَّها مكتوبةٌ إلى أناسٍ حاضِرين في الجزء ذاته من القصَّة الذي نحن فيه الآن- أي إلى مؤمنين يعيشون ما بين قيامة المسيح ومجيئه الثاني. والآن كيف يمكننا تفسير الرسائل؟

- كما هي الحال دائمًا، فإنَّ السياق مهمٌّ جدًّا. هذه الرسائل هي وثائقُ شَهِدَ إرسالَها مناسَباتٌ معيَّنة، وليست أطروحاتٍ لاهوتيَّةً مجرَّدةً قُصِدَ بها أن توضَع على رفوف المكتبات. لقد كتبَها الرسلُ إلى المؤمنين الحقيقيِّين الذين واجهوا مشكلاتٍ حقيقيَّة، سواء كانت أخلاقيَّةً أم مرتبطةً بالعقائد أم كلَيهما.
- وما دامَتْ هذه الرسائلُ مدفوعةً بمشكلة (مشكلات) أو نزاع (نزاعات) في الغالبيَّة العُظمى من الحالات، فإنَّ الكاتب كان يحاولُ تطبيقَ حقٍّ بشارةِ الإنجيل لمعالجة المسألة (المسائل) المطروحة. ويعني هذا أنَّ الشكلَ الأساسيَّ للكلام سيكون الحُجَجَ المنطقيَّة. لذا يجب أن ننتبهَ إلى انسيابِ الحُجَّة وتفاصيلها.
- أدرك الرسل بوعيٍ في أنفسهم أنَّهم متلَقُّون لوعود العهد القديم وتحقيقها في ضَوء عملِ المسيح. لذلك فإنَّ "السياق" الأساسيَّ لرسائل العهد الجديد ليس اليونانيَّ الرومانيّ، بل هو سياقُ العهد القديم.
- عادة ما يكون تطبيقُ الرسائل يسيرًا مباشرًا، لكنْ تظلُّ هناك بعضُ الفجواتِ الثقافيَّة وتلك المرتبطة بتاريخ الفداء. لذا علينا أن نكونَ حسَّاسين في التعامُل مع مثل هذه الأسئلة.

9Marks Online PDF

- مثلًا: أفسس ٢: ١١- ٢٢. التطبيقُ النموذجيُّ لهذا المقطع في كنائسَ إنجيليَّةٍ عدَّة هو المصالَحَةُ العِرْقيَّة. لكنْ إذا أبدَينا اهتمامًا بالرسالة نفسها والسياق الكتاب المقدَّس كلِّه، فسندركُ أنَّ بولسَ الرسولَ يتحدَّث أوَّلًا وقبل كلِّ شيء بشأن إزالةِ الانقسام ما بين اليهود والأُمم. وقد كان هذا التقسيم ليس فقط عِرْقيًّا، بل كان لاهوتيًّا أيضًا؛ لأنَّه وضعَ حدودًا لشعبِ الله. وتعني إزالة هذا الانقسام في المسيح أنَّ الأممَ صاروا الآن مَوضعَ ترحيب، ولا ينبغي إقصاؤهم من الخلاص الذي أعدَّه الله. لذا فالحديثُ بشأن المصالَحَة العِرقيَّة هو أمرٌ ثانويٌّ في هذا المقطع مقارَنةً بالانقسامات الأُخرى.

٧. الأدب النبويُّ الرؤيَويّ

ممَّا لا شكَّ فيه، الأدب الرؤيَويُّ هو الأكثر إثارةً للاهتمام، والأصعبُ في الوقت نفسه من كلِّ الأنواع الأدبيَّةِ الأخرى. الخيال العلميُّ هو أقربُ نوعٍ أدبيٍّ نعرفه إلى الأدب الرؤيَويّ. والهدف من الأدب الرؤيَويِّ هو مَنْحُ الرجاء لشعبِ الله في خِضَمِّ المعاناة الحاليَّة استنادًا إلى الانتصار الإلهيِّ المؤكَّد على أعدائهم، سواء في الحاضر أم في المستقبل. وللقيام بذلك، يعتمد الأدب الرؤيويُّ اعتمادًا كبيرًا على صورٍ من الماضي، إضافةً إلى تصويرٍ مجدَّد. والفكرة المهمَّة هي مراجعةُ مسحٍ شاملٍ للتاريخ، وإبرازُ ذروَتِهِ في انتصار ملكوت الله. والآن كيف يمكننا تفسير الأدب الرؤيَويّ؟

- مثالان أساسيَّان عن الأدب الرؤيَويِّ في الكتاب المقدَّس هما دانيال ورؤيا يوحنَّا. لكنَّ كلَيهما يتضمَّنان ما هو أكثر من الأدب الرؤيَويّ. فسِفرُ دانيال هو أدبٌ نبويّ، ورؤيا يوحنَّا هو رسالةٌ نبويَّة.
- السياقُ الأدبيُّ مهمّ. ويستندُ الأدبُ الرؤيَويُّ للكتاب المقدَّس بصورةٍ أساسيَّة إلى صورٍ من العهد القديم (بابل، والضربات العشر)، علاوةً على صورِ "أشياءَ مألوفةٍ" من نوعٍ أدبيٍّ أوسَع (مثل القَرْن، والأجرام السماويَّة...إلخ).
- يعطي الأدبُ الرؤيَويُّ مخطَّطًا للتَّاريخ، لكنَّ هذا المخطَّط لا يكون بالضَّرورة زمنيًّا. مثلًا، تنتهي كلُّ سلسلةٍ من سبع ضربات في سفر الرؤيا (الأختام والأبواق والجامات) عند

9Marks Online PDF

نهاية العالم. لكنْ يكون من السهل قراءة تلك السلاسل بأسلوبٍ متتابع. كم مرَّة إذًا سينتهي العالم؟ في الواقع، هناك نمطٌ في هذه السلاسل. وهكذا يتلخَّصُ التاريخ من مناظيرَ مختلفة، تقودُ إلى ذروةٍ في الأصحاحَين الأخيرَين.

- ودون الخوض في معالجةٍ مفصَّلة لمختلفِ الأساليب المتَّبعة لتفسير سِفر الرؤيا، يمكننا جميعًا أن نتَّفق على أنَّ الفكرةَ الأساسيَّةَ واضحة. يستطيع شعبُ الله احتمال المعاناة الحاليَّة بسبب ثقتهم بأنَّ الله منتَصِرٌ. وهم يعرفون أنَّه منتصرٌ، ليس بسبب الإعلان النبويّ، بل بسبب ما أنجزَه المسيح في الماضي، بموته وقيامته.
- مثلًا: رؤيا يوحنَّا الأصحاح ٥- إعلان أسد يهوذا. يسمع يوحنَّا عن أسد يهوذا، الذي سيفتح السِّفرَ ويحقِّقُ مقاصدَ الله في التاريخ. لكنْ عندما يلتفتُ ليرى الشخصَ الذي سمع عنه، يرى حملًا مذبوحًا. هل كان ما سمعَه خطأً؟ هل كان ثمَّة شخصان مختلفان؟ كلَّا بتاتًا. بل فسَّرَ ما رآه ما سبقَ أن سمعَ عنه. مستحقٌّ يسوع أن يكونَ الأسد، الشخص الذي يحقِّق مقاصدَ الله؛ لأنَّه وضَعَ نفسَه ليكونَ حَمَلَ الله على الصليب. يسوع مستحقٌّ للمجد والكرامة، وهو القادر على فَتْح ختوم سِفرِ دَينونة الله، ليس فقط بسبب ألوهيَّته الكائنة مسبَّقًا، بل لأنَّه اشترى شعبَ الله بدمه. لذلك ينتصبُ الصليب في مركَز إعلانِ مجدِ الله.

الخلاصة

والآن صارتْ لدَيك معرفةٌ بكيفيَّة تفسير كلِّ جزءٍ من الكتاب المقدَّس. ودون شكّ، يبدو ما قُلتُه للتوِّ في الجملة السابقة أمرًا فكاهيًّا ظريفًا. لكنِّي أرجو أن ترى أنَّ تفسيرَ مقطعٍ ليس ببساطةٍ أمرًا اعتباطيًّا لفرضِ المعنى الذي نبتَغيه، بل هو في الواقع قراءةٌ دقيقةٌ متأنِّيةٌ لنصٍّ ضمن سياقه، سواء كان السياق الضيِّق أم الواسع. إنَّه أساسيٌّ مباشرٌ مثل الملاحظة (ماذا يقول المقطع؟) والتفسير (ما الذي يعنيه هذا المقطَع للقرَّاء الأصليِّين؟). وهكذا نحتاجُ جميعُنا إلى الأدوات المناسبة لإنجاز بذلك بصورةٍ حَسَنة. ومع القراءة المتكرِّرة بصبر، نستطيع جميعًا أن نصبح قرَّاءَ أمَناءَ للنصّ، ونقرأ منه ما يعنيه كاتبه السماويُّ وكتَّابه البشريُّون، بدلَ قراءة أفكارنا نحن.

9Marks Online PDF

هذا بالضَّبط ما جرَّبتُه مع مجموعتي من طلبةِ الصفِّ السادس. بالصبر والتمرُّن، تخلَّصوا بالتَّدريج من بعض أسوأ عاداتهم في التفسير. والآن، في صباح يوم الأربعاء، يتوقون بصورةٍ متزايدةٍ إلى قراءةِ نصِّ إنجيل مرقس، والتفكير في ما يعنيه البشير بما أوحِيَ إليه بالروح القدس. في الأسبوع الماضي، درَسْنا المقطع من مرقس ١: ٤٠- ٢: ١٢، عن معجزة شفاء الأبرص، ومعجزة شفاء المشلول. وحينها سألتُ الطلبة عمَّا إذا كان الهدفُ من خدمةِ يسوعَ هو جعلَ الناس بصحَّةٍ بدنيَّةٍ جيِّدة. أجاب أحدهم بالنفي، فسألتُه عن سبب إجابته. لقد مرَّت أسابيع منذ أن درَسْنا المقطع السابق، لكنَّه التفتَ سريعًا إلى مرقس ١: ٣٥- ٣٩ (السياق) وأشار إلى أنَّ يسوع جاءَ للكرازة ببشارة الإنجيل، وليس لإجراءِ المعجزات. فسألتُهم عن سبب شفائه لشخصٍ أبرصَ. لم يكونوا واثقين بشأن الإجابة في البداية، لذلك فكَّرْنا معًا في السياق الكتابيِّ الأكبر. وبعد أن انتَهَيْنا من مناقشة تفاصيل البرص (فلنتذكَّرْ أنَّ هؤلاء كانوا فقط طلبةً في الصفِّ السادس)، تذكَّرَ بعضُهم أنَّ الإصابة بالبرص تعني أنَّ الشخص لا يستطيع الذهاب إلى الهيكل أو العودة إلى المنزل، ويكون قد قُطِعَ (عُزِلَ) من الله ومن شعبه. بعدها نظَرْنا في معجزةِ شفاءِ المشلول، وسألتُهم عن سببِ شفاءِ يسوعَ للرَّجُل، وأشاروا في الحال إلى الآية ١٠، وقالوا إنَّه كانَ لإثبات أنَّ يسوعَ قادرٌ على غفرانِ الخطايا. عند تلك النقطة، كان الأمرُ أشبهَ بحجرةٍ فُصِلَ عنها التيَّار الكهربائيّ. كان البرصُ صورةً للخطيَّة، والخطيَّة تفصلُنا عن الله والآخرين. وبواسطة شفاء الأبرص والرجل المشلول، أثبتَ يسوع ليس فقط مدى قوَّته، بل كان يُرينا أيضًا ما جاء ليفعلَه- ليس لشفاء الأجساد، بل لتطهير قلوبِنا، ومن ثَمَّ إعادتنا إلى العلاقة بشخصِ الله.

إذا كان في وُسع طلبةٍ في الصفِّ السادس أن يتعلَّموا تفسيرَ الكتاب المقدَّس، فيمكننا نحن أيضًا وأعضاء كنائسنا أن نتعلَّم ذلك. عندما نخصِّصُ وقتًا كافيًا لإنجازِ ذلك جيِّدًا ولتعليم الآخرين أن يُنجزوه أيضًا، نجد كما أعلن بطرس الرسول: "وعِندَنا الكلِمَةُ النَّبَويَّةُ، وهي أثبَتُ...سِراجٍ مُنيرٍ في مَوْضِعٍ مُظلِمٍ، إلَى أنْ يَنفَجِرَ النَّهارُ، ويَطلَعَ كوكَبُ الصُّبحِ في قُلوبكُمْ" (٢بطرس ١: ١٩).

9Marks Online PDF

الفصل الثاني

أدوات اللاهوت الكتابيّ ١: العهود والحِقَب والأسفار المقدَّسة

حيث إنَّنا عرفْنا فنَّ التفسير التحقيقيّ (Exegesis)، فهل نحن مستعدُّون الآن لقراءة النصِّ وبناء لاهوتٍ كتابيٍّ- لاهوتٍ يكون أمينًا يروي القصَّة الكاملة للكتاب المقدَّس بمجمله؟ ليس بعدُ. هناك مجموعتان أُخريان من الأدوات التي يحتاج إليهما كلُّ قارئٍ للكتاب المقدَّس إذا كان علينا أن نضعَ القصَّة الكاملةَ بأمانة. إنَّنا نحتاج ليس فقط إلى الأدوات التفسيريَّة، بل أيضًا إلى أدواتِ اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميّ. في هذا الفصل وفي الفصل المقبِل، سننظر في أدواتِ اللاهوت الكتابيِّ وكيفيَّة استخدامها، ثمَّ سنتناول أدوات اللاهوت النظاميِّ في فصولٍ لاحقة. عند تلك المرحلة فقط سنكون مستعدِّين للبدء بالبناء.

المقدِّمة

أودُّ أن أبدأ بسؤال: لماذا تقرأ الكتاب المقدَّس؟ صحيحٌ أنَّ هناك أسبابًا عدَّة لقراءة الكتاب المقدَّس، لكنَّنا في الأساس نقرأ الكتاب المقدَّس لنعرفَ الله.

في بعض النواحي، تكونُ معرفة الله مثل معرفةِ أيِّ شخصٍ آخر. لمعرفة الله، علينا أن نعرفَ ما يُرضيه وما ويُغضبُه؛ ما هو مهمٌّ عنده وما ليس مهمًّا كثيرًا. علينا أن نعرفَ صفاته، وكيف يبدو بوصفه

9Marks Online PDF

شخصًا، وكيف يستجيب في مواقفَ مختلفة. وعلينا أن نعرفَ ليس فقط صفاته وشخصيَّته، بل كما هي الحال مع أيِّ شخصٍ آخر، علينا أن نعرفَ شيئًا عن تاريخه: "ماذا كان يفعل قبل أن نلتَقيه؟". وعلينا أن نعرفَ شيئًا عن أهدافه: (إلى أين ينطلق؟ وما الذي يلتزم تحقيقَه؟). أخيرًا، نودُّ أيضًا أن نعرفَ شيئًا عن عائلته وأصدقائه. في النهاية، تعني معرفةُ شخصٍ بشكل جيد أن تعرف الذين يحبُّ أن يكونَ معهم، ومعرفة الأشخاص الذين يحبُّهم حقًّا. غير أنَّ هناك اختلافًا مهمًّا ما بين كلِّ الأساليب التي يمكن بها مقارنة معرفة الله بمعرفة إنسانٍ ما. ما لم يكشفِ الله الإجابات عن كلِّ تلك الأسئلة التي طرحتُها آنفًا (وأسئلة كثيرة غيرها)، فلن نتعرَّفُ إليه بتاتًا. كما قلتُ في بداية هذا الكتاب، الإعلان عن الله هو بالضرورة إعلانٌ يأتي من ذاته فقط. ما لم يخبرْنا الله بمَن يكون وبما يفعله، فسنكون حتمًا في الظلام.

كم يختلف هذا عن تجرِبتنا في التعرُّف إلى شخصٍ آخرَ في هذه الأيَّام! والحقيقة هي أنَّك يمكن أن تعرفَ شيئًا قليلًا عنِّي، لو رغبتَ في ذلك، سواء أردتُ هذا منك أم لم أُردْه. يمكنك البحث عنِّي في غوغل وفيسبوك وبعض المواقع الإلكترونيَّة الأخرى لتعرفَ ما أقوم به، والذين أعرفُهم، والأماكن التي ارتَدْتُها. ستتعلَّم ما يمكن أن نسمِّيه "المساحة العامَّة" لحياة مايكل لورانس.

لكنْ بقدر ما هي جيِّدة هذه المساحة، فإنَّها لا تقول كلَّ شيءٍ لتعرفَه عنِّي. إذا أردْتَ أن تتعرَّفَ إليَّ على نحوٍ أفضل، يمكنك الانتقال إلى واشنطن العاصمة والانضمام إلى كنيستي. فمن العظات التي أقدِّمها، إلى الطريقة التي أُديرُ بها اجتماعات الأعضاء، والأسلوب الذي أتفاعل به مع الناس في أروِقةِ كنيستنا، ستعرف نوعيَّةَ شخصيَّتي. هل أنا لطيفٌ أم قاسٍ؟ هل أنا صبورٌ أم سريعُ الغضب؟ هل أنا بشوشٌ، أم جادٌّ، أم متقلِّبُ المزاج؟ يمكن أن تتعلَّمَ كلَّ هذا بالحضور إلى كنيستي مدَّةً من الزمن. يمكننا أن نُسمِّيَ ذلك "المساحة الشخصيَّة" لحياة مايكل لورانس. لكنْ إذا كنتَ تريد حقًّا أن تعرفني، فسيتعيَّن عليك الانتقال من كونك عضوًا في كنيستي إلى أحد المقرَّبين منِّي، أو حتَّى الانتقال إلى العيش مع عائلتي. عندها ستجدُ أكثرَ بكثيرٍ ممَّا أردتَ أن تعرف. ستسمع تعليقاتي العفويَّة، وسترى أفعالي الطائشة. ستعرف كيف أكون قبل تناوُلِ أوَّلِ فنجانِ قهوة، أو ستعرفُ تصرُّفاتي عندما ألعبُ مع أطفالي. هذه هي "المساحة الخاصَّة" لحياة مايكل لورانس، ولا يستطيع سوى اللهِ أن يَمضِيَ أعمقَ من ذلك.

9Marks Online PDF

هل بين هذه المساحات ما هو "حقيقيٌّ" أكثر من الآخر؟ لا. كلُّ تلك المساحات تُخبرُك بأمورٍ عنِّي. إنَّنا نميل إلى الاعتقاد أنَّ المساحةَ الخاصَّة هي الأكثر واقعيَّة، لكنْ إذا كان هذا هو كلَّ ما تعرفه عنِّي، فأنت لا تعرفُني جيِّدًا. والأكثر من ذلك، ليس فقط أنَّ جميعَ المساحات الثلاث تخبرك بأمورٍ عنِّي، بل إنَّ كلًّا منها يتفاعلَ مع المساحتَين الأُخريَين ويعطيها معلوماتٍ عنِّي. إذا كنتَ تقرأُ هذا الكتاب، فأنت تعرف الآن شيئًا عن مساحتي العامَّة. لكنْ إذا حضرْتَ إلى كنيستي وقرأتَ هذا الكتاب، فأنت تعلم أنَّ الكتاب هو انعكاسٌ لأولويَّات خدمتي وناتج عن عِظاتٍ عدَّة. وإذا كنتَ تعيش في بيتي، وتحضر كنيستي، وتقرأ هذا الكتاب، فأنت تعلمُ أنَّ أولويَّات خدمتي، وعِظاتي، وهذا الكتاب أيضًا هي كلُّها نابعةٌ من دراستي للكتاب المقدَّس في بدايةِ كلِّ يوم.

لا يمكننا إجراء بحث على غوغل عن الله. ومنذ تكوين الأصحاح ٣، لم نَعُدْ قادرين على العيش في المنزل نفسه معه. ويعني هذا أنَّه لا توجد مساحةٌ واحدةٌ لحياة الله يمكننا أن نعرفها ما لم يُعلنْها هو لنا. والحقيقة المدهشة في الكتاب المقدَّس هي أنَّ الله أعلنَ عن ذاته في الكتاب المقدَّس نفسه.

وقد أعلنَ ليس فقط عن وجهه في المساحة العامَّة، بل أعلنَ لنا أيضًا عن ابنه يسوع المسيح. ولا يمكن أن تكون الأمور أكثر حميميَّةً من ذلك مع الله.

عندما نأتي إلى الكتاب المقدَّس، نأتي إلى إعلان الله عن ذاته. وبطريقةٍ مماثلةٍ لمساحاتِ حياتي، يجب فهمُ كلِّ مقطعٍ من الكتاب المقدَّس الذي نقرأه ضمن مساحاتٍ متعدِّدةٍ للمعنى. وليسَتِ المساحاتُ عامَّةً وشخصيَّةً وخاصَّة، لكنَّها سلسلة من السياقات المتَّسِعةِ باستمرار. ومع كلِّ سياقٍ جديد، وكل مساحةٍ جديدة، نصل إلى تقديرٍ أكمَلَ لمعنى النصِّ وتطبيقه على حياتنا وخدمتنا. الهدف من هذا الفصل هو مساعدتنا على قراءة الكتاب المقدَّس في ضَوء كلٍّ من هذه المساحات، ومن ثَمَّ قراءة الكتاب المقدَّس بأسلوبِ الكتاب المقدَّس ذاته.

9Marks Online PDF

المساحات الثلاث لإعلان الله عن ذاته في الكتاب المقدَّس

المساحاتُ الثلاث للكتاب المقدَّس هي المساحةُ النصِّيَّة والمساحةُ التاريخيَّة والمساحة الكنسيَّة.[١] كان الفصل السابق يدور حقًّا حول المساحة النصِّيَّة، وقد سعى إلى الإجابة عن السؤال: كيف يمكننا قراءة ما يقوله النصُّ وفهمه في سياقه المباشر؟ نؤدِّي ذلك بصبرٍ وتأنٍّ باستخدام أدوات التفسير التحقيقيّ. لكنَّ معرفة النصِّ في سياقه المباشر يشبه نوعًا ما أن تعرفَ فقط المساحة الشخصيَّة لحياتي. إنَّها قريبةٌ مفصَّلةٌ محدَّدة، لكنْ ما علاقة ذلك بكلِّ أمرٍ آخر يجري؟ من أجل ذلك، علينا أن نخطوَ خطوةً إلى الوراء ونفهمَ النصَّ في السياقات الأوسع للحِقبةِ الزمنية ولموضع النصِّ ضمن الأسفار المقدَّسة. ولشرح هاتَين المساحتَين، علينا اختيار موضوعٍ آخرَ من المقدِّمة. علينا أن نتحدَّث بشأن العهود.

عندما تنازل الله ليُعلنَ عن ذاته للبشريَّة والدخول في علاقة بنا، بنى تلك العلاقات في ما باتَ يُعرَف بِاسْم العهود. يستخدم الله العهود في عملٍ غير اعتياديٍّ من التواصُل المتنازِلِ الذي يتَّخذُ شكلًا بشريًّا. وكما سنرى، يوجَدُ القليل من المفاهيم الأهمِّ التي يجب استيعابها إذا أرَدْنا فَهْمَ القصَّة الكتابيَّة بمجملِها، وفَهْمَ كلِّ جزءٍ من أجزائها.

ما تعريف العهد؟[٢]

كما رأينا في المقدِّمة، كانت تحكمُ العلاقاتِ الدَّوليَّةَ في الشرق الأدنى القديم معاهداتٌ ما بين ملوك عظماء وملوك تابعين والتي اتَّخذَتْ شكلًا محدَّدًا من العهود. وعدَ الملك العظيم بتوفير الحماية

---

١) لمقدِّمةٍ ممتازة إلى هذه الأفكار ومناقشتها، وُضعَتْ من عملٍ سابق للكاتب إدموند كلاوني، انظُرِ المرجعَ الآتي:

Richard Lints, *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 310–293.

٢) هذا القسم كلُّه، لا سيَّما الفِقرتَين الأولَيَين، مأخوذٌ من:

Meredith Kline, *Treaty of the Great King* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1965).

يمكن العثور على معالجةٍ أسهل وأكثر حداثة لهذا في:

O. Palmer Robertson, *The Christ of the Covenants* (Phillipsburg, NJ: P&R, 1980), 170–167.

9Marks Online PDF

والبركة في مقابل ولاءِ الملك التابع وطاعته. ليس ذلك فحسب، فقد أثَّرتْ طاعةُ الملك التابع أو عصيانه في وضعه وفي وضعِ كلِّ الذين انضووا تحت قيادته وحسبوه ممثِّلًا عنهم.

في الشكل الأدبيِّ الرسميّ، اتَّخذَتْ عهودُ الألفيَّة الثانية المتأخِّرة شكلًا ثابتًا موحَّدًا. وقد بدأَتْ بالمقدِّمة، والتعريف بالملك العظيم الذي يكتبُ نقاطَ العهد، ثمَّ تضعُ العهود بعد ذلك تمهيدًا تاريخيًّا موجَزًا توضح فيه ما فعلَه الملك العظيم فعليًّا للملك التابع. ويُعدُّ هذا التمهيدُ هو الأساسَ لطاعة الملك التابع. ثمَّ تَرِدُ أحكامُ العهد (ما هو متوقَّع من الملك التابع)، موجزةً ومفصَّلة. وبعد الأحكام، غالبًا ما تضمَّنَتِ العهودُ مادَّةً، وهي فِقْرةٌ تتطلَّبُ وَضْعَ نُسَخٍ من العهد في معابد كلِّ الملوك، وأن يَقرأَ الملكُ التابعُ العهدَ دوريًّا وعلانيةً وينقله إلى أبنائه. بعد ذلك، يُستدعى الشهود، وعادة ما يكونون إلهَي كلا الملكَين. أخيرًا، تكون خاتمة العهد بقائمةٍ بالبركات التي سينالها الطرفان في حال حُفِظَ العهد، وقائمة باللَّعنات في حال انتُهِكَ العهد. بعد كتابة العهد، يجري التصديق على العهد بقَسَمٍ يتضمَّن سَفْكَ دمِ ذبيحة.

وكما قلتُ سابقًا، استخدمَ الله هذا التركيب ليُعلنَ عن ذاته بوصفه الملكَ العظيم، واستخدمَه لتعليم شعبِه أنَّهم وكلاءُ له، أو ملوكٌ تابعون للملك السماويِّ العظيم. في الواقع، نرى نصف هذا التركيب العهديَّ في صورةٍ موجزةٍ في الوصايا العشر نفسها:

خروج ٢٠: ٢- ١٧

المقدِّمة:	٢ " أنا الربُّ إلهك،
تمهيدٌ تاريخيّ:	الذي أخرَجَكَ مِنْ أرضِ مِصرَ مِنْ بَيتِ العُبوديَّة.
الأحكام والشروط:	٣ لا يَكُنْ لكَ آلِهَةٌ أُخرَى أمامي
	٤ لا تصنَعْ لكَ تِمثالًا مَنحوتًا...
	٧ لا تنطِقْ باسمِ الرَّبِّ إلهِكَ باطِلًا...
	٨ اذكُرْ يومَ السَّبتِ لتُقَدِّسَهُ...

9Marks Online PDF

١٢ أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ...

١٣ لا تقتُلْ.

١٤ لا تَزْنِ.

١٥ لا تَسرِقْ.

١٦ لا تشهَدْ على قريبك شهادةَ زور.

١٧ لا تَشْتَهِ".

جرى توضيح الأحكام والشروط بمزيدٍ من التفصيل في خروج الأصحاحات من ٢١ إلى ٢٣. ثمَّ في خروج ٢٤: ١- ١١، يُقرَأ العهدُ علانيةً، بحيث يكون الله والشعبُ شُهودًا. ونقرأ في خروج ٢٥: ٢١ أنَّه كان يجب وَضْعُ العهدِ في تابوت العهد في قدسِ الأقداس، الذي يمثِّلُ قاعةَ عرش الله وهيكل الشعب القديم. أين البركات واللعنات؟ في الواقع، انتهكَ الشعبُ العهدَ قبل أن تتاحَ لهم الفرصة لتلاوَته. غير أنَّ البركاتِ واللعنات تأتي لاحقًا في سفر التثنية الأصحاحَين ٢٧ و٢٨.

وليس العهد الموسويُّ هو المكانَ الوحيدَ الذي نرى فيه بنيةَ العهد. لكنِّي خصَّصتُ هذا الوقت لتحليل هذا المثال لكي ترى أنَّ العهد ليس مجرَّد "عقد" أو "وعد" كما نفهم مثل هذه المصطلحات. بل يُعدُّ رابطًا يؤسِّس لعلاقةٍ شاملة. وليس العهد مجرَّدَ التزامٍ ماليٍّ أو معاهدةً عسكريَّة. بل هو مُطالَبةٌ بالوفاء والولاء الكامل لشخصٍ ما. وهكذا فإنَّ للعهدِ بنيةَ سلطةٍ، تصحبُها التزاماتٌ مستمرَّة، علاوةً على بركات ولعنات. وزِدْ على ذلك أنَّ العهدَ عابرٌ للأجيال. عندما دخل الشعب القديم في العهد، فعلوا ذلك للأجيال المقبِلة.

وهكذا كُتِبَ العهد، وأُبرِمَ أو قُطِعَ أيضًا. والمصطلح القديم لإبرامِ العهد هو في الواقع "قَطْع" العهد؛ لأنَّ العهدَ تضمَّنَ في الغالبيَّة الساحقة من الحالات سَفْكَ دم، علامةً على العهد وختمًا له. وفي خروج ٢٤، ذبحَ موسى العجول، وأخذَ من دمها، ورشَّ الدمَ على المذبح وعلى الشعب ليكونَ هذا الدمُ دمَ العهد. في الشرق الأدنى القديم، كان يُضحَّى بالحيوانات، بل كانت تُقطَعُ من الوسط، أو كانت تُدفَع ساقُها إلى أسفل حلقها، وكلُّ ذلك علامةً على ما سيحدث

9Marks Online PDF

للتابع وشعبه إذا ما انتَهَكوا العهد. وكما قال بالمر روبرتسون محقًّا إنَّ العهد ليس مجرَّدَ رابط، بل هو رابطةُ دم[٣]، التزامُ الولاء والوفاء الذي جرى ضمانه بحياةِ وسيطِ العهد، أيِ الملك التابع. في الواقع، لم يَمُتِ الوسيط لضمان العهد، لكنْ جرى تمثيل ذلك على نحوٍ غير مباشر باستخدام الذبائح الحيوانيَّة المقطوعة من الوسط. ويمكن رؤية مدى أهمِّيَّة ذلك ليس فقط لفَهْمِ خروج ٢٠، بل أيضًا مرقس ١٤ وعبرانيِّين ٩.

نوعان من العهود

إذا كانت هذه هي البنيةَ الأساسيَّة للعهد كما نجده في الكتاب المقدَّس، فعليَّ تقديم عهدٍ باختلافٍ مهمّ. يقرِّر أحيانًا الملك العظيم، بسماحةِ قلبٍ وجُودٍ الدخولَ في عهدٍ دونَ شروط. في مثل هذا العهد، لم تكن هناك أحكامٌ أو شروط على التابع أن يحفظَها، فليسَتْ هناك صيغةُ "طاعة تقود إلى البركة، أو عصيان يقود إلى اللعنة"، بل يجازف الملك العظيم ببساطةٍ بنفسه وكلمته وموارده ليكونَ ضامنًا لبركات العهد. وبخلافِ العهد المعياريِّ الذي يتضمَّن أعمالًا، فإنَّ هذا النوع من العهد هو ما يُسمَّى عهد النعمة.

في الشرق الأدنى القديم، قد يُرى عهد النعمة هذا عندما يمنح الملك العظيم ميراثًا بحقوقٍ ثابتةٍ لمحاربٍ شجاعٍ أو خادمٍ أمين. ويلاحَظُ عهد النعمة هذا في العهد القديم أيضًا. مثلًا قد يكون تكوين ١٥: ٩– ٢١ المثال الأفضل، حيث وعدَ الله إبراهيم بميراث. ولجَعلِ الأمر مؤكَّدًا، ختمَ الله وعدَه بقَسم، وقُطعَتِ الذبائح من الوسط، وسارَ طرفٌ واحدٌ في العهد ما بين تلك الذبائح المقطوعة. وكان مَن سارَ بين الذبائح هو الله وليس إبراهيم. وكأنَّ الله يقول: فليحدُثْ لي ما حدث لهذه الحيوانات، إذا فشلْتُ في تحقيق وعدي لإبراهيم. وماذا على إبراهيم أن يفعلَ في المقابل؟ لا شيءَ سوى متابعةِ إيمانه بالله.

3) Robertson, *The Christ of the Covenants*, 7ff.

9Marks Online PDF

لذلك لدَينا نوعان من العهود: عهد الأعمال وعهد النعمة.[٤] كلاهما يتبع النمطَ ذاتَه. غير أنَّ الاختلاف الحاسمَ يكمنُ في مَن يُقسِم اليمين، ومن ثَمَّ يتعهَّدُ بمعاناة اللعنات في حال انتُهِكَ العهد. كما سنرى، هذا هو الفرق ما بين الخلاص والهلاك- ما بين السماء والجحيم. نستحقُّ جميعنا أن نعانيَ عواقبَ انتهاك العهدِ مع الله، لكنَّ يسوع عانى هذه العواقبَ من أجلنا، إذا تُبْنا وآمنَّا بوعد الله، كما فعلَ إبراهيم.

عهود الكتاب المقدَّس

أشرْتُ إلى العهد الوارد في خروج ٢٠، وأشرتُ أيضًا إلى العهد الجديد الذي قطعَه يسوع بدَمِه. لكنَّ هذَين ليسا العهدَين الوحيدَين في الكتاب المقدَّس. في الواقع، العهودُ هي سِمةٌ بارزةٌ في الكتاب المقدَّس كلِّه، وأودُّ أن أطرحَ بإيجاز الأمثلة السبعة الأساسيَّة للعهود في الكتاب المقدَّس. وقد لخَّصتُ بعضَ المِيزات الأساسيَّة في الجدول ١ لاحقًا في هذا الفصل. وتوفِّرُ هذه العهود بنيةً للسَّرد بمجمله. ولا تُستخدَم بالضرورة كلمةُ العهد في كلِّ حالة، لكنَّني أتبعُ قانونًا تفسيريًّا قديمًا: إذا شابَه شكله بطَّةً وشابَه صوتُه صوتَ بطَّة، فيُحتمَل أن يكونَ بطَّة.

عهد الخليقة

هذا هو العهد الأوَّل مع آدم في تكوين ٢: ١٥- ١٧. وكما توضح رسالة رومية ٥، فقد دخلَ آدَمُ هذا العهدَ ممثِّلًا للجنس البشريِّ كلِّه. فبركاتُ العهد أو لعناته ستلحقُ بنا جميعًا. كانت البركة ضمنيَّةً- وعد الحياة الأبديَّة دون خطيَّة، أمَّا اللعنة فكانَتِ الموت. وكان الشرط هو الامتناعَ عن الأكل من شجرةِ معرفةِ الخير والشرّ، وأيضًا العمل في جَنَّةِ عَدْن وحراستها. في تكوين ٣، جُرِّبَ

٤) بقَولي هذا، أدرك أنَّ السياقات النصِّيَّة لكلِّ عهدٍ هي أكثر تعقيدًا من هذا التصنيف الثنائيِّ اليسير. وينبع هذا التعقيد من حقيقة أنَّ كلَّ عهدٍ ما بين الله والإنسان يتضمَّن تنازُلًا كريمًا ومبادرةً مسبَّقة من جانب الله. كما أنَّ نعمة الله أيضًا تغيِّرنا وتعيدُ تعريفنا، من ثَمَّ تضعُ التزاماتٍ وتوقُّعاتٍ جديدةً على مَن تلقَّوا النعمة. ورغم كلِّ المحدوديَّة في هذا التمييز، فإنَّه يساعدنا على توضيح الطبيعة الأحاديَّة للخلاص- فالله وحده، في شخص الابن المتجسِّد، هو مَن يَفي بشروط عهد الأعمال، ويحمل لعنة هذا العهد، ومن ثَمَّ يكسب مكافأةَ البشريَّة المفديَّة المخلَّصة كلِّيًّا بالنعمة.

9Marks Online PDF

ولاء آدمَ وحوَّاءَ نحو الله، فسقطا في التجرِبة وانتهَكا الشروط والأحكام. وهكذا تبعَتِ اللعنات في الحال، واستمرَّتْ على مرِّ التاريخ، وفي حياةِ كلٍّ منَّا.

عهد الفداء

هذا عهدٌ داخل الثالوث يتَّفقُ فيه الآب والابن والروح القدس معًا على تحقيق فداءِ شعب. وهذا العهد ضمنيٌّ في تكوين ٣: ١٥، ويشار إليه في مقاطع أخرى في العهدَين القديم والجديد (راجعْ إشعياء ٤٩؛ مزمور ٢، ١١٠؛ يوحنَّا ٥؛ رؤيا ٥). وما يثير الاهتمام في تكوين ٣: ١٥ وما يوحي به هو أنَّ هناك عهدًا وراءَ هذه الكلمات، حيث يتعهَّدُ الله نفسُه في كلماتِ لعنِ الحيَّة بالتزامات، كما يقدِّمُ وعودًا. ويصبح هذا العهد أساسًا لعهد النعمة في جميع تدابيره المختلفة. وتوضَعُ الخطوط العريضة له في الأسفار الأخرى من الكتاب المقدَّس.

العهد مع نوح

أُبرِمَ هذا العهد مع نوح وجميع المخلوقات الحيَّة في تكوين ٩: ٨– ١٧. وهو عهدُ نعمةٍ بسبب الوعد أحاديِّ الجانب من طرفِ الله. ويُطلَق عليه عهد النعمة العامَّة؛ لأنَّه ينطبقُ على جميع الناس، سواء آمنوا بالله أم لم يؤمنوا به. والغرض من هذا العهد هو توفير مساحةٍ ستُدارُ على مسرح أحداثها قصَّة الفداء. حيث يجري تأجيلُ الدينونة إلى حين تتميم الفداء بالكامل. وهكذا كانت علامة العهد، على نحوٍ مناسبٍ تمامًا، قوسَ قزح، رمزًا إلى أنَّ الله قد وضعَ جانبًا قوسَ المحارب.

العهد الإبراهيميّ

يَرِدُ هذا العهد في تكوين ١٥: ١– ٢١، ويختارُ الغرضَ الأصليَّ لله مع آدم– خلْقُ شعبٍ سيُظهِرُ مجدَ الله حاملًا صورتَه مثل وكيلٍ أو وَصِيٍّ على الأرض. غير أنَّ هذا العهد لم يُبرَم مع البشريَّة جَمْعاء، بل مع إبراهيم ونسله. يطلبُ الله طاعةَ إبراهيم، لكنَّ هذا العهد في أساسه عهدُ نعمة، حيث وعد

9Marks Online PDF

الله إبراهيم بأنَّ شعبًا وأرضًا تحت الحكم الصالح لله، وتحت بركات هذا العهد سيملأ كلَّ أرجاء الأرض. وأُعطِيَتْ علامة العهد- الختان- في تكوين الأصحاح ١٧.[٥]

العهد الموسويّ

أُبرِمَ هذا العهد في سفر الخروج الأصحاحات ٢٠ حتَّى ٢٥، وتكرَّرَ في سفر التثنية. ويبني العهدُ الموسويُّ على العهد الإبراهيميِّ بالتنفيذ المفصَّل لما يجب أن يبدو عليه وكلاء الله: مملكة مقدَّسة، متميِّزة عن نسلِ الشيطان، يبارك أفرادُها الأرضَ بقداستهم (تثنية ٤: ٥- ٨. راجعْ أيضًا خروج ١٩: ٤- ٦). وبخلاف العهد الإبراهيميّ، فالعهد الموسويُّ هو عهدُ أعمال. وبعد أن خلفَ القضاة موسى، صاروا هم وسطاء العهد. ومع أنَّ علامةَ الختان ظلَّتْ هي علامة العهد، فإنَّ الله يعلن في خروج ٣١: ١٢- ١٨ أنَّ علامةَ الشركة لهذا العهد هي السبت. وكانت بركةُ هذا العهد هي استمرارَ امتلاكِ أرضِ الميعاد، أمَّا لعنة العهد فكانَتِ السَّبي.

العهد الداوُديّ

أُبرِمَ هذا العهدُ في ٢صموئيل ٧، وهو يوكِلُ إلى الملكِ تحديدًا مسؤوليَّةَ أن تعكسَ الأُمَّةُ مجدَ الله. فالملكُ الآن يمثِّل كلَّ الشعب، وهكذا يُدعى الملك ابن الله، تمامًا كما كان يُدعى الشعب القديم في سِفر الخروج، وكما دُعِيَ آدم في البدايات. وبهذا عادَتِ الوكالةُ أو النِّيابة لتتركَّزَ من جديدٍ في شخصٍ واحد. وهذا الشخص مدعوٌّ إلى الوفاء بالعهد الموسويّ (تثنية ١٧: ١٨- ٢٠)، كما أنَّه مَن يتلقَّى التأديب في حال لم يَفِ بالعهد (٢صموئيل ٧: ١٤). لكنْ يبقى العهد عهدَ نعمةٍ أحاديَّ الجانب؛ لأنَّ الله يضمن شخصيًّا الميراثَ الداوُديَّ لعرش الأمَّة. وكانت علامة العهد هي ولادةَ ابن.

٥) ثَمَّة خلافٌ ما بين الدارسين حول ما إذا كان هذا عهدًا مختلفًا أم لا.

9Marks Online PDF

العهد الجديد

يأتي الوعدُ بهذا العهدِ النهائيِّ من النعمة في إرميا ٣١: ٢٧- ٣٤ وحزقيال ٣٦: ٢٤- ٢٨ (راجعْ تثنية ٣٠: ٦- ٨). لا يتحقَّق الوعد بهذا العهد، ولا يُبرم العهد إلى أن يأتيَ المسيح، الذي يتمِّم كلَّ ما وردَ في العهود السابقة معًا. إنَّه الصورةُ المثاليَّة (كولوسِّي ١)، والنسل الموعود (غلاطِيَّة ٣)، والابن الحقيقيُّ الحبيب (متَّى ٣)، والمسيَّا الملك (متَّى ٢١).

ويضعُ الأنبياء بصراحةٍ تبايُنًا جليًّا ما بين هذا العهد والعهد الموسويِّ القديم. وبخلاف العهد القديم، لن يُنتهَك هذا العهد الجديد. وهو العهد الذي يُعلنُه يسوع في متَّى ٢٦: ٢٧- ٣٠ بِسَفْكِ دمِه على الصليب. إنَّ يسوعَ يتوسَّطُ هذا العهد بالوقوف أمام الله بدلًا منَّا (رومية ٥). وهو يحفَظُ العهدَ بأَخْذِ لعنةِ سفر التكوين ٣ والعهد الموسويِّ بموته على الصليب (غلاطِيَّة ٣: ١٣). وأولئك الذين يؤمنون بالمسيح ويضعون ثقتهم فيه لا يعودون يَرْزَحون تحت لعنة العهد القديم، بل صاروا أحرارًا في التمتُّع ببركاتِ الغفران والمصالحة مع الله. وبناءً على ذلك، فإنَّ علامةَ الحياة الجديدة لهذا العهد هي المعموديَّة (رومية ٦).

جدول العهود الكتابيَّة الأساسيَّة

اسم العهد	نوعه	بركاته	لعناته	علامته	النصّ
الخليقة	الأعمال	الحياة الأبديَّة دون خطيَّة	الموتُ الروحيُّ والجسديّ	شجرة الحياة	تكوين (٢: ١٥- ١٧).
الفداء	الأعمال (داخل الثالوث)	فداءُ نسل المرأة	دينونة نسل الحيَّة (الشيطان)	العداوة ما بين النسلَين	تكوين ٣: ١٥
مع نوح	النعمة	دينونةٌ مؤجَّلة	لا يوجد	قوس قزح	تكوين ٩: ٨- ١٧

9Marks Online PDF

يتبع...جدول العهود الكتابيَّة الأساسيَّة

الإبراهيميّ	النعمة	أرضٌ وشعبٌ تحت حكم الله، بركةٌ للأمم	لا يوجد	الختان	تكوين ١٥، ١٧
الموسويّ	الأعمال	امتلاك الأرض	السبي (النفي)	السبت	خروج ٢٠ وما يتبعه من أصحاحات
الداوُديّ	النعمة	مملكة أبديَّة	لا يوجد	ولادةُ ابن	٢صموئيل ٧
الجديد	النعمة	الغفران والحياة الأبديَّة في ملكوت الله	لا يوجد	المعموديَّة	إرميا ٣١: ٢٧- ٣٤؛ متَّى ٢٦: ٢٧- ٣٠

تعني دراسةُ هذه العهود دراسةَ إعلان الله عن علاقته بشعبه على مرِّ التاريخ. وعندما ندرك ذلك، ندرك في الحال أنَّ كيفيَّة ارتباط هذه العهود المختلفة بعضها ببعضٍ هي مسألةٌ ذاتُ أهمِّيَّةٍ حقيقيَّةٍ لفَهْمِ قصَّة الكتاب المقدَّس، كما ندرك أيضًا أنَّ من المهمِّ أن نفهمَ العهدَ الذي ننضوي تحتَ رايته، نحن مؤمني العهد الجديد، والعهد الذي يندرجُ تحته أيُّ نصٍّ نقرأه من الكتاب المقدَّس. بخلاف ذلك، فإنَّنا نجازفُ بقراءة وَضْعِ عهدنا على نحو غير لائق في أيِّ مقطع، أو على العكس، نطبِّق ترتيبًا عهديًّا سابقًا على أنفسنا.

الآن بعد أن نظَرْنا إلى العهود، يمكننا أخيرًا العودة إلى المساحات الثلاث لإعلان الله عن ذاته في الكتاب المقدَّس، حيث بدأنا هذا الفصل. وكما ذكرتُ سابقًا، كان الفصل الأوَّل مناقشةً للمساحة الأولى، المساحة النصِّيَّة. وثمَّة مساحةٌ ثانية هي المساحة التاريخيَّة، ويجري رسْمُ معالمها

9Marks Online PDF

إلى حدٍّ بعيدٍ بواسطة العهود. وبينما يتكشَّف الكتاب المقدَّس، نرى أنَّ الله يمضي قُدُمًا في ترتيباته العهديَّة عند نقاط أساسيَّةٍ في تاريخ الفداء، وهو يرتبط بشعبه بصورةٍ مختلفةٍ في أثناء تحرُّك تاريخ الفداء من حقبةٍ عهديَّةٍ إلى أخرى.

الحِقب

حتَّى هذه المرحلة، كنَّا ننظر إلى النصوص في سياقها المباشر. مثلًا، يمكن فهمُ قصَّة عهد الله مع إبراهيم في تكوين ١٥ وتفسيرها فقط من جهةِ ما يفعلُه الله مع إبراهيم. لكنْ عندما نخطو خطوةً إلى الوراء قليلًا، ندرك أنَّ دعوةَ إبراهيم والعهدَ الذي قطعه الله معَه يمثِّلان نقطةَ تحوُّلٍ في القصَّة، وكلُّ ما يلي يُبنى عليها. من تكوين ١٢ إلى خروج ٢، يدور السردُ كلُّه حول فَهْمِ كيفيَّة تحقيق الله وعده لإبراهيم. لكنْ بعد ذلك، في خروج ٢ مع ولادة موسى، يبزغ فجرُ حقبةٍ جديدة. أصبح شعب الله الآن أُمَّةً تضعُ معالمَها أحداثُ الخروج، وتوضَعُ علاقة أفرادها بشخصِ الله على أساسٍ جديد، وجرى رَسْمُ ملامحِ هذه العلاقة في العهد الموسويّ. لم يمضِ العهد الإبراهيميُّ ولا أُلْغِيَ، كما يُبيِّن بولس الرسول في غلاطِيَّة ٣. لكنَّ أمرًا جديدًا يحدثُ هنا، ويجب أن تضعَ المراحل اللاحقة من القصَّة هذه الحقبة الجديدة في الحسبان في إطار خُطَّة الله التي تتكشَّف بالتَّدريج.

بالإشارة إلى حِقَبٍ مختلفة، تحدِّدها عهود مختلفة لها أحكامٌ وشروط مختلفة، لا أقصد أن أقول، كما قال بعضُ دُعاة التدبيريَّة القديمة، إنَّ الله خلَّصَ البشر بوسائلَ مختلفةٍ في أزمنةٍ مختلفة. هذا أبعدُ ما يكون عن الحقيقة؛ فالله لا يتغيَّر، ولا تتغيَّرُ أيضًا وعوده بالخلاص. كلُّ مَن ينال الخلاص ينالُه بالإيمان بوعود الله المبارَكة، بحسبَ ما كشفَ الله منها حتَّى تلك المرحلة من التاريخ. وتتحقَّقُ كلُّ هذه الوعود في مَوتِ يسوع المسيح وقيامته (٢كورنثوس ١: ٢٠). لذا أعني أن أقولَ إنَّ الطريقةَ التي يكشفُ بها الله عن نموِّ الخلاص، هي مثل نموِّ البذرة التي تنمو لتصيرَ شجرة. وإدراك الموضع الذي يتناسب فيه المقطع الذي تدرسه مع هذا النموِّ هو أمرٌ غايةٌ في الأهمِّيَّة لتفسير ذلك المقطَع.

مثلًا، يَنْهى لاويِّين ١٧ عن تقديم الذبائح في أيِّ مكانٍ ما عدا خيمةَ الاجتماع. لا يمكنك تقديم الذبائح في أيِّ مكانٍ آخر. لكنَّ سفر التكوين يذكُرُ أنَّ إبراهيمَ بنى مذبحًا وقدَّمَ ذبائح أينما

9Marks Online PDF

ذهب. هلِ انتهَك إبراهيم الشريعة في لاويِّين ١٧؟ وبالمناسبة، أين تقدِّم أنت ذبائحك اليوم؟ أتفهم قصدي؟ إذا أرَدْنا أن نفهمَ فهمًا صحيحًا التقييدَ المفروضَ في لاويِّين ١٧، والحرِّيَّةَ التي لإبراهيم، والحرِّيَّةَ الأكبرَ التي للمؤمنين اليوم، فعلينا أن نفهمَ كلَّ مقطعٍ ضمن سياقِه التاريخيّ. كان إبراهيم نزيلًا متغرِّبًا في كَنعان، ولم يكُنْ قد نالَ أرضَ الميعاد بعدُ. وفي كلِّ مرَّةٍ بنى فيها مذبحًا، كان يُعلِنُ في رجاء: هذه أرضُ الله. ومن جهةٍ أخرى، أتى الشعب القديم إلى امتلاكِ أرضٍ ملآنةٍ بالمذابح المقامة لكلِّ إلهٍ يمكن تصوُّره. وقد أرادَ الله أن يوضح لبني شعبه أنَّهم شعبٌ واحدٌ له إلهٌ واحد فقط. كما بيَّنَ لهم بالتدقيق الطريقةَ التي سيُعبَدُ بها، ومكانَ العبادةِ ومواقيتها. ستكون العبادة العامَّة من ذلك الوقت فصاعدًا فعلًا يجمعُ الناسَ في وَحدةٍ بوصفهم أمَّةَ كهنة، بدلَ أن يكونوا متفرِّقين مشتَّتين يعبدُ كلٌّ منهم وَفقَ ما يراه مناسبًا. اليوم لم نَعُدْ، نحن المؤمنين بالمسيح، نقدِّم الذبائح؛ لأنَّ المسيح كان الذبيحةَ الكاملةَ النهائيَّة، مرَّةً وإلى الأبد (عبرانيِّين ١٠).

وهكذا فإنَّ لكلِّ حِقبةٍ سماتها المهمَّة، وهذا أمرٌ مهمٌّ للتفسير، بل إنَّه مهمٌّ حتَّى من أجل التطبيق.

تقسيمُ الحِقَب

كيف نقرِّر نهايةَ حقبةٍ ما وبدايةَ أُخرى؟ كما قلتُ، فإنَّ العهود تمثِّل علامات. ولدَينا أيضًا ما يُعيننا على الفهم أكثر، حيث يحدِّدُ كُتَّابُ الأسفار الطريق. والتقسيم الأوضحُ هو تقسيم الأسفار ما بين عهدٍ قديم وعهدٍ جديد. في رسالة رومية ٥، يتحدَّث بولس الرسول بشأن تقسيم الزمن إلى ما قبل إعطاء الناموس الموسويِّ وما بعده، والتقسيم أيضًا إلى ما قبل سقوطِ آدمَ وما بعده. وفي غلاطِيَّة ٣، يصفُ الرسول الحِقبة الموسويَّة بأنَّها مرحلة تصريف أعمال: أعدَّتِ الطريق للخلاص، لكنَّها لم تَقُدِ البشريَّة بالفعل إلى الخلاص. ويبيِّنُ بطرس الرسول تقسيمًا كبيرًا في زمن العالم إلى ما قبل الطوفان وما بعده، وذلك في ٢بطرس ٣: ٦– ٧، ثمَّ يتطلَّع إلى عالمٍ آخرَ لم يأتِ بعدُ. أمَّا أعمال الرسل ٧، فيقسمُ فيه استفانوس التاريخ إلى حِقبةِ الآباء، والحِقبة الموسويَّة، وحِقبةِ الملوك. في الأصحاحَين ٦٣ و٦٤ من سِفرِ إشعياء، يقارن النبيُّ زمنَ إبراهيم وزمن موسى بمرحلة السبي، ويختتم بصلاة يطلب فيها أن يتكرَّرَ الحدث الذي وقعَ في سيناء حيث يشقُّ فيه الله السماوات وينزل ليفديَ شعبه.

9Marks Online PDF

غير أنَّ علينا ليس فقط أن نفهمَ التقسيمات الزمنيَّة، بل يجب أيضًا أن نهتمَّ بالموضوعات الأساسيَّة وما كان يشغل بالَ الناس في كلِّ حقبة. فما كان يشغل حِقبةَ الآباء كثيرًا هو الإيمان بوعودِ الله. من جهةٍ أخرى، تظلُّ الحِقبة الموسويَّة متمسِّكةً بالإيمان، كما يُلاحَظُ بوضوحٍ أنَّ شعبَ الله مقدَّسٌ مُفرزٌ عن العالم، كما أنَّه يدشِّنُ مفهومَ الدينونة. وتواصِلُ حِقبةُ الملوك هذه الموضوعات، لكنَّها تضيف موضوعًا آخَر أيضًا: المسيح الملك، المنتصر والممثِّل للأمَّة. إنَّه يتوحَّدُ بالناس حتَّى إنَّه يُقالُ دون مبالَغةٍ إنَّه حيثما يتَّجه الملك، تتَّجه الأمَّة.

ولتلخيص ما تناوَلْناه حتَّى الآن: إذا أرَدْنا فَهْمَ نصٍّ من الكتاب المقدَّس، علينا أن نفهمَ الكلماتِ والجملَ والفِقْراتِ باستخدام الأسلوبِ النحويِّ التاريخيّ. وحال الانتهاء من ذلك، علينا أن نطرحَ السؤال الآتي: ما العهد الذي يحكم شعبَ الله في تلك المرحلة؟ وستساعدُنا الإجابة عن هذا السؤال في فَهْمِ الحِقبةِ التي ينتمي إليها النصّ. وعند ذلك فقط سنرى الكيفيَّة التي يتناسب بها النصُّ مع إعلان الله عن ذاته حتَّى تلك اللحظة، والكيفيَّة التي عملَ بها النصُّ من أجل إيمانِ شعب الله وطاعتهم.

مرتبطٌ بالأسفار المقدَّسة

هناك مساحةٌ أخرى علينا النظر فيها إذا أردْنا فَهْمَ النصَّ في سياقه الكامل، والكلام عن سياق الأسفار المقدَّسة كلِّها. من موسى (كاتب التكوين) إلى يوحنَّا (كاتب رؤيا يوحنَّا)، ثمَّة قناعةٌ راسخةٌ لدى جميع كُتَّاب أسفار الكتاب المقدَّس أنَّ الله أمين. إنَّه يقطعُ الوعودَ في حِقبةٍ ما، ويُحقِّقُها في حِقبةٍ أخرى. قد يبدو تحقيق الوعد مختلفًا عمَّا توقَّعه الناس، لكنَّ هناك استمراريَّةً أساسيَّةً على طول القصَّة؛ لأنَّ الله يحقِّقُ كلمتَه.

وتكمنُ مهمَّةُ هذه المساحةِ الأخيرة للتَّفسير، أي القراءة السياقيَّة النهائيَّة، في تمييز الكيفيَّة التي تتراكَبُ بها كلُّ العناصر معًا. لنعُدْ إلى تكوين ١٥ والعهد الإبراهيميّ. تطرحُ المساحةُ النصِّيَّةُ أسئلةً مثل: ما معنى تقطيع الذبائح؟ وماذا يعني هذا لإبراهيم؟ وتطرح المساحةُ التاريخيَّةُ أسئلةً مثل: كيف تحقَّق هذا الوعد وحُفِظَ في حياة إسحاق ويعقوب ويوسف؟ وكيف يرتبط بمغادرة الآباء

9Marks Online PDF

إلى أرض مصر وخروجهم منها في نهاية المطاف؟ وتطرح المساحة الأسفار المقدَّسة عند أخذِها معًا سؤالًا مثل: كيف يرتبط هذا الوعد بالعهد الجديد الذي دُشِّنَ بدم المسيح؟ وكيف يكونُ المؤمنون بالمسيح من نسلِ إبراهيمَ ومشاركين من ثَمَّ في هذا الوعد؟ هل يجب أن نتوقَّع ميراثًا في فلسطين، أم أنَّ الإعلانَ اللاحقَ يشير إلى أنَّ وعودَ الأرض والوعود بالراحة تتحقَّق في المسيح بطريقةٍ أخرى؟

إذا أرَدْنا تطبيقَ الكتاب المقدَّس تطبيقًا صحيحًا على حياتنا، لا سيَّما العهد القديم والبشائر الأربع، فعلينا أن نفكِّر في مساحة الأسفار المقدَّسة عند أخذِها معًا. في النهاية، نحن نعيش ليس فقط في عصر العهد الجديد، مقارنةً بالعهد القديم، بل نعيش أيضًا على جانب القيامة ما بعدَ الصليب. لماذا يُحدِثُ هذا التمييز الأخير فَرْقًا؟ انظرْ مثلًا إلى لوقا ١٧: ١٤، حيث يقول يسوع للعشرة البُرص الذين طلبوا أن يَشفِيَهم: "اذهَبوا وأروا أنفُسَكُمْ للكهنة". ومهما كان ما نعتقدُه بشأن الشفاء المعجزيِّ اليوم، لا يمكننا الانتقال مباشرةً من هذا النصِّ إلى حياتنا لسببٍ بسيط: أنَّنا لا نعيش تحت الناموس الموسويِّ لشريعة البَرَص، في حين أنَّ يسوع وأولئك الرجال كانوا يعيشون في حِقبتِها.

لكنَّ ما تعنيه مساحة الأسفار المقدَّسة معًا أيضًا أنَّه لا توجد طريقةٌ يمكننا بها فَهْمُ يسوع وبقيَّة أسفار العهد الجديد دون فَهْمها في ضَوءِ العهد القديم. ويُقدَّم يسوعُ مِرارًا وتَكرارًا على أنَّه آدم الثاني (رومية ٥)، وموسى الثاني (مرقس ٦؛ يوحنَّا ٥)، وداوُد الثاني (متَّى ١٢)، وسليمان الثاني (لوقا ١١). ويوصف الخلاص الذي أتى به يسوع بأنَّه خروجٌ ثانٍ (عبرانيِّين ١٢) وعودة من السبي (لوقا ٤)؛ وتوصف الكنيسة بأنَّها هيكلٌ حيّ (١بطرس ٢) وإسرائيل الله (غلاطِيَّة ٦). كيف سنفهم نصوص العهد الجديد هذه ونطبِّقها إذا لم نستوعِبِ سياقَ الأسفار المقدَّسة معًا للقصَّة بمجملها؟ على المنوال نفسه، ما لم يكنْ لدينا هذا السياق الأكبر، فإنَّ العهد القديم كلَّه ليس أكثر من تسلسلٍ زمنيٍّ مجرَّدٍ يقودنا إلى يسوع. إنَّه تاريخٌ مثيرٌ للاهتمام، إذا كنتَ تفضِّل هذا النوعَ من الأمور، وبخلاف ذلك هو دون أيَّةِ صلة بنا. لكنْ عندما تقرأ العهد القديم برؤيةٍ تضعُ في الحسبان سياقَ الأسفار المقدَّسة معًا، تبدأ عندها برؤية أنَّ يسوعَ يبرزُ أمامنا من كلِّ صفحة.

9Marks Online PDF

وَضْعُ كلِّ العناصر معًا

أودُّ أن أختتمَ هذا الفصل بعرضٍ موجزٍ لكيفيَّةِ تلاقي هذه المساحات الثلاث بينما ننظر إلى أحَدِ نصوصِ الكتاب المقدَّس. فلننظرْ مثلًا إلى المزمور ١٨.

" أُحِبُّكَ يا رَبُّ، يا قوَّتي. الرَّبُّ صَخرَتي وحِصني ومُنقِذي. إلهي صَخرَتي بهِ أحتَمي. تُرسي وقَرنُ خَلاصي ومَلجإي. أدعو الرَّبَّ الحَميدَ، فأتَخَلَّصُ مِنْ أعدائي. اكتَنَفَتني حِبالُ الموتِ، وسُيولُ الهَلاكِ أفزَعَتني. حِبالُ الهاويَةِ حاقَتْ بي. أشراكُ الموتِ انتَشَبَتْ بي. في ضيقي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وإلَى إلهي صَرَختُ، فسمِعَ مِنْ هَيكلِهِ صوتي، وصُراخي قُدّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيهِ. فارتَجَّتِ الأرضُ وارتَعَشَتْ، أُسُسُ الجِبالِ ارتَعَدَتْ وارتَجَّتْ لأنَّهُ غَضِبَ. صَعِدَ دُخانٌ مِنْ أنفِهِ، ونارٌ مِنْ فمِهِ أكلَتْ. جَمرٌ اشتَعَلَتْ مِنهُ. طأطأ السماواتِ ونَزَلَ، وضَبابٌ تحتَ رِجلَيهِ. رَكِبَ علَى كروبٍ وطارَ، وهَفَّ علَى أجنِحَةِ الرّياحِ. جَعَلَ الظُّلمَةَ سِترَهُ. حَوْلهُ مِظَلَّتَهُ ضَبابَ المياهِ وظَلامَ الغَمامِ. مِنَ الشُّعاعِ قُدّامَهُ عَبَرَتْ سُحُبُهُ. بَرَدٌ وجَمرُ نارٍ. أرعَدَ الرَّبُّ مِنَ السماواتِ، والعَليُّ أعطَى صوتَهُ، بَرَدًا وجَمرَ نارٍ. أرسَلَ سِهامَهُ فشَتَّتَهُمْ، وبُروقًا كثيرَةً فأزعَجَهُمْ، فظَهَرَتْ أعماقُ المياهِ، وانكَشَفَتْ أُسُسُ المَسكونَةِ مِنْ زَجرِكَ يا رَبُّ، مِنْ نَسمَةِ ريحِ أنفِكَ. أرسَلَ مِنَ العُلَى فأخَذَني. نَشَلَني مِنْ مياهٍ كثيرَةٍ. أنقَذَني مِنْ عَدوّي القَويِّ، ومِنْ مُبغِضيَّ لأنَّهُمْ أقوَى مِنّي. أصابوني في يومِ بَليَّتي، وكانَ الرَّبُّ سنَدي. أخرَجَني إلَى الرَّحبِ. خَلَّصَني لأنَّهُ سُرَّ بي. يُكافِئُني الرَّبُّ حَسَبَ برّي. حَسَبَ طَهارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ لي. لأنّي حَفِظتُ طُرُقَ الرَّبِّ، ولَمْ أعصَ إلهي. لأنَّ جميعَ أحكامِهِ أمامي، وفَرائضَهُ لم أُبعِدها عن نَفسي. وأكونُ كامِلًا معهُ وأتَحَفَّظُ مِنْ إثمي. فيَرُدُّ الرَّبُّ لي كبِرِّي، وكطَهارَةِ يَدَيَّ أمامَ عَينَيهِ.

9Marks Online PDF

مع الرَّحيمِ تكونُ رحيمًا. مع الرَّجُلِ الكامِلِ تكونُ كامِلًا. مع الطّاهِرِ تكونُ طاهِرًا، ومَعَ الأعوَجِ تكونُ مُلتَوِيًا. لأَنَّكَ أنتَ تُخَلِّصُ الشَّعبَ البائسَ، والأعيُنُ المرتَفِعَةُ تضَعُها. لأَنَّكَ أنتَ تُضيءُ سِراجي. الرَّبُّ إلهي يُنيرُ ظُلمَتي. لأَنِّي بكَ اقتَحَمتُ جَيشًا، وبإلهي تسَوَّرتُ أسوارًا. الله طَريقُهُ كامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرسٌ هو لجميعِ المحتَمينَ بِهِ. لأَنَّهُ مَنْ هو إلهٌ غَيرُ الرَّبِّ؟ ومَنْ هو صَخرَةٌ سِوَى إلهِنا؟ الإلهُ الذي يُمَنطِقُني بالقوَّةِ ويُصَيِّرُ طَريقي كامِلًا. الذي يَجعَلُ رِجلَيَّ كالإيَّلِ، وعلَى مُرتَفعاتي يُقيمُني. الذي يُعَلِّمُ يَدَيَّ القِتالَ، فتُحنَى بذِراعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحاسٍ. وتَجعَلُ لي تُرسَ خَلاصِكَ ويَمينُكَ تعضُدُني، ولُطفُكَ يُعَظِّمُني. توَسِّعُ خُطواتي تحتي، فلم تتَقَلقَلْ عَقِبايَ. أتبَعُ أعدائي فأُدرِكُهُمْ، ولا أرجِعُ حتَّى أُفنيَهُمْ. أسحَقُهُمْ فلا يستطيعونَ القيامَ. يَسقُطونَ تحتَ رِجلَيَّ. تُمَنطِقُني بقوَّةٍ للقِتالِ. تصرَعُ تحتي القائمينَ عليَّ. وتُعطيني أقفيَةَ أعدائي، ومُبغِضيَّ أُفنيهِمْ. يَصرُخونَ ولا مُخَلِّصَ. إلَى الرَّبِّ فلا يَستَجيبُ لهُمْ. فأسحَقُهُمْ كالغُبارِ قُدّامَ الرّيحِ. مِثلَ طينِ الأسواقِ أطرَحُهُمْ. تُنقِذُني مِنْ مُخاصَماتِ الشَّعبِ. تجعَلُني رأسًا للأُمَمِ. شَعبٌ لم أعرِفهُ يتَعَبَّدُ لي. مِنْ سماعِ الأُذُنِ يَسمَعونَ لي. بَنو الغُرَباءِ يتَذَلَّلونَ لي. بَنو الغُرَباءِ يَبلَوْنَ ويَزحَفونَ مِنْ حُصونِهِمْ. حَيٌّ هو الرَّبُّ، ومُبارَكٌ صَخرَتي، ومُرتَفِعٌ إلهُ خَلاصي، الإلهُ المنتَقِمُ لي، والذي يُخضِعُ الشُّعوبَ تحتي. مُنَجِّيَّ مِنْ أعدائي. رافِعي أيضًا فوقَ القائمينَ عليَّ. مِنَ الرَّجُلِ الظالِمِ تُنقِذُني. لذلكَ أحمَدُكَ يا رَبُّ في الأُمَمِ، وأُرَنِّمُ لاسمِكَ. بُرجُ خَلاصٍ لمَلِكِهِ، والصانِعُ رَحمَةً لمَسيحِهِ، لداوُدَ ونَسلِهِ إلَى الأبدِ".

يصفُ المزمور محنةَ داوُد وخلاصَ الله له. ويبدأ بتصريحٍ موجزٍ لهذا الموضوع ثمَّ يصفُ معاناةَ داوُدَ وخلاص الله. ثمَّ يتأمَّلُ بقيَّةُ المزمور في سببِ خلاصِ الله لداوُدَ، وما يُعلِنُه هذا عن شخصيَّةِ الله، وكيفيَّة مدحِ الله لداوُدَ بوصفه ملكًا على الشعب، لتسبيح الله على أمانة الله تُجاهَ العهد.

9Marks Online PDF

في المساحةِ النصِّيَّة نلاحظ في الحال التصوير النابضَ بالحياة. كان داوُدُ يشعرُ كأنَّه غائصٌ، مثلما يغوصُ إنسانٌ في مياهٍ فَيَضان. لكنَّ الله ما يزالُ أمينًا. ويقدِّم العددان ٤ و٥ مثالًا واضحًا على التوازي في الشِّعرِ العبريّ، والذي يتمثَّل تأثيرُه في التشديد على شدَّةِ محنةِ داوُد، ومن ثَمَّ حجم الخلاصِ الذي يقدِّمه الله. عند هذا المستوى، المزمور هو نشيدُ شكرٍ شخصيٍّ لخلاصه من الأعداء ولنجاحه في دعوته بصفةِ ملك. إذا توقَّفنا عن القراءة الآن، فقد يميل المؤمن بالمسيح إلى التفكير أنَّ هذا المزمور مناسبٌ للتَّعبير الشخصيِّ عن الشكر عندما ينقذُنا الله من التجارِب. كما سنرى، رغم أنَّ هذا التطبيق ليس مناسبًا تمامًا، فإنَّه يفتقدُ صراحةً إلى الفكرة الأساسيَّة للمزمور، وبهذا ينقصُه التطبيقُ الأساسيّ.

في المساحة التاريخيَّة، لا يسعُنا إلَّا أن نلاحظَ في الاعداد من ٦ إلى ١٩ أنَّ داوُدَ يعتمد على تصوير الله يتنازَلُ على جبل سيناء، وأحداث أخرى من سفر الخروج، وأحداث الغزو المنتصِر. يبدو الأمر عظيمًا شاعريًّا نوعًا ما، إلى أن نتذكَّر أنَّ الملك كان يمثِّلُ الأمَّة في حِقبة الملوك، وتحدَّثَ بشأن علاقته بالله بهذه المصطلحات. ويتحدَّثُ داوُدُ ليس فقط بصفةِ مواطنٍ عاديٍّ ضمن شعب العهد القديم. ويساعدنا هذا أيضًا على فَهْمِ لغتِه بشأن أمانةِ العهد في الأعداد من ٢٠ إلى ٢٩. ولا يدَّعي داوُد أنَّه بريء شخصيًّا، لكنَّه كان أمينًا للعهد نيابةً عن الشعب. كما أنَّ انتصارَه على أعدائه في الأعداد من ٣٧ إلى ٤٢ يتَّخذ بوضوحٍ نمطَ صورةِ الحرب المقدَّسة بحسب ما تَرِدُ في سِفرِ يشوع. لذا نقول ثانيةً إنَّ ما نسمعُه ليس انتقامًا شخصيًّا، بل هو أمانةُ العهد. أخيرًا، تشير الأعداد ٤٣ وما بعدَ السياقِ الموسويِّ إلى العهدِ الداوُديِّ لسفر ٢صموئيل ٧. حيث يُسَرُّ داوُد بتثبيت عرشه، ليس من منطلق كبريائه، بل من منطلق تسبيحه لأمانة الله الذي يحفظ وعودَه. فبعيدًا عن كون المزمور مجرَّد نشيدِ شكرٍ شخصيّ، فهو شهادةٌ عن أمانة الله في العهد، الذي يستمرُّ في خلاص شعبه، كما فعل في سِفر الخروج، بتبرير مسيحه.

في مساحة الأسفار المقدَّسة معًا، نرى أنَّ هذا المزمور يتحقَّق نهاية المطاف في يسوع المسيح، الملك الممسوح الذي اختبر أحبال القبر ليس فقط مجازيًّا، بل اختبرَها حرفيًّا أيضًا. وقد كان يسوعُ ليس فقط أمينًا لعهد موسى، بل أيضًا لعهد الله مع آدم. يجد المزمور ١٨ معناه الحقيقيَّ على شفتَي يسوع، وهو حرفيًّا الله الذي ينزل ليخلِّصَ شعبَه، لكنَّ الأمرَ الساخِرَ هو أنَّه يحقِّقُ هذا الخلاصَ بمعاناته آلامَ الموتِ

9Marks Online PDF

التي يستحقُّها الشعب. ورغم أنَّ داوُدَ كان قبلَ ميلاد يسوع، فإنَّ يسوعَ كان التحقيق لحياة داوُدَ وقد فاقَه أيضًا. ومثلما تبرَّر داوُد، هكذا كان يسوعُ بريئًا بارًّا أمام الله بالقيامة من بين الأموات، وانتصارِ يسوعَ على جميع أعدائه. لقد تُوِّجَ يسوعُ ملكًا على الأمم إلى الأبد، وسيأتي قريبًا اليوم الذي تنحني فيه كلُّ ركبة، ويعترف كلُّ لسانٍ أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب (فيلبِّي ٢: ١٠– ١١). وهكذا فإنَّ المزمور ١٨ ليس فقط نشيدًا يسبِّحُ فيه داوُد، ولا المزمورَ الوطنيَّ للشُّكر الخاصِّ بشعب العهد القديم، بل هو وصْفٌ نبويٌّ يعلنُ فيه الله براءةَ ابنه، مع وعدٍ نبويٍّ بأنَّه سيملك على الأمم إلى الأبد. بكلماتٍ أخرى، هو مزمور نتعرَّفُ بواسطته إلى يسوع، مخلِّصِنا وملكِنا.

يتضمَّن تطبيقُ هذا المزمور وفائدتُه للخدمة بالتأكيد تشجيعًا للمؤمنين بالمسيح على شكر الله عندما يخلِّصنا من التجارِب. لكنَّنا عندما نقرأ في ضَوء مساحة الأسفار المقدَّسة عند أخذِها معًا، لا يمكننا التوقُّف عند مثلِ هذا التطبيق الضيِّق المتمركِزِ على الذات، بل ستنجذب أعيُنُنا بعيدًا عن ذواتنا إلى يسوع، والآلام التي عرفَها على الصليب، والتحرير الذي اختبرَه في القيامة. ونرى أنَّ معاناته وتحريره كانا ليس فقط لمغفرتنا، بل لنَيلِ ملكوت.

فقط بعد رؤية هذا، تعود أعيُنُنا إلى التركيز على أنفسنا. لكنَّنا عندها سنرى ذواتنا بصورةٍ مختلفة؛ لأنَّنا بِتْنا نتذكَّرُ أنَّه مهما كانت التجارِب التي اختبَرْناها في هذه الحياة، فهي لا تُقارَن بالتحرير المجيد من الموت الذي حقَّقه يسوع من أجلنا. سنذكُرُ أنَّ ثمَّة يومًا سيأتي تصير فيه "مَمالِكُ العالَمِ لرَبِّنا ومَسيحِهِ" (رؤيا ١١: ١٥) رغم أنَّنا نختبرُ الآن معارَضةَ كثيرٍ من البشر. عندما نقرأ الكتاب المقدَّس في ضَوء أسفاره المقدَّسةِ معًا، فسوف تتَّسع ليس فقط مساحات تفسيرنا، بل ستتَّسع آفاقنا نحن أيضًا.

9Marks Online PDF

الفصل الثالث

أدوات اللاهوت الكتابيّ ٢: النبوّة والرمز والاستمراريّة

ما شعورك تُجاه الوعظ من العهد القديم؟ إذا كنتَ مثل الكثير من القساوسة الإنجيليِّين، فالأغلب أنَّك تشعر براحةٍ أكبر عند الوعظ من رسائل بولس مقارنةً بالوعظ من الأنبياء الصغار. وليس الأمر مرتبطًا فقط بعدم تذكُّرك سوى القليل من اللغة العبريَّة التي درستَها في كلِّيَّة اللاهوت. متى كانت آخر مرَّة قدَّمت فيها عِظةً من العهد القديم وليس من إحدى البشائر الأربع؟ إذا كانت إجابتك "لا أذكر آخر مرَّة"، فلا تقلقْ؛ لأنَّك لستَ وحدَك في فِعْل ذلك.

من جهةٍ أُخرى، إذا طُلب إليك إعدادُ مادَّةٍ دراسيَّةٍ مدَّتها ستَّة أسابيع حول القيادة الكتابيَّة، فهل هناك نصٌّ أفضل من نحميا لإنجاز ذلك؟ أو ماذا عن التخطيط لورشة عمل في نهاية الأسبوع حول إدارة المال بحسب الكتاب المقدَّس؟ بالتأكيد، هناك الكثير من النصوص التي يمكن الاعتماد عليها، لكنَّ سِفرَ الأمثال سيكون مصدرًا أساسيًّا لك، أليس كذلك؟ وهل يمكنك تصوُّرُ إعطاءِ مادَّةٍ عن الوالديَّة لا تبدأ بسِفرِ التثنية الأصحاح ٦؟

أعتقد أنَّ الأمر لمعظمنا، نحن قادة الكنيسة والمعلِّمين، أنَّ الكتاب المقدَّس ينقسم على نحوٍ جميل إلى أجزاء تعلن بشارة الإنجيل وتبني الكنيسة، وأجزاءٍ تعلِّمنا كيفيَّةَ عَيْشِ حياةٍ أخلاقيَّةٍ تقيَّة. وفي حين أنَّ بعضَ أجزاء القسمَين متداخلة، فيبدو أنَّ هذا التقسيم ينطبقُ في معظمِ الأحيان على

9Marks Online PDF

العهدَين القديم والجديد. هناك الكثير من الأسباب لهذا التقسيم، بعضها تاريخيٌّ وبعضها الآخر لاهوتيّ. وليسَتْ غايَتي هنا شرحَ هذه الظاهرة، بل أنا ببساطةٍ أعلِّق على مدى انتشارها. منذ وقتٍ قريب، سمعتُ أحد القساوسة المعروفين في إحدى الكنائس الكتابيَّة يؤكِّد أنَّه ليس عليه أن يعظَ من العهد القديم صباح الأحد، وليس في نيَّته أن يفعلَ هذا، وذلك لسببٍ بسيط: أنَّه يعظُ بشارةَ الإنجيل. العهد القديم محفوظٌ في كنيسته لاجتماعات الأحد مساءً، ولسياقاتٍ أُخرى.

أحيِّي التزامه أن يعظَ بشارةَ الإنجيل، لكنْ لا يسعُني إلَّا أن أتساءل عن افتراضه- الذي يشاركه فيه الكثير من قادة الكنيسة- أنَّ الوعظَ والتعليم ببشارة الإنجيل يعني الوعظ والتعليم من العهد الجديد. وأبدأ بالقول إنَّ الله أعطانا الكتاب المقدَّس بأكمله، وليس فقط العهد الجديد. دون شكّ، عنى الله الثلاثة أرباع الأولى من الكتاب المقدَّس (أسفار العهد القديم) لاستخدامها لما هو أكثر من مجرَّد قصصٍ أخلاقيَّةٍ وخلفيَّةٍ تاريخيَّة. وثمَّة نقطةٌ مهمَّة: أنَّ يسوع المسيح والرسل ألقَوا كلَّ عظاتهم من العهد القديم. وبالتأكيد كتبوا أيضًا العهد الجديد نتيجةَ عظاتهم تلك من العهد القديم. غير أنِّي مقتنعٌ أنَّهم كانوا يعظون من العهد القديم لأسبابٍ عدَّة تتجاوزُ مجرَّد أنَّهم لم يكونوا بعدُ قد كتبوا العهد الجديد. إذ أعتقد أنَّهم كانوا قادرين على الكرازة ببشارة الإنجيل من أسفار الناموس والأنبياء لأنَّهم فعليًّا وجدوا بشارة الإنجيل في تلك الأسفار. هدفي في هذا الفصل هو مساعدة الجميع على العثور على بشارة الإنجيل في تلك الأسفار أيضًا، وبذلك يُستردُّ إلينا كلُّ الكتاب المقدَّس لنعلِّم منه بشارة الإنجيل.

في الفصل السابق، نظَرْنا في تفاصيل القصَّة والعهود المختلفة والحِقَب التي كوَّنتْها. لكنْ كيف يمكننا جَمْعُ التفاصيل معًا؟ ما الأدوات التي تساعدنا على قراءة القصَّة بوصفها قصَّةً واحدةً عن المسيح وبشارة الإنجيل؟

بدايةً عندما أقول إنَّنا نستطيع أن نجد بشارة الإنجيل في العهد القديم، فإنِّي بالتأكيد لا أعني أنَّ العهدَ الجديدَ غير ضروريّ. كما تقول رسالة العبرانيِّين ١: ٢: "كلَّمَنا في هذِهِ الأيَّامِ الأخيرَةِ في ابنِهِ..." النقطة المهمَّة هي أنَّ هذا الإعلانَ قطعيٌّ حاسم. ويخبرنا بطرس الرسول بأنَّنا بواسطة إعلان المسيح: "عِندَنا الكلِمَةُ النَّبَويَّةُ، وهي أثبَتُ..." (٢بطرس ١: ١٩). لكنْ أليس من المثير

9Marks Online PDF

للاهتمام أن يربطَ بطرس الرسول إعلان المسيح بالكلمة النبويَّة؟ أليس لافتًا للنظر أن تتابعَ رسالةُ العبرانيِّين إبرازَ المسيح بِعِظةٍ موسَّعةٍ عن أسفار موسى الخمسة؟ ما يوضِّحه كلا الكاتبَين هو أنَّ لدَينا في العهد القديم وعدًا بالإنجيل، أي ببشارة الإنجيل التي ستأتي، والتي كانت حينها أشبَه ببذرة. في العهد الجديد، نبتَتْ هذه البذرة وازدهرَتْ؛ فكما حُفِظَتِ الوعود، ستتحقَّقُ النبوَّات أيضًا.

العلاقة ما بين الوعود المقطوعة في العهد القديم والوعود المتحقِّقة في العهد الجديد تقودنا إلى المشكلة الحاسمة التي نواجهها عند قراءةِ كلِّ الكتاب المقدَّس على أنَّه كتابُ المسيحيِّين: كيف نفهم الديناميكيَّة الكتابيَّة للوعد النبويِّ والتحقيق النبويِّ لذلك الوعد؟ إنَّ فهْمَ هذه العلاقة، واستيعابَها بصورةٍ صحيحة، هو ما يسمح لنا بقراءة كلِّ نصٍّ كتابيٍّ وتعليمه بوصفه مكتوبًا ليس فقط لأناسِ ذلك العصر، بل لنا نحن اليوم أيضًا. هذا ما يسمح لنا أن نؤكِّدَ أنَّ ما كان في ذهن بولس الرسول ليس فقط العهد الجديد، بل العهد القديم أيضًا عندما قال: "كُلُّ الكِتابِ هو موحًى بهِ مِنَ الله، ونافِعٌ للتَّعليمِ والتَّوْبيخِ، للتَّقويمِ والتَّأديبِ الذي في البِرّ" (٢تيموثاوس ٣: ١٦). حتَّى إنَّه قصدَ أيضًا الأنساب وقوائم الأسماء.

السِّمة النبويَّة للكتاب المقدَّس: تحقيق الوعود

لا يمكنك أن تتعمَّقَ في قراءة الكتاب المقدَّس دون أن تواجهَ إحدى أكثر الخصائص الأساسيَّة متعةً لإعلان الله عن ذاته. فليس الله فقط إلهًا يتكلَّم، بل هو أيضًا إلهٌ يقطع الوعود. إنَّ الله يقطع وعودًا لشعبه ابتداءً من وعد الدينونة في تكوين ٢: ١٧، إلى وعد الخلاص بواسطة الدينونة في تكوين ٣: ١٥، علاوةً على الوعود التي قُطِعت لنوح وإبراهيم وموسى وداوُد، وصولًا إلى كلمات يسوع الأخيرة لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء في متَّى ٢٨: ٢٠.

يحفظُ الله وعوده ويحقِّقها (يَفي بها)

الآن لو كان الله مثلنا، لكانَتْ كلُّ مسألةِ قَطْعِ الوعود مجرَّد فضول. غير أنَّ الله في الواقع ليس مثلنا؛ فهو دائمًا ما يحقِّقُ وعوده ويَفي بها. وتكمنُ هذه القناعة بأمانةِ الله في ذهنِ كتبةِ الكتاب المقدَّس

9Marks Online PDF

في أثناء كتابته. إنَّهم يفهَمون أنفسَهم ليس فقط أنَّهم يُسجِّلونَ الوحيَ الإلهيَّ ووعود الله، بل هم يفهمون أيضًا أنفسَهم أنْ يكونوا شهودًا على أمانة الله في تحقيق الوعود والوفاء بها. وهكذا يمنحهم هذا المنظور نفسُه الإيمانَ والرجاءَ من جهة الوعود التي لم تتحقَّقْ بعد، وهو الإيمان الذي يدعونَنا إليه أيضًا.

وهذا شيءٌ كأنَّه لاصق، ينبعُ من شخصيَّة الله ويجمعُ أجزاءً متنوِّعةً من الشريعة معًا. وقد سمحَتِ الثقة بهذا اللاصق لكتبةِ الكتاب المقدَّس بأن يكتبوا- وسمحت لنا أن نقرأ- متوقِّعين أنَّ الوعود التي قُطِعَتْ مرَّةً، أو ستُقطَعُ يومًا، هي وعودٌ ستُحفَظ.

يحقِّقُ الله خُططه وَفقًا لمثالٍ معيَّن

ثمَّة أمورٌ عدَّة نحتاج إلى فهمها بشأن وعود الله. أوَّلًا، ليسَتْ وعود الله مجرَّد نيَّاتٍ حَسَنةٍ عشوائيَّة، بل تشير وعودُه إلى خُطَّةٍ إلهيَّةٍ للتَّاريخ وترسمُ معالِمَها- خُطَّةٍ لخلاصِ شعبٍ من أجل مدحِ مجد الله، ويتحقَّق هذا الخلاصُ بدينونةٍ سيحملها الله نفسُه نيابةً عنَّا. وبكلماتٍ أخرى، ليس التاريخ دورةً متكرِّرة، أي أنَّه ليس "مجرَّد تَكرار" للأمثلة الأولى القديمة[1]، والواقع أنَّ التاريخَ يتَّجه إلى مكانٍ ما بينما يسيرُ في توجُّهٍ خَطِّيّ، فهو يتقدَّمُ ويمضي قُدُمًا نحو النهاية التي أعدَّها الله بالفعل.

ثانيًا، تتحقَّقُ خُطَطُ الله وَفْقًا لمثالٍ مختلف. وبكلماتٍ أُخرى، لا تعني الطبيعة الخطِّيَّة للتاريخ أنَّه لا يمكن التنبُّؤ بها. يوجَدُ إلهٌ واحدٌ وخُطَّةٌ واحدةٌ لحلِّ مشكلةٍ واحدةٍ بحلٍّ واحد. ويتَّبعُ التاريخ، كما يقدِّمه الكتاب المقدَّس، مثالًا أو إطارَ عمل. ويتقدَّمُ ويمضي قُدُمًا، لكنْ ليس عشوائيًّا. فصحيحٌ أنَّ الله يعمل على تنفيذ خُطَطه، لكنْ نظرًا إلى أنَّ طُرُقَه لا تتغيَّر، فهو يعمل على خُطَطه وَفْقًا لأمثلةٍ معيَّنة. ويعني هذا أنَّ الحاضرَ مرتبطٌ بالماضي في الكتاب المقدَّس، لكنْ ليس كأنَّه دورةٌ متكرِّرةٌ من الكارما (عقيدةٌ بوذيَّة). بل تُشبِهُ العلاقةُ ما بين الماضي والحاضر إلى حدٍّ بعيدٍ تلحين باخ لمقطوعته الشهيرة "فوغا" (fugue)، أو يشبهُ بناء ناطحة سحاب شاهقة. السِّمةُ الأوَّليَّة- أي

1) Richard Lints, *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 303.

9Marks Online PDF

الشكلُ الأصليّ- تظلُّ قائمةً منذ البداية. أمَّا في النهاية، فقد طُوِّرَ بحيث يكون المنتج النهائيُّ أفضلَ بكثيرٍ ممَّا وعدَ به المثالُ (النموذجُ) الأوَّليّ.

ولأوضِّحْ قصدي. في تكوين ٢: ١٧، وعد الله أنَّ الخطيَّة ستجلب الموت، وهو ما بدأ بخطيَّة آدم وحوَّاء. غير أنَّ الله الرحيمَ وعدَ أيضًا أن يخلِّص المرأةَ ونسلها في تكوين ٣: ١٥. كيف سيُتمِّمُ الله الخلاص؟ في وقتٍ ملائم، أعطى الله شعبَه نظامَ الذبائح الحيوانيَّة ليكونَ بديلًا للتَّكفير عن خطايا الشعب، وهو ما نراه يحدث مع إبراهيم وإسحاق في سِفر التكوين ٢٢، وفي ليلة الفصح والخروج من مصر في سِفر الخروج ١١- ١٢، ومع نظام الذبائح والتقدِمات في سِفر اللاويِّين كلِّه. (اعتقد مارتن لوثر أنَّ الأمر كان واضحًا حتَّى في الذبيحة الحيوانيَّة التي صنعَ الله منها أقمِصةً من جلدٍ ليُلبِسَ آدمَ وحوَّاء بحسب تكوين ٣: ٢١). لكنِ انتظِرْ لحظة: هل ترى المثالَ في الأعمال الجارية هنا؟ هناك وعدٌ بالدينونة ووعدٌ بالخلاص، غير أنَّ الله وضعَ مثالًا وهو الموت بسبب الخطيَّة ما لم يُقدَّم بديل، وذلك لتحقيق وعوده. لكنْ في نهاية المطاف، تحقَّقَ المثالُ والخُطَّةُ معًا في الذبيحة الكفَّاريَّة ليسوع المسيح على الصليب. وكما نقرأ في رسالة العبرانيِّين ٩، قُدِّمَتْ ذبيحةٌ أفضل، ولا يتطلَّب تقديمها مِرارًا كثيرةً؛ لأنَّها كانت كاملةً كافية. على الصليب إذًا، تحقَّقَتْ خُطَّةُ الله للخلاص وتَمَّتْ، وتحقَّقَ أيضًا مثالُ التضحية الذي يعطي معنًى للخُطَّة. لقد توقَّفَ نظامُ الذبائح الحيوانيَّة وكلُّ ما يحيط بها في كنيسةِ العهد الجديد، ليس فقط لأنَّ الذبائح لم تعُدْ ضروريَّة، بل لأنَّها تحقَّقَتْ في المسيح. كما حُفِظَ الوعدُ الضمنيُّ بأنَّه سيجري توفير بديلٍ لشعبِ الله.

أبعادٌ عدَّة لتحقيق الوعود

إنَّ سِمَةَ الكتاب المقدَّس من جهةِ كَونه سجلًّا لتاريخ الفداء يرسمُ مسارًا خَطِّيًّا ويسير أيضًا وَفقًا لمثالٍ- تساعدنا هذه السِّمة على إدراك أنَّ لوعودِ الله (النبوَّات بالمعنى الأوسع للمصطلح) أبعادًا عدَّة لتحقيقها. وعلاوةً على ذلك، فإنَّ كلَّ تحقُّقٍ للوعودِ ليس فقط يحدثُ لاحقًا زمنيًّا، بل ما يتحقَّقُ لاحقًا يتمتَّع بأهمِّيَّةٍ أيضًا من الناحية اللاهوتيَّة والتاريخيَّة على حدٍّ سواء (انظر الشكل ١, ٣).

9Marks Online PDF

الشكل ٣,١: أبعادٌ عدَّة لتحقيق النبوَّات

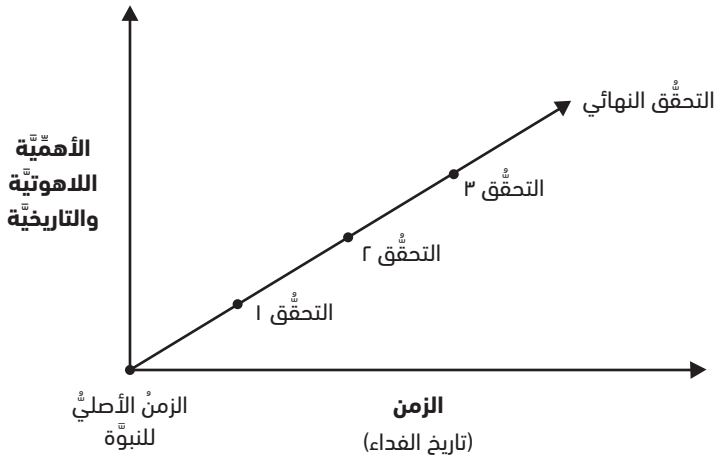

ويفعلُ هذا المثال (النمط) من تحقيق الوعود أمرَين على الأقلِّ لنا بينما نحاول قراءة الكتاب المقدَّس بأسفاره القانونيَّة. من جهة، تساعدنا الوعود المحقَّقة في رؤيةِ الطريقةِ التي يتطوَّر بها المثال (النمط) وتتقدَّم بها الخُطَّة. من جهةٍ أُخرى، تساعدنا الوعود المحقَّقة أيضًا أن نكون حسَّاسين تُجاه التأكيدات المميَّزة في العصور الزمنيَّة المختلفة، ما يساعد على تحصينِنا في مواجهةِ مسألةِ أن نرجوَ تحقيقًا للوعد في عصرنا الحاليِّ يكون تحقيقًا خاطئًا.

ولأضربْ هنا مثلًا يوضِّح الأبعاد المتعدِّدة، والسِّمةُ الأعظم المتمثِّلةُ في تحقيق الله لوعوده. فلنفكِّرْ في الوعد الذي قطعَه الله لإبراهيم في سِفر التكوين ١٢: ١– ٣.

> "وقالَ الرَّبُّ لأبرامَ: «اذهَبْ مِنْ أرضِكَ ومِنْ عَشيرَتِكَ ومِنْ بَيتِ أبيكَ إلَى الأرضِ التي أُريكَ. فأجعَلكَ أُمَّةً عظيمَةً وأُبارِكَكَ وأُعَظِّمَ اسمَكَ، وتَكونَ بَرَكَةً. وأُبارِكُ مُبارِكيكَ، ولاعِنَكَ ألعَنُهُ. وتَتَبارَكُ فيكَ جميعُ قَبائلِ الأرضِ»".

يَعِدُ الله بأن يصيرَ أبرام [الاسم السابق لإبراهيم]، الذي لم يُرزَق أيَّ أولاد، أبًا لأمَّة عظيمة تتبارَكُ بها أممُ الأرض. بعد بضعة أعداد، أي في تكوين ١٢: ٧، وعد الله بإعطاء أرضِ كَنعان

9Marks Online PDF

لنسل أبرام. هذان إذًا هما الوعدان. تذكَّرْهما جيِّدًا. الآن، شاهِدِ الكيفيَّة التي يحفظ بها الله وعوده بينما يتكشَّف تاريخ الفداء:

- يبدأ تحقيقُ وعدِ النسل والأمَّة العظيمة بالولادة المعجزيَّة لإسحاق، ثمَّ يتوالى زخمُ هذا بيعقوبَ وأبنائه الأسباطِ الاثنَي عشر. بعد ذلك تمضي قرونٌ ولا يحقِّقُ فيها الله وعدَه.
- ثمَّ يُشرقُ فجر حِقبةٍ جديدة مع موسى وعهد الوصايا عند جبل سيناء. وهناك يؤلِّفُ الله شعبَ إسرائيلَ، نسلَ إبراهيم، ليس فقط بوصفهم عائلة إبراهيم، بل بوصفهم أمَّةً مقدَّسةً لله. ثمَّ يسجِّل سفر يشوع أوَّل تحقيقٍ لوعد الله في ما يخصُّ الأرض، حيث تدخلُ الأمَّة أرضَ كَنعانَ وتحقِّقُ الانتصار. لكنَّ الله لم يُنهِ عملَه بعدُ.
- فوعد الأرض والوعد بأن يكون بركةً لأمم الأرض يواصِلان تحقُّقهما أكثر فأكثر في عهد الملك سليمان. ففي أيَّام سليمان، نرى الأمم تتباركُ بحكمته، ونرى للمرَّة الأولى أرضَ الميعاد كلَّها تحت حُكم شعبِ إسرائيل، من الفرات شرقًا إلى البحر الأبيض المتوسِّط غربًا، من لبنان شمالًا إلى سيناء جنوبًا، فكانت هناك راحةٌ من كلِّ جانب. غير أنَّ الله لم ينهِ عملَه بعدُ أيضًا.
- فكما يوضِّحُ بولس الرسول في رسالتَيْ غلاطِيَّة ورومية، فإنَّ النسلَ الحقيقيَّ الموعود به لم يكنْ إسحاق أو يعقوب أو داوُدَ أو سليمان، بل كان يسوعَ المسيح. وبالإيمان بيسوع المسيح، يتبارك من كلِّ أُمَّةٍ كثيرون، رجالًا ونساءً، ويصيرون أولادًا لإبراهيم. وهذه العائلة الروحيَّة هي أيضًا أمَّةٌ روحيَّة (١بطرس ٢: ٩) تنتشرُ إلى أقاصي الأرض. غير أنَّ هذه الأمَّة كانت في أوقاتٍ دون مأوًى، ويعيش أفرادُها متغرِّبين ونزلاء في العالم (عبرانيِّين ١١)، مثلما عاشَ إبراهيم في أوقاتٍ من حياته. إذا كان مثالُ (نمط) تحقيق الوعد صحيحًا، فنحن نعلم أنَّه يجب أن يكونَ هناك أيضًا مزيدٌ من التحقُّق. حتَّى بعد الصليب والقيامة، وحتَّى بعد يوم الخمسين وانتشار الإنجيل في جميع أنحاء العالم، لم يُنهِ الله عملَه بعدُ.

9Marks Online PDF

- في الحقيقة، هناك المزيد. وَفقًا لرسالة العبرانيِّين ٤، ورؤيا يوحنَّا ٢١ و٢٢، فإنَّ وعودَ أمَّةٍ عظيمةٍ في الأرض تحت بركة الله وحكمه تجدُ تحقيقها النهائيَّ في سماءٍ جديدةٍ وأرضٍ جديدة، حيث يؤلِّفُ كلُّ شعب الله، من العهدَين القديم والجديد، بشريَّةً جديدةً واحدةً (أفسس ٢: ١٤– ٢٢) في خليقة الله الجديدة الكاملة (انظُرِ الشكل ٢, ٣).

الشكل ٣,٢: يوضِّح الشكل كيفيَّة تحقيق النبوَّة في أبعادٍ متعدِّدة

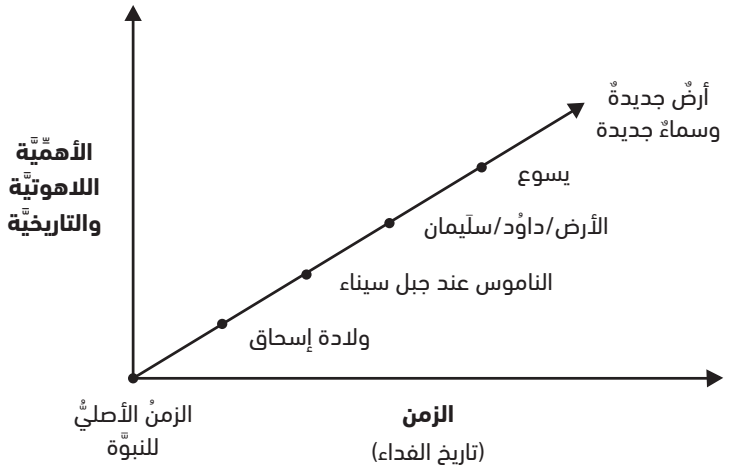

وهنا أسأل: كم مرَّة حقَّق الله الوعد المقطوع لأبرام في تكوين ١٢؟ لستُ ماهرًا في الرياضيَّات، لكنَّ في وُسعي أن أُحصيَ خمسَ مرَّاتٍ على الأقلّ، وجميعُها محدَّدةٌ بوضوحٍ في الكتاب المقدَّس. كلٌّ منها هو تحقيقٌ فعليٌّ للوعد، وكلُّ تحقيقٍ بينها أعظمُ من الذي سبَقَه.

9Marks Online PDF

دراسة الرموز (Typology)[٢]

غير أنَّ هناك ما هو أكثر من السِّمة النبويَّة للكتاب المقدَّس من التحقيق المباشر للوعود المنطوقة. فإنَّ الله يتكلَّم، وهو أيضًا ربُّ التاريخ. ويعني هذا أنَّ الله يأمرُ بحفظِ الأحداث وحياة الأفراد بحيث تخدم التنبُّؤ بما لم يأتِ بعدُ. لذلك يسجِّل الكتاب المقدَّس حياةَ أشخاصٍ حقيقيِّين ومسارَ أحداثٍ حقيقيَّة، غير أنَّ الأشخاصَ والأحداث هم نماذج لتشابُهاتٍ تاريخيَّةٍ تتوافق مع ما سيتحقَّقُ في المستقبل.

ما يُعدُّ رمزًا وما لا يُعدُّ كذلك

إنَّ اللغةَ الكتابيَّة لهذا الأمر هي "رموزٌ" (Types)، والتي تعني ببساطة "النمط المتكرِّر" أو "المثال".[٣] ويصف أحد اللاهوتيِّين الأمرَ على النحو الآتي: "دراسة الرموز هي ببساطةٍ دراسةٌ رمزيَّةٌ مع إشارةٍ مستقبليَّةٍ إلى تحقيق الوعد في حقبةٍ لاحقةٍ من التاريخ الكتابيّ. إنَّها تتضمَّن علاقةً عضويَّةً أساسيَّةً ما بين الأحداث والأشخاص والتشريعات (الرمز) في عصرٍ ما، ونظرائهم (المرموز إليهم) في عصورٍ لاحقة.[٤]

إلَّا أنَّ الإشارة إلى مصطلح "الرموز" لا يعني أنَّها مجرَّد استعاراتٍ خياليَّةٍ اعتباطيَّة، أو تعبيراتٍ غامضةٍ عن حقائقَ عامَّة. قد يُعبِّرُ شخصٌ ما مجازيًّا عن مَثَلِ السامريِّ الصالح مثلًا، بالقول إنَّ الفندقَ هو الكنيسة، وصاحب الفندق هو بولس الرسول، والزيت والخمر هما الفرائض المقدَّسة. بكلماتٍ أُخرى، هناك ارتباطاتٌ اعتباطيَّة تُجرى ما بين الرموز والأمور المرموزِ إليها. من جهةٍ أُخرى، مع الفهم الكتابيِّ للرموز، هناك "علاقة عضويَّةٌ ما بين بعض الجوانب

---

٢) يستخدمُ النصُّ الإنجليزيُّ مصطلحات "Typology" و"Type" و"Anti-type"، واخترنا ترجمتَها على التوالي إلى "دراسة الرموز"، "علم تفسير الرموز"، و"الرمز" و"المرموز إليه". وهناك مصطلحاتٌ أُخرى لترجمةِ "Type" منها مثلًا، كلمة "مثال" كما وردت في رومية ٥: ١٤، بحيث يكون آدمَ هو المثال (الرمز)، وعليه يكون المسيح هو "المرموز إليه" أو "الأصل" أو "النموذج"، أو "القدوة" (المترجم).

٣) يمكن العثور على مقدِّمةٍ جيِّدةٍ أساسيَّة إلى هذه الفكرة في المرجع الآتي:

David L. Baker, *Two Testaments, One Bible: A Study of the Theological Relationship Between the Old and New Testaments*, rev. ed. (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1991), 189–185.

4) Lints, 304.

9Marks Online PDF

«الأساسيَّة» للرمز والمرموز إليه".[٥] علاوة على ذلك؛ وبخلافِ الحكايات الخرافيَّة المختَلَقة، لم يُخترَع الرمز على يد المؤلِّف بُغيةَ تسجيل نقطةٍ رمزيَّة. بل إنَّ الرمزَ هو شخصيَّةٌ أو حدثٌ تاريخيٌّ فعليٌّ أمرَ به الله بعنايةٍ وتدبيرٍ لاستخدام ذلك الشخص أو الحدث للإشارة إلى ما هو أبعد منهما. في العلاقة ما بين الرمز والمرموز إليه، هناك مقارناتٌ ما بين حقائقَ تاريخيَّةٍ تولِّدُ تشابُهًا أو نمطًا، ثمَّ تتطوَّر وتتوسَّع على نحوٍ طبيعيٍّ دون تدخُّل من أحَد.

فلننظُرْ من جديد في مَثَلٍ من الكتاب المقدَّس. في رسالة رومية ٥، كان بولس الرسول يشرحُ أنَّ طاعةَ المسيح حتَّى الموت على الصليب تستطيعُ أن تجلب هبة الحياة إلى خطاةٍ مثلنا. في رومية ٥: ١٤، يشير إلى آدم بصفةِ مثالٍ أو رمزٍ إلى المسيح:

> "لكنْ قد مَلكَ الموتُ مِنْ آدَمَ إلَى موسى، وذلكَ علَى الذينَ لم يُخطِئوا علَى شِبهِ تعَدِّي آدَمَ، الذي هو مِثالُ [رمزٌ إلى] الآتي".

هذه ليسَتْ صدفةً عشوائيَّة أو أمرًا اعتباطيًّا لبولس الرسول على الحوادث التاريخيَّة. ويؤكِّد بولس الرسول أنَّ الله أعدَّ كلَّ شيء. ويقول إنَّ بشارة الإنجيل تتوقَّفُ على هذا الأساس الرمزيّ. وإليك الطريقة التي يشدِّدُ بها على هذه النقطة في الأعداد التي تلي (أي رومية ٥: ١٥– ١٨).

> "ولكن ليس كالخَطيَّةِ هكذا أيضًا الهِبَةُ. لأنَّهُ إنْ كانَ بخَطيَّةِ واحِدٍ ماتَ الكَثيرونَ، فبالأولَى كثيرًا نِعمَةُ الله، والعَطيَّةُ بالنِّعمَةِ الّتي بالإنسانِ الواحِدِ يَسوعَ المسيحِ، قد ازدادَتْ للكَثيرينَ. وليس كما بواحِدٍ قد أخطأ هكذا العَطيَّةُ. لأنَّ الحُكمَ مِنْ واحِدٍ للدَّينونَةِ، وأمَّا الهِبَةُ فمِنْ جَرَّى خطايا كثيرَةٍ للتَّبرير. لأنَّهُ إنْ كانَ بخَطيَّةِ الواحِدِ قد مَلكَ الموتُ بالواحِدِ، فبالأولَى كثيرًا الّذينَ يَنالونَ فيضَ النِّعمَةِ وعَطيَّةَ البِرِّ، سيَملِكونَ في الحياةِ بالواحِدِ يَسوعَ المسيح".

٥) المرجع السابق نفسه، ٣٠٤– ٣١٧.

9Marks Online PDF

وكما مثَّل آدمُ البشرَ، وهكذا جلب الجنسَ البشريَّ كلَّه إلى الدينونة بعصيانه، يقول بولس الرسول إنَّ المسيح، آدم الثاني (الأخير)، وقفَ بوصفهِ ممثِّلًا جامعًا أيضًا. لكنْ بدلَ أنْ يتمرَّد المسيح على الله، فقد أطاعَ اللهَ. وطاعة المسيح لله الآن تجلب الحياة والغفران إلى الذين هم في المسيح.

وليس أنَّ بولس الرسولَ يرسمُ فقط مقارنةً بآدم أو استعارة منه، بل هو يحاجُّ أيضًا من أجل تشابُهاتٍ تاريخيَّةٍ يشير فيها الرمز، أي آدم، إلى الأمام، ويجد تحقيقَه الفدائيَّ في المرموز إليه، أي في المسيح. وبهذا فإنَّ السابقَ (آدمَ) يساعدُنا على فهمِ، بل حتَّى تعريفِ، عملِ اللاحق (المسيح) ومعنى ما عَمِلَه. لكنَّ المسيح ليس مجرَّد تَكرارٍ لآدَمَ. مثل الأبعاد المتعدِّدة التي رأيناها سابقًا، فإنَّ ما يتحقَّقُ في المرموز إليه يتضمَّن اختلافًا هائلًا. يشير الرمز نحو الأمام إلى أمرٍ أكبر منه! (انظُرِ الشكل ٣,٣).

ويمكننا أيضًا ضربُ أمثلةٍ عدَّة أُخرى، ومنها موسى ويشوع وداوُد وسليمان وشمشون ويونان. كلُّ هؤلاء، بطريقةٍ أو بأُخرى، هم أشبهُ برموزٍ إلى المسيح، يُدرَجون في الكتاب المقدَّس على أنَّهم يُشيرون صراحةً إلى المسيح. وبإجراء هذه الروابط، ترتبط عصورُ الماضي بالحاضر على يد كُتَّاب العهد الجديد، والعكس بالعكس. إنَّ الرموزَ تجمعُ حرفيًّا أجزاء الكتاب المقدَّس معًا في إطار قصَّةٍ واحدة.

الشكل ٣,٣: التحقُّق الرمزيّ

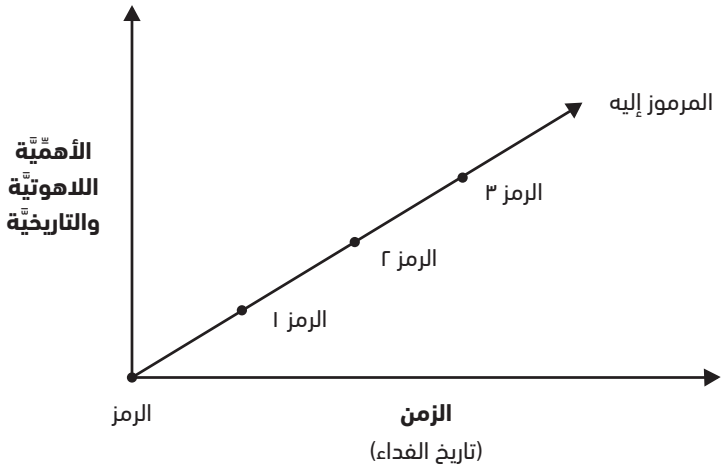

9Marks Online PDF

لكنْ ليس العهد الجديد فقط هو ما يَستخدِمُ الرموز؛ إذ يشرح العهد القديم نفسَه أيضًا بهذه المصطلحات. في أسفار الأنبياء، مثلًا، يتكرَّرُ تفسيرُ السبي البابليِّ والعودة اللاحقة من السبي باستخدام تعبيراتٍ من حدَثِ الخروج (مثلًا، إشعياء ٤٩؛ إرميا ١٦). والأهمُّ أنَّ النشاطَ الفدائيَّ ليسوعَ في الأناجيل، إلى جانب إعلان الرسل للمسيح، يُرى على أنَّه خروجٌ ثانٍ (مثلًا، مرقس ٦؛ ٢كورنثوس ٣). مثل الوعود الإلهيَّة النبويَّة، غالبًا ما يجد الرمز في الكتاب المقدَّس اكتمالَه في أمورٍ عدَّة مرموزٍ إليها، ويشير كلٌّ منها إلى ما هو أبعدُ من ذاته، إلى تحقيقٍ للوعد أكبرَ لم يأتِ بعدُ. ويستمرُّ هذا حتَّى نصلَ إلى يسوع المسيح، الذي أعلن أنَّه كان هو تحقيقَ الناموس والأنبياء والهدفَ منهم (متَّى ٥: ١٧؛ لوقا ٢٤: ٢٧).

كيفيَّة تحديد الرموز

هل هناك أيُّ قيودٍ على كيفيَّةِ تحديد الرموز؟ أجل، هناك قيود. هل هناك أيَّة قواعدَ تفسيريَّةٍ للاعتراف وتفسير العلاقة ما بين الرمز والمرموز إليه على مرِّ عصور الكتاب المقدَّس؟ أجل، هناك قيود. ودون شكّ، يضعُ أحيانًا كتَّابُ الكتاب المقدَّس أنفسُهم العلاقةَ ما بين الرمز والمرموز إليه. وهذا ما يُلاحَظ في أجزاء عدَّة من رسالة العبرانيِّين، حيث تفسِّر الرسالةُ كيفيَّةَ إشارةِ هيكلِ العهد القديم والكهنوت ونظام الذبائح بوصفها رموزًا إلى المسيح. هذا ما يفعله بولس الرسول في رومية ٥ و١كورنثوس ١٠. وحالما يضعُ كاتب السِّفر ارتباطًا رمزيًّا صريحًا في نصٍّ واحد، فمن الطبيعيِّ أن نرى هذا الارتباطَ في كلِّ واقعةٍ لهذا الرمز.

لكنْ هل لدينا أيُّ أساسٍ لتحديد الرموز التي لم يُحدِّدها صراحةً كُتَّاب الأسفار؟ أعتقد أنَّ لدينا مثل هذا الأساس، لكنْ فقط عندما نتَّبع المثال الذي حدَّده الكتابُ المقدَّس نفسُه. وقد قدَّم القسُّ والباحث غوردون هوغنبرغر، بعد لويس بيرخوف، المبادئ التوجيهيَّة الآتية في هذا السياق:[٦]

6) Gordon Hugenberger, "Introductory Notes on Typology," in G.K. Beale, ed., The Right Doctrine from the Wrong Texts? Essays on the Use of the Old Testament in the New (Grand Rapids, MI: Baker, 1994), 338.

9Marks Online PDF

١. يجب أن يكونَ هناك تشابهٌ حقيقيٌّ وتاريخيٌّ وجوهريٌّ ما بين الرمز والمرموز إليه.

مثلًا: هناك الملكُ داوُد، الذي كان الملكَ الممسوحَ من الله على شعب العهد القديم، والملك يسوع، الذي هو ملك الملوك، الذي مسحَه الله على شعبه في كلِّ العالم. ينحدر يسوع من نسل داوُد، وهو وارث وعود العهد الداوُديِّ في ٢صموئيل ٧.

٢. يجب أن يكونَ هذا الرمز مصمَّمًا بعنايةٍ ليُبشِّرَ بالعمل الفدائيِّ لله في المسيح. ويعني هذا أنَّ التشابهَ العَرَضيَّ أو حتَّى الموضوعيَّ لا يكفي لوَضْع ارتباطٍ معيَّنٍ ما بين رمزٍ ومرموزٍ إليه. "يجب أن يكون هناك بعض الأدلَّة الكتابيَّة التي صمَّمَها الله".

مثلًا: يوبِّخُ حمار بلعام معلِّمًا كذَّابًا، ويوبِّخُ يسوع المعلِّمين الكذبة. لكنَّ هذا في حدِّ ذاته لا يجعل من حمارِ بلعامَ رمزًا إلى المسيح! الهدف من الحمار الذي يتحدَّث في سِفر العدد ٢٢ هو تسليط الضَّوء على بلعام، وليس الإشارة إلى يسوع.

٣. بخلافِ الرمز المجرَّد، الذي يمثِّل حقيقةً أو فكرةً عامَّة، يجب أن يتَّطلع الرمز بطبيعته إلى تحقُّقه المحدَّد والأهمِّ في ما يُرمَز إليه.

مثلًا: في العهد القديم، الدم هو رمزٌ إلى الحياة عمومًا. يعطي المسيح الحياة، لكنَّ الدم ليس رمزًا إلى المسيح. صحيحٌ أنَّ الدمَ يظلُّ رمزًا إلى الحياة. غير أنَّ ذبيحة الحَمَل، الذي يُسفَك دمه بديلًا من الخاطئ، هي رمز؛ فكما تشير رسالة العبرانيِّين، يشير الرمز نحو الأمام إلى ذبيحةٍ أعظم، ستكون فعَّالة حقًّا، وستكون أخيرًا كافية.

كيفيَّة الانتقال، وعدم الانتقال، من النصّ إلى التطبيق

وفائدة أُخرى لفَهْم دراسة الرمز أو المثال هو أنَّه يمنعنا من استنباطِ مواعظَ واستعارات مجازيَّةٍ من العهد القديم. في كلِّ مرَّة نفسِّر نصَّ العهد القديم، يكون لدينا أربعةُ خيارات للتطبيق. خِيارنا الأوَّل هو الإقرار بعدم وجود تطبيق. كان هذا النصُّ "يخصُّهم" وحدَهم، ولا بدَّ هنا من توضيح أنِّي لا أتَّخذُ هذا الخِيارَ عادةً. والخِياراتُ الثلاثةُ الأُخرى هي استنباط المغزى والجانبُ التشبيهيُّ والجانبُ الرمزيّ. وقد حاولتُ تمثيلَ هذه الخِياراتِ الثلاثة في الأشكال الآتية. وقُدِّمَ هذا إليَّ على

9Marks Online PDF

أنَّه مستطيل كلاوني[٧] (Clowney's Rectangle)، حيث استخدمتُه بصورةٍ متكرِّرةٍ على مرِّ السنين لإظهار مدى تأصُّله في دراسة رموز النصِّ وتفسيرها.

في أحيانٍ كثيرة، ننتقل مباشرةً من رمزٍ في العهد القديم إلى التطبيق الشخصيِّ على نحوٍ يسعى إلى استنباط المغزى. مثلًا، صارتْ حادثةُ داوُد وجُليات قصَّةً أخلاقيَّة عن الشجاعة بالاتِّكالِ على الله. لا توجد محاوَلةٌ لفَهْمِ النصِّ في سياقه الأصليّ، أو رَبْطِه بالمسيح. الحركة مباشرةٌ من نصِّ العهد القديم إلى التطبيق المعاصر (انظُرِ الشكل ٤ ,٣).

الشكل ٣,٤: استنباط المغزى والتطبيق الشخصيّ

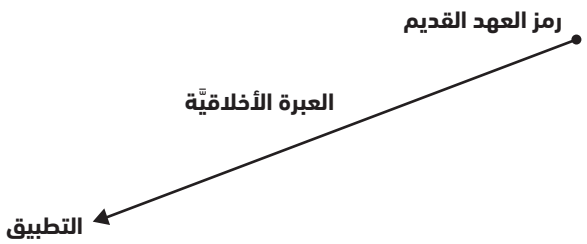

وهناك تطبيقٌ كان شائعًا أكثر في العصور الوُسطى، وقليلًا ما يُسمَع اليوم، وهو أسلوب الاستعارة أو التشبيه. في هذه الحالة، نبدأ بأفكارٍ مسبَّقة عن التطبيق، ثمَّ نحوِّل تفاصيلَ قصَّة العهد القديم إلى رموزٍ تمثِّل تطبيقنا اليوم. مثلًا، تصبح الأحجار الـمُلْسُ الخمسةُ لداوُد في معركته مع جُليات الأدواتِ الخمسَ للقسِّ الأمين: الكتاب المقدَّس، والصلاة، والفرائض المقدَّسة، وأمرَين آخرَين ترَونَ أنَّهما مفيدان ليركِّز القسُّ عليهما. وهكذا تعود الحركة من الحاضر إلى النصِّ برموزٍ اعتباطيَّة لم يدركْ القرَّاء الأصليُّون أهمِّيَّتها (انظر الشكل ٥ ,٣).

٧) المرجع السابق نفسه. هذه إشارةٌ إلى إدموند كلاوني، الذي رسمَ شيئًا كهذا أوَّل مرَّةٍ لغوردون هوغنبرغر، وهو مَن علَّمَني إيَّاه. ومنذ ذلك الحين نُشِرَتْ في هوغنبرغر ٣٣٩- ٣٤١.

9Marks Online PDF

الشكل ٣,٥: التشبيهات والتطبيق الشخصيّ

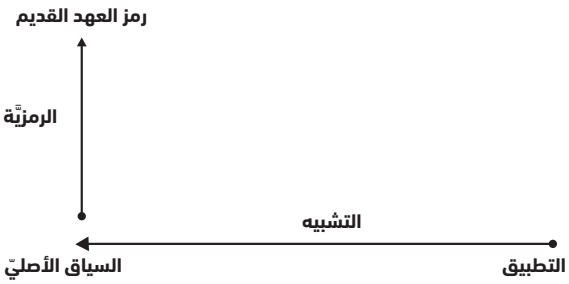

في الواقع، تحمينا دراسة الرموز من التفسير التشبيهيِّ والتفسير بغيةَ استنباطِ المعنى، وتؤكِّد لنا أنَّ العهد القديم لم يُكتَبْ فقط من أجل "معاصريه"؛ فهي تبدأ بالعهد القديم، وتسعى إلى فَهْمِ أهمِّيَّة الرمز في سياقه الأصليّ، ومن حيثُ أهمِّيَّتُه للقرَّاء الأصليِّين. ثمَّ لا ينتقل إلينا، بل إلى تحقيق الرمز في المسيح وعمله الفدائيِّ بوصف المسيح هو المرموز إليه. عندئذٍ فقط تنتقل دراسة الرمز إلى التطبيق المعاصر (انظُرِ الشكل ٦ ,٣).

الشكل ٣,٦: دراسة الرمز والتطبيق الشخصيّ

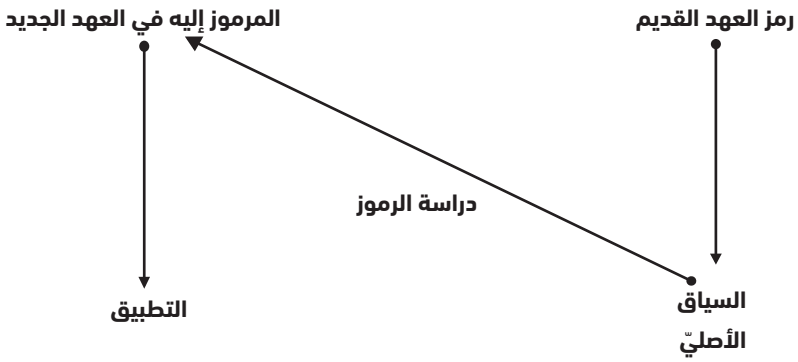

ولذلك فإنَّ قصَّة داوُد وجُليات ليسَتْ قصَّةً رمزيَّةً عن قيادة الراعي ولا قصَّةً ذات مغزى عن الشجاعة، ولا مجرَّد قصَّةٍ مثيرةٍ للاهتمام، تكون عديمةَ الفائدة، من التاريخ القديم. بدلَ ذلك، يمنحُنا هذا الحدثُ الحقيقيُّ من العهد القديم نظرةً ثاقبةً إلى ما حقَّقَه المسيح من أجل خلاصنا،

9Marks Online PDF

بوصفه ملكًا ممسوحًا من الله، لكنَّه مُحتَجِب، وهو وسيطٌ يخلِّصُ شعبَ الله بالقتال البشريِّ الفرديِّ مع عدوِّنا الأعظم. ومن ثَمَّ، فإنَّ نقطةَ التطبيق الأساسيَّة تنتقل من الجَهد الأخلاقيِّ من جانبنا إلى عبادة المسيح بطلنا، والإيمان به.

الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع)

حتَّى الآن شدَّدْتُ على الوَحدة الأساسيَّة للقصَّة الكبرى للكتاب المقدَّس، حيث تُحفَظُ الوعود النبويَّة في الرموز، وتتحقَّقُ لاحقًا في المرموز إليه. لكنْ ربَّما انتبهْتَ إلى أنَّني ذكرتُ مِرارًا وتَكرارًا أنَّ هذه الحركة من قطع الوعد إلى حِفظِ الوعد، من الرمز إلى المرموز إليه، هي حركةٌ طبيعيَّةٌ يكون فيها التحقُّق دائمًا أكبر من الوعد نفسه أو الرمز الأصليّ.

غير أنَّ الفرق ما بين الوعد وتحقيق الوعد لا يمكن تفسيره ببساطةٍ على أنَّه اختلافٌ في المقدار. مع أنَّ هناك استمراريَّةً في قصَّة خُطَّة الله للخلاص والأفعال التي يُجريها الله، فإنَّ الحركةَ من الوعد إلى تحقيقه موصوفةٌ في الكتاب المقدَّس على أنَّها حركةٌ ما بين الظلِّ والواقع (كولوسِّي ٢: ١٧)؛ وما بين المثال الأصليِّ ومجرَّدِ نسخةٍ منه (عبرانيِّين ٨: ٥). وما يعنيه هذا هو أنَّ هناك فجوةً كبيرة، مع وجود استمراريَّة، بينما نتحرَّك على مرِّ العصور من أحَدِ أبعاد تحقيقِ الوعد إلى بعدٍ آخَرَ لاحِق.

أحيانًا تكون الفجوةُ التي نواجهها من متطلَّبات التحقيق النهائيِّ للوعد. مثلًا، في ٢صموئيل ٧، وعد الله داوُد بأنَّ ابنًا من صُلبه سيجلس على عرشه إلى الأبد. في السياق الأصليِّ للمقطع، يمكن بسهولة فهمُ أنَّ هذا يعني سلالةً لا تنقطع. لكنَّ في تحقيقها النهائيّ، الابن الموعود ليس فقط من نسل داوُد، بل هو ابنُ الله الأبديّ، المتجسِّد في مريم العذراء، والقائم في جسدٍ ممجَّد لا يموت، والذي أُعطِيَ سيادةً أبديَّة بصفةِ ملكٍ صاعد، وأُجلِسَ عن يمين الله الآب. اتَّضحَ أنَّ وعدَ سلالةٍ لا تنتهي يتحقَّقُ أخيرًا بواسطةِ عهدِ ملكٍ أبديٍّ لا يموت!

في حالاتٍ أُخرى، فإنَّ الفجوةَ نفسها هي تحقيقٌ للوعد. مثلًا، في نبوَّة إرميا عن العهد الجديد، يقول النبيُّ صراحة: "ليس كالعَهدِ الذي قَطَعتُهُ مع آبائِهِمْ يومَ أمسَكتُهُمْ بيَدِهِمْ لأُخرِجَهُمْ مِنْ أرضِ مِصرَ..." (إرميا ٣١: ٣٢). وكيف سيكون الوضعُ مختلفًا؟ السبب الأوَّل أنَّه لن يُنقَض

9Marks Online PDF

(العدد ٣٢). والسبب الآخَرَ هو أنَّه سيجري تجديد كلِّ أفراد هذا العهد، وستُكتَبُ الشريعةُ على قلوبهم (العدد ٣٣). وهناك فرقٌ آخَرُ: أنَّ العهدَ لن يعملَ وَفْقًا للخطوط الطبيعيَّة للولادة والنَّسَب، بل بالولادة الروحيَّة (العددان ٢٩ و٣٠).

الفجوة، أو الانقطاع، هنا ما بين العهد الجديد والعهد الموسويِّ هائلة: عهدُ نعمة، لا أعمال؛ عهدٌ يجدِّدُ بدلَ أن يُميت؛ عهدٌ يدخلُه المرء بالولادة الروحيَّة بدلَ الولادة الطبيعيَّة. ورغم كلِّ هذه الفجوات، فإنَّ إرميا واضحٌ في أنَّ هذا العهد الجديد هو التحقيقُ النهائيُّ لوعود الله لشعبِ العهد القديم، التي قطعَها مع جدِّهم إبراهيم.

كيف نفهم الفجوات؟ يعطينا العهدُ الجديدُ المفتاح. من ناحية، لم يستطَعِ العهد القديم أن يُحيي (غلاطِيَّة ٣: ٢١)، ولم يكُنْ فعَّالًا. وهكذا كان لا بدَّ من إبرام عهدٍ أفضلَ يكون فاعلًا أكثر. من جهةٍ أُخرى، فإنَّ العهد الجديد ليس فقط أكثر فاعليَّة، بل هو متفوِّقٌ لأنَّه الشيءُ الحقيقيّ. ومع أنَّ العهد القديم كان مجيدًا، فإنَّ المسيح كان متفوِّقًا على موسى، والعهد بدمه متفوِّقٌ على العهد المختوم بدم حيوانات (انظُرْ عبرانيِّين ٩). كانت هذه الأمورُ مجرَّدَ ظلالٍ تشير إلى الشيء الحقيقيّ. ويتمِّم يسوع كلَّ ما سبق، وبذلك يكشفُ عن ملءِ مجدِ الله. إنَّه كلمة الله المطلَقةُ النهائيَّة؛ لأنَّه رئيسُ الكهنة الحقيقيُّ وحملُ الله الحقيقيّ. وهو متفوِّقٌ؛ لأنَّه الهيكلُ الحقيقيُّ، حيث يلتقي الله والإنسان فعليًّا، كما أنَّه متفوِّق؛ لأنَّه يقودنا إلى الراحة الحقيقيَّة من الله، إلى الراحة الأبديَّة، ليس في أرض فلسطين، بل في الخليقة الجديدة ذاتها.

وعندما نفكِّر في الامتدادِ العريض لتاريخ الفداء، ندرك أنَّه إذا لم تكنْ هناك فجوات ما بين الوعود وتحقيقها، فسوف يتلاشى أساسنا للرَّجاء في خِضمِّ تجارِب هذا العالم ومشقَّاته. كما يقول بولس الرسول: "إنْ كانَ لنا في هذِهِ الحياةِ فقط رَجاءٌ في المَسيح، فإنَّنا أشقَى جميعِ الناس" (١كورنثوس ١٥: ١٩). لكنَّ هذا ليس وضعَنا؛ إذ يشير نسلُ هارون من الكهنة إلى المسيح، لكنَّ يسوع لا ينحدر من هذا النسل. لماذا؟ لأنَّ هذا النسل قد فشل، والذبائح التي قدَّموها لم تجلب الحياة. وبهذا لا يمكن أن يخلَّصَ العهدُ الذي توسَّطوا فيه، بل كما تعلن رسالة العبرانيِّين: "... بحَسَبِ قوَّةِ حياةٍ لا تزولُ...يَشهَدُ [ليسوعَ] أنَّكَ: «كاهِنٌ إلَى الأبدِ علَى رُتبَةِ مَلكي صادَقَ»"،

9Marks Online PDF

والذي بحسب كهنوته "نَقتَرِبُ إلَى الله" (انظُرْ عبرانيِّين ٧: ١٦ – ١٩). مجدًا لله الذي يحفظ وعوده، وحمدًا لاسمه لأنَّه يحفظُها على نحوٍ أفضل جدًّا ممَّا توقَّعناه أو تصوَّرناه.

الخلاصة

لقد مهَّدنا قسمًا كبيرًا من الأرضيَّة في الفصلَين الأخيرَين، وكان على بعضِها تضاريسُ وعرةٌ حقًّا. لذلك حان الوقت لنَيلِ قسطٍ من الراحة، ورؤيةِ إلى أيِّ مدًى وصلنا نحوَ بناء لاهوتٍ كتابيٍّ نافعٍ للخدمة الراعويَّة. لقد بدأتُ هذا الفصل بأن طلبتُ إليك أن تفكِّرَ في كيفيَّة التعامُل مع العهدَين القديم والجديد. وآملُ أن تكونَ النقطةُ الأساسيَّةُ واضحةً حتَّى هذه المرحلة. إنَّ أدوات اللاهوت الكتابيِّ تستردُّ لك الكتابَ المقدَّس كلَّه– من التكوين إلى رؤيا يوحنَّا– ليكونَ مصدرًا قويًّا للوعظ والتعليم المسيحيِّ العميق. مثلًا، أنا مستعدٌّ للوعظ من سفرِ العدد في كنيستي. عنوان السلسلة هو "المسير نحو السماء، والتجوال في الأرض". وتقتصر عِظَتي الأولى على الأعداد العشرة الأولى. هذا صحيح– قوائم الأسباط، وترتيب الخِيَم والمسير، وشرائع التطهير. كيف يمكنك أن تقدِّم عِظةً مسيحيَّةً من مقطعٍ كهذا؟ أنت تفعل ذلك فقط عندما تتعلَّم تمييز التشابُهات الرمزيَّة ما بين موسى والمسيح، وما بين شعب إسرائيل والكنيسة. ويجب أن تُعين مقاطعُ مثل عبرانيين ٤، وكورِنثوس الأولى ١٠ وغيرهما أسلوبنا التفسيريّ. لذلك، يمكننا أن ندرك أنَّ هذه الأمور قد كُتِبَتْ، ليس لتعليمنا كيفيَّةَ وضْعِ خُطَّةِ معركة هرمجدون، بل لتوجيهنا إلى المسيح والانتصار الذي حقَّقه نيابة عنَّا– الانتصارِ الذي يكسبُ لشعبه أكثرَ بكثيرٍ من أراضٍ في منطقة الشرق الأوسط (أرض الميعاد)، إذ إنَّه يكسبُ السماءَ نفسَها.

وهنا أريدك أيضًا أن ترى أنَّ أدواتِ اللاهوت الكتابيِّ تعطيك ليس فقط كتابًا مقدَّسًا كاملًا للوعظِ منه، بل تمنحك أيضًا كتابًا مقدَّسًا كاملًا لممارسةِ مختلفِ أشكالِ الخدمة. لذلك عندما يأتي أحَدُ أعضاء الكنيسة إلى مكتبك، ويعاني جرَّاء الخوف، يمكنك الرجوع إلى قصَّةِ داوُد وجُليات. لكنْ بدلَ استخدام داوُد كأنَّه عصًا أخلاقيَّةٌ غليظةٌ لحثِّ الشخصِ على الشجاعة، والتي قد تجعل هذا الشخصَ يشعرُ بالذَّنب، يمكنك استخدام داوُدَ لتوجيه الشخص إلى المسيح، الذي تغلَّب

9Marks Online PDF

على أعتى عدوّ، والمتمثِّل في الخطيَّة والموت. أو عندما يأتي إليك شابٌّ يافعٌ بأسئلةٍ حول الطهارة الجنسيَّة، يمكنك اصطحابه إلى قصَّة داوُد وبثشبَع. لكنْ بدلَ استخدام العواقب الرهيبة للقصَّة لتكونَ تكتيكًا مخيفًا للمطالبة بالطهارة، يمكنك أن تشرح لذلك اليافع أنَّ فشَلَ داوُد، مثل فشلنا، يشير إلى الحاجة إلى ملكٍ أفضل لا يفشل، وبعد ذلك يستخدمُ طهارتَه لتخليصنا من نجاستنا. في سياق فَشَلِ داوُد وبرِّ المسيح، يمكنك شرحُ الامتياز المذهل الذي نتمتَّع به في الكنيسة لنكونَ عروسَ المسيح، ومن ثَمَّ استخدام أجسادنا، سواء كنَّا عازبين أم متزوِّجين، لتكونَ عرضًا لمحبَّة المسيح الطاهرة الحصريَّة لشعبِه.

اللاهوت الكتابيُّ هو لاهوتٌ عمليّ؛ لأنَّه يعطينا الكتابَ المقدَّسَ كلَّه لاستخدامه كما قصدَ الله له أن يُستخدَم: بأن يركِّزَ على بشارة الإنجيل، ويمجِّدَ المسيح، ويغيِّرَ الحياة. بهذا، سيكونُ الكتاب المقدَّس عمليًّا أكثرَ ومفيدًا أكثر.

9Marks Online PDF

الفصل الرابع

اللاهوت الكتابيُّ والنظاميّ: هل نحتاجُ حقًّا إلى كلَيهما؟

في الفصول الثلاثة الأولى نظَرْنا إلى أدوات محدَّدةٍ لبناءِ لاهوتٍ كتابيّ. فتناوَلْنا موضوعات:

- **التفسير التحقيقيّ**، وقراءة نصٍّ ضمن سياقه.
- **النوع الأدبيّ**، وتأثير الأشكال الأدبيَّة المختلفة في المعنى والتفسير.
- **عهود الكتاب المقدَّس** والبنية التي تعطيها للكتاب المقدَّس، تاريخيًّا ولاهوتيًّا.
- **المساحات المختلفة من التفسير** على مستوى النصِّ، والحِقبة، والأسفار المقدَّسة معًا.
- اللاصق الذي يجمع معًا أجزاء القصَّة كلِّها– **الطبيعة النبويَّة للكتاب المقدَّس وديناميكية الوعد وتحقيقه**.
- **دراسة الرموز**، التي تستند إلى التدبير النبويِّ الإلهيِّ للتاريخ.
- **التوتُّر ما بين الاستمراريَّة والفجوات** (الانقطاع) في الإعلان الإلهيِّ المتدرِّج، الذي يتكشَّف وينمو نموًّا طبيعيًّا كما تنمو البذور وصولًا إلى نباتٍ كامل.

9Marks Online PDF

لم ينتهِ عملنا بعدُ

أنجَزْنا الكثير من العمل، ومن المغري أن نعتقد أنَّ تحضيراتنا قد انتهت وأنَّنا مستعدُّون للبدء بالبناء. إذا استخدَمْنا كلَّ هذه الأدوات لنتمكَّن من فَهْمِ قصَّة الكتاب المقدَّس بمُجملها، وفَهْمِ كيفيَّة ارتباط كلِّ جزءٍ من أجزائه بالأجزاء الأخرى والتي تبلغ ذروَتَها في المسيح- ألا يكون عندنا لاهوتٌ كتابيٌّ أمين؟ ألا يكون عندنا ما نحتاج إليه لنعيشَ حياةً أمينةً في ضَوء القصَّة الكتابيَّة ونساعد الآخرين على التمتُّع بالأمر نفسه؟ لا، لن يكون عندنا بعدُ. إنَّنا نحتاج إلى اللاهوت النظاميِّ مثلما نحتاج إلى اللاهوت الكتابيِّ إذا أرَدْنا بناءَ شيءٍ مفيدٍ حقًّا للخدمة.

هناك بعض مَن يعتقدون أنَّ اللاهوت النظاميَّ غيرُ ضروريّ، بل يرَونَه بصراحةٍ غيرَ مفيد. اقرأ مثلًا كتاب القسِّ روب بل بعنوان "لوحة إلفيس المخمليَّة" (Velvet Elvis).[٨]

على مدى الكتاب، يؤكِّد روب الكثيرَ من أفكار المسيحيَّة القويمة. لكنْ يتَّضحُ أيضًا أنَّه ميَّالٌ إلى فئة "القصص ذات المغزى" أكثر بكثيرٍ من مَيله إلى فئة "الحقائق التقليديَّة المفترَضة". يرى روب وآخرون كثيرون في العقليَّة الناشئة في ما بعد الحداثة فكرةَ أنَّ الحقائقَ التقليديَّة هي أمرٌ مسيء. يرَونَها ضيِّقةً ساكنةً مطلَقة، ولا حاجة إلى التعليقِ على أيِّ شيءٍ آخرَ فيها. في المقابل، يشيرون إلى طابعِ قصَّةٍ مفتوحٍ ديناميكيٍّ يستندُ إلى العلاقات. تنقلُ القصَّة الحقيقةَ والمعنى، لكنَّها تقدِّم أيضًا إليك دعوة، وتطلبُ إليك أن تتجاوَبَ، ثمَّ يصبح تجاوُبُك جزءًا مهمًّا من القصَّة. يمكن سماع القصَّة نفسها من أشخاصٍ مختلفين بأساليبَ مختلفةٍ وأزمنةٍ مختلفة، ولا يتطلَّبُ الأمرُ أن يكونَ أيٌّ من رواة القصَّة أفضلَ أو أكثر صَوابًا من الآخرين. في الواقع، يُقالُ إنَّ القصَّة والسرد، على خلاف الافتراضات التقليديَّة، يُنتِجانِ حواراتٍ تؤدِّي إلى مزيدٍ من الأفكارِ الجديدة الثاقبة. من جهةٍ أُخرى، تظلُّ الافتراضات التقليديَّة ثابتةً في مكانها، وتُنتجُ عمومًا جدلًا وانقسامًا وقمعًا، حيث أحاولُ إجبارك على الاتِّفاقِ معي، في حين تفعلُ أنتَ الأمرَ نفسَه معي.

8) Rob Bell, *Velvet Elvis: Repainting the Christian Faith* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2005).

9Marks Online PDF

لهذا أطلقَ روب بل على كتابه عنوان: "لوحة إلفيس المخمليَّة". إنَّه كتاب عن يسوع وبشارة الإنجيل والحياة المسيحيَّة. لكنْ مثلما لا يظنُّ أيُّ رسَّامٍ على المخمَل أنَّه أنتَج صورةً طبقَ الأصل عن المغنِّي الراحل إلفيس بريسلي، فإنَّ بل لا يدَّعي أنَّه يقولُ أيَّ شيءٍ مطلَقٍ طبقَ الأصلِ عن يسوع أو الحياة المسيحيَّة. ما يقولُه هو مجرَّد وجهة نظره، وهو يدعوك إلى طَرحِ منظورك في الحوار أيضًا.[٩] يبدو هذا متواضعًا جدًّا، بل إنَّه يبدو جذَّابًا تمامًا إذا كان لديك مزاجٌ فكريٌّ مثل مزاجي.

إذا كانت رواية "لوحة إلفيس المخمليَّة" ترسمُ صورةً لسياقنا الثقافيّ- وهو ما أعتقد أنَّها تفعله- يمكنك أن تتصوَّر سببَ تفضيلِ اللاهوتيِّين للَّاهوت الكتابيِّ على اللاهوت النظاميّ. يركِّزُ اللاهوتُ الكتابيُّ على قصَّة الكتاب المقدَّس بمجمله. وفي حين أنَّ اللاهوت النظاميَّ هو الذي يستخلصُ الافتراضات من تلك القصَّة، فإنَّه يُنظَرُ إليه على أنَّه متشدِّدٌ ضيِّقُ الأُفق. اليوم كثيرٌ من الناس مغرَمون بالإشارة إلى أنَّ الله لم يُعلنْ لنا عن ذاته في لاهوتٍ نظاميّ، بل بواسطة التاريخ. ويشيرون إلى أنَّ غالبيَّة الكتاب المقدَّس هي سرديَّة، وأنَّ الكثير من الأمور التي يبحثُ اللاهوتُ النظاميُّ فيها تبدو بعيدةً عن نصوصِ الكتابِ المقدَّس. لذلك يُقال إنَّنا لا نعرف الله ونفهمُه بحِفْظِ صفاته كما يورِدُها اللاهوت النظاميّ، بل نحن نتعرَّفُ إلى الله ونفهمه بمقابلته في قصصِ الخروج والسبي، وهي قصصٌ تسمح لنا باختبار قوَّته وأمانته ومحبَّته وسخطه الرهيب.

وبقدر ما يبدو هذا جذَّابًا؛ ومع أنَّ في هذا القول شيئًا من الحقِّ، فما تزالُ قناعة المؤمنين بالمسيح منذ بداية المسيحيَّة أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ لا يكفي إذا أرَدْنا أن نعرفَ الله ونعيش حياةً أمينةً لإعلانه عن ذاته في الكتاب المقدَّس. حتَّى لو لم تكنْ قد فكَّرت في هذا السؤال من قبل، فإنَّك تختبرُ الحاجةَ إلى اللاهوت النظاميِّ كلَّ يومٍ في الخدمة. إنَّ ما تعتمدُ عليه هو اللاهوتُ النظاميُّ عندما تحتاج إلى:

- مشورةِ فتاةٍ يافعة حاملٍ وإقناعها بعدم إجهاضِ جَنينها.
- التعليمِ عن مسؤوليَّتنا أن نكونَ وكلاءَ صالحين على العالم الذي خلقَه الله.
- تعزيةِ والدَين هجرَ ولدُهما الراشد الإيمانَ الذي نشأ عليه.

٩ المرجع السابق نفسه، ١٠- ١٤.

9Marks Online PDF

- تدريبِ قادة الكنيسة الآخرين على كيفيَّة تنظيم شؤون الكنيسة المحلِّيَّة وإدارتها.
- شَرْحِ قصدِ يسوعَ لضَيفٍ يزور كنيستك أنَّ يسوعَ يريدُنا أن نكونَ أعضاءَ في كنائسَ محلِّيَّة، وليس فقط في الكنيسة الجامِعة.
- شَرْحِ ما تعنيه فريضتا المعموديَّة والعشاء الربَّانيّ.
- شرحِ سبب عدم سماحك لمرشَّحٍ سياسيٍّ بعشر دقائق لمخاطبة أعضاء كنيستك في الاجتماع المقبِل.
- مساعدةِ شيوخِ كنيستك على التفكير في معنى محبَّة المهاجرين غير الشرعيِّين المجاوِرين للكنيسة.

أتفهمُ قَصْدي؟ ويمكن أن تطولَ القائمة وتطول. كلُّ هذه أسئلةٌ نواجهها طَوال الوقت، لكنْ لا يوجد سردٌ مباشرٌ في الكتاب المقدَّس يمكنُنا اللجوء إليه للحصول على إجابة. لا، إذا أرَدْنا أن يكون عندنا لاهوتٌ كتابيٌّ يمكن تطبيقه على كلِّ الحياة وكلِّ مجالٍ من مجالات الفكر والمساعي الإنسانيَّة، فسنحتاج إلى أكثرَ من مجرَّد أدوات اللاهوت الكتابيّ. سنحتاج أيضًا إلى أدواتِ اللاهوت النظاميّ.

كيفيَّة ارتباط اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميّ

قبل المضِيِّ إلى أبعد من ذلك، علينا وَضْعُ بعض التعريفات. ما تعريف اللاهوت الكتابيّ؟ ما تعريف اللاهوت النظاميّ؟ كيف يتشابَهُ اللاهوتان؟ أين يكمنُ الاختلاف ما بينهما؟ كيف ينبغي أن نفكِّر في العلاقة ما بين الاثنَين؟

اللاهوت الكتابيّ

سنبدأ باللاهوت الكتابيّ؛ لأنه ما نتناوله منذ مقدِّمة هذا الكتاب. لقد قلتُ إنَّ اللاهوت الكتابيَّ يهتمُّ ليس فقط بما يعلِّمه الكتاب المقدَّس، بل أيضًا بكيفيَّة الإعلان المتدرِّج لهذا التعليم ونموِّه بالتدريج على مدار التاريخ. الآن حان الوقت لتعريفٍ رسميٍّ أدقّ. ليتَ الأمرَ كان بتلك السهولة!

9Marks Online PDF

إذا بحثْتَ في تاريخ المصطلح، فستجد أنَّه كُتِبَ عن ماهيَّة اللاهوت الكتابيِّ بقدرِ ما وُضِعَتْ كتبٌ عن اللاهوت الكتابيِّ بكلِّ أركانه.

لن أتطرَّقَ إلى التعريفات المحصورةِ في دوائر النقاش البحثيِّ الأكاديميّ. إذا كان هذا يهمُّك، فأنصحك بشراء "القاموس الجديد للَّاهوت الكتابيّ".[١٠] بدلَ ذلك، سأقدِّمُ إليكم عددًا قليلًا يبدو أنَّه يشملُ الواجهةَ الأساسيَّةَ وسط مَن يتمسَّكون بنظرة محترَمةٍ مقدَّرةٍ للكتاب المقدَّس. وسيُعلِّمنا كلٌّ منهم شيئًا مهمًّا عن ماهيَّة اللاهوت الكتابيّ.

عرَّفَ مَن يُعدُّ جدَّ اللاهوت الكتابيِّ بين الإنجيليِّين، جيرهاردوس فوس، المصطلحَ بقَول: "اللاهوت الكتابيُّ هو أحد فروع اللاهوت التفسيريِّ التحقيقيّ (Exegetical Theology) الذي يتعامل مع عمليَّة إعلان الله عن ذاته كما يوردُها الكتاب المقدَّس".[١١] فماذا يعني هذا؟ يعني هذا أنَّ اللاهوت الكتابيَّ لا يركِّزُ على الأسفار الستَّة والستِّين من الكتاب المقدَّس- "الصورة النهائيَّة [لإعلان الله عن ذاته]"، بل يركِّز على "العمل السماويِّ" الفعليِّ لله كما يتكشَّف في التاريخ (ويُسجَّل في تلك الأسفار الستَّة والستِّين). يعلِّمنا هذا التعريف للَّاهوت الكتابيِّ أنَّ الإعلانَ هو أوَّلًا ما يقوله الله ويفعله في التاريخ، وثانيًا ما قدَّمه إلينا في هيئة كتاب. ويعني هذا أنَّ إحدى الخصائص الأساسيَّة للَّاهوت الكتابيِّ هي أنَّ المبدأ في تنظيمِه تاريخيّ. ويتحرَّك اللاهوت الكتابيُّ على طول محور تاريخ الفداء، وهو يبحثُ بصورةٍ خاصَّة في النموِّ والتطوُّر، ومن ثَمَّ في أسئلةِ الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع)، والانتقال في النموِّ كانتقالِ البذرة الصغيرة إلى النبات المكتمِل.

وإليكم تعريفًا آخر. يقول دون كارسون إنَّ "اللاهوت الكتابيَّ يسعى إلى الكَشْفِ عن وَحدةِ كلِّ النصوص الكتابيَّة عند جَمْعها معًا، وإلى التعبير عن هذه الوَحدة، والعودة إلى التصنيفات التي تندرجُ فيها تلك النصوص".[١٢] وماذا يعني هذا؟ يعني هذا أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ يهتمُّ اهتمامًا خاصًّا

10) T. Desmond Alexander, Brian S. Rosner, D. A. Carson, Graeme Goldsworthy, eds., *New Dictionary of Biblical Theology* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000).

١١) مقتبسٌ من المرجع الآتي:

Vern Poythress, "Kinds of Biblical Theology," *Westminster Journal of Theology* 130 :(2008) 70.

12) D. A. Carson, "*Systematic Theology and Biblical Theology*," in NDBT, 100.

9Marks Online PDF

بالسياقات الأدبيَّة والتاريخيَّة المتنوِّعة للقصَّة، ومن ثَمَّ يحاول رَبْطَ معنى القصَّة بالمصطلحات التي تردُ في القصَّة نفسها. مثلًا، يتتبَّعُ اللاهوت الكتابيُّ تطوُّرَ مفهومَي الذبيحة والعهد، ليس لأنَّ هذَين المصطلحَين معاصرَين ولهما صلةٌ بنا بصورةٍ خاصَّة، بل لأنَّ هذَين المصطلحَين هما ضمن المصطلحات والأجندة التي تعرضُها القصَّة الكتابيَّة نفسها. وكما لخَّص توم شراينر، فإنَّ اللاهوت الكتابيَّ "يتساءلُ عن الموضوعات التي تُعدُّ مركَزيَّةً لكتَّاب أسفار الكتاب المقدَّس ضمن سياقها التاريخيّ، وهو يعمل على أن يجدَ التماسك والاتِّساق لمثل هذه الموضوعات".[١٣]

وإليكم تعريفًا آخر. يقول ستيف ويلوم إنَّ اللاهوت الكتابيَّ "يؤكِّد أنَّ قراءة الكتاب المقدَّس بوصفه وَحدةً واحدةً هو ليس مجرَّدَ أحدِ الخيارات التفسيريَّة، بل هذا ما يتوافق تمامًا مع طبيعةِ النصِّ نفسه، عالمين أنَّه وحيٌ إلهيّ. وبوصفه [أي اللاهوت الكتابيِّ] تخصُّصًا، فهو يوفِّر ليس فقط أساسًا لفَهْم كيفيَّة ارتباط النصوص في أحد أجزاء الكتاب المقدَّس بكلِّ النصوص الأخرى، بل هو يضعُ أيضًا أساسًا وتدعيمًا لكلِّ عمليَّة دراسة اللاهوت".[١٤] ما القصد من هذا التعريف؟

يعني هذا أنَّ اللاهوت الكتابيَّ يهتمُّ ليس فقط بحقيقة الوعد وتحقيقه، والرمز والمرموز إليه، بل يهتمُّ أيضًا بإظهار هذه الأمور على أنَّها حقيقةُ قصَّةٍ واحدةٍ منبثقةٍ من عقلٍ إلهيٍّ واحدٍ وَفقًا لمشيئةٍ إلهيَّةٍ وسيادةٍ واحدةٍ واضحةٍ للجميع، رغم تنوُّع الأدب والتاريخ والكاتب البشريّ. كما يلاحظ دون كارسون، وهو مُحِقّ، أنَّ هذا يعني أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ ليس وصفيًّا فحسب، مثلما أنَّ اللاهوتَ النظاميَّ ليس وصفيًّا فقط. بل إنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ يقدِّم "توكيداتٍ مركَّبة بشأن طبيعة الخلق والفداء وإرادة الله وخُطَّته فيهما، وأيضًا طبيعة البشريَّة وهدفها و«قصَّتها»".[١٥]

وكما ترَون، لا تعتبر أيٌّ من هذه التعريفات حصرية وشاملة، بل يؤكِّدُ كلٌّ منها جانبًا مختلفًا من اللاهوت الكتابيّ. ربَّما تكون أفضل طريقةٍ للمضِيِّ قُدُمًا هي التمسُّك بأبسطِ تعريفٍ توصَّلتُ إليه (لأنَّه تعريفي الخاصّ). اللاهوت الكتابيُّ هو محاوَلةٌ لسَرْدِ كلِّ قصَّةِ الكتاب المقدَّس بوصفه

13) Thomas Schreiner, "Preaching and Biblical Theology," *The Southern Baptist Journal of Theology* 22 :(2006) 10.

14) Stephen J. Wellum, "Editorial: Preaching and Teaching the Whole Counsel of God," SBJT 22 :(2006) 10.

15) Carson, NDBT, 100.

9Marks Online PDF

الأسفار المقدَّسة المسيحيَّة. لذا فقصَّةُ اللاهوت الكتابيِّ هي قصَّةٌ لها معيارٌ وسُلطةٌ موثوقٌ بها في حياتنا؛ لأنَّها قصَّةُ مجدِ الله في الخلاص بواسطة الدَّينونة.

اللاهوت النظاميّ

ما تعريف اللاهوت النظاميّ؟ التعريف هذه المرَّةَ أسهلُ قليلًا.

ولعلَّ أبسطَ تعريفٍ هو ما أستخدِمُه عندما أعلِّم هذا الموضوع ضمن مَساقٍ دراسيّ. اللاهوت النظاميُّ هو محاوَلةُ تلخيصٍ بطريقةٍ منظَّمةٍ شاملةٍ لما يقولُه الكتاب المقدَّس كلُّه بشأنِ أيِّ موضوع. وبكلماتٍ أخرى، لا يبحثُ اللاهوتُ النظاميُّ في كيفيَّةِ تطوُّرِ الموضوع بمرور الزمن أو على مرِّ تاريخ الكتاب المقدَّس، بل يتعلَّقُ الأمرُ بأخْذِ كلِّ ما يُقال حول الموضوع وجَمْعِه ومقارنتِه ورَبْطِه، ثمَّ تلخيصِه تلخيصًا شاملًا. لا يبحثُ اللاهوت النظاميُّ في خطِّ سَيرِ القصَّة بقدر ما يهتمُّ بالنتيجة النهائيَّة.

ودون شكّ، يفعلُ اللاهوت النظاميُّ أكثرَ من مجرَّدِ تلخيص تعاليم الكتاب المقدَّس بشأن موضوعاتٍ عشوائيَّةٍ متفرِّقة. إذا كانت الموضوعات عشوائيَّةً متفرِّقة، فقد نُطلِقُ عليه اسم اللاهوت العشوائيّ.[١٦] غير أنَّ اللاهوتَ النظاميَّ سعى تقليديًّا إلى تنظيم الموضوعات نفسها، والتحقُّق من شمول كلِّ الموضوعات الأساسيَّة ومعظم الموضوعات الفرعيَّة الصغيرة في الكتاب المقدَّس، ثمَّ رَبْطِ الموضوعات بعضها ببعضٍ بصورةٍ منطقيَّة، بحيث يتأسَّسُ نظامٌ فكريٌّ متكامل. وبهذا المعنى، فإنَّ اللاهوت النظاميَّ ليس موسوعةً كتابيَّةً تقدِّم إلينا مقالاتٍ حول أيِّ موضوع يخطر في بالنا، بل هو محاولةٌ لتوضيح ما يمكن أن نسمِّيه منظور الكتاب المقدَّس إلى العالم.[١٧] وعندما يوجدُ مثل هذا الإطار لفَهْمِ مَن يكونُ الله، ومَن نكون نحن، ومن أين أتينا، وإلى أين نتوجَّه، فسرعان ما يصبح جليًّا أنَّ اللاهوتَ النظاميَّ يسمح لنا بالتفكير من منظورٍ كتابيٍّ في كلِّ أنواع الأمور التي لا يتناولُها الكتاب المقدَّس تناوُلًا مباشرًا. مثلًا، ما الذي يعلِّمه الكتاب المقدَّس بشأن علم النفس، أو الهندسة الكهربائيَّة، أو الرعاية الاجتماعيَّة؟ لا يُعلِّم في الواقع شيئًا مباشرًا، لكنَّه يعلِّمنا بعضَ

16) Wayne Grudem, *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 24 ,)1994.

17) Stephen J. Wellum, unpublished Systematic Theology 1 Class Lectures (2006).

9Marks Online PDF

الشيء بصورةٍ غير مباشرة؛ لأنَّ الكتاب المقدَّس يعطينا، بواسطة اللاهوت النظاميّ، منظورًا إلى العالم يمكنُنا به التفكير في تلك القضايا.

يسعُنا الآن أن نخطوَ خطوةً أُخرى نحو الأمام. إنَّ اللاهوتَ النظاميَّ ليس فقط يلخِّص تعاليم الكتاب المقدَّس بشأن أيِّ موضوع، ثمَّ ينظِّم تلك الموضوعات في إطارٍ متماسكٍ أو منظورٍ إلى العالم، بل هو يسعى أيضًا إلى صياغة تلك الملخَّصات في عقائدَ دقيقةٍ مضبوطةٍ تحدِّد العلاقة ما بين الصواب والخطأ؛ ما بين العقيدة القويمة والبدعة. يسعى اللاهوتُ النظاميُّ إلى صياغةِ تصريحاتٍ معياريَّة. وإليك مثالًا من واين جرودم: التصريح القائل إنَّ "الكتاب المقدَّس يقول إنَّ كلَّ مَن يؤمن بيسوع المسيح سينال الخلاص" هو "ملخَّص صحيحٌ تمامًا" لتعاليم الكتاب المقدَّس حول الخلاص.[١٨] لكنْ إذا كانَ هذا كلَّ ما لدينا عن هذا الموضوع، فيمكن أن يصطفَّ الجميع من إنجيليِّين إلى كاثوليك ومورمون ومسلمين وراء هذا التصريح. لماذا؟ لأنَّنا لم نعرِّفْ ماهيَّةَ الإيمان، ولم نقُلْ مَن يكون يسوع المسيح، ولا ماهيَّة الخلاص، ولا ما نخلُص منه ولا ما ننتقلُ إليه، ولا ما يعنيه الإيمانُ بيسوع. لتوفير الحماية في مواجهة الخطأ، ولإيصال الحقِّ الذي يخلِّص فعلًا، يتجاوز اللاهوت النظاميُّ الملخَّصات العامَّة إلى صِيَغِ عقيدةٍ دقيقةٍ مفصَّلة. وليس هذا محاوَلةً لتحسين الكتاب المقدَّس، بل ليكونَ أمينًا تمامًا تُجاهَ ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس.

أخيرًا، علاوةً على مهمَّاتِ اللاهوت النظاميِّ في التلخيص والتنظيم والتعريف، هو يسعى أيضًا إلى تطبيق هذه الحقائق في حياتنا اليوم. يعرِّفُ جون فريم اللاهوت النظاميَّ بأنَّه "تطبيق الأشخاص لكلمة الله على العالم وعلى كلِّ مجالات الحياة البشريَّة".[١٩] يلاحظ واين جرودم أنَّ "التطبيق على الحياة هو جزءٌ ضروريٌّ من السعيِ السليمِ الذي يضطلع به اللاهوت النظاميّ".[٢٠] ويضع دون كارسون الأمر على النحو الآتي: "يسعى اللاهوت النظاميُّ الذي يحمل اسمًا جديرًا به...إلى التعبير عمَّا يقوله الكتاب المقدَّس بطريقةٍ معبِّرةٍ ثقافيًّا، ونبويَّةٍ ثقافيًّا". ولا يهتمُّ اللاهوتُ

18) Grudem, 24.

19) John Frame, *Salvation Belongs to the Lord: An Introduction to Systematic Theology* (Philipsburg, NJ: P&R, 79, 2006).

20) Grudem, 23.

9Marks Online PDF

النظاميُّ بالأمور العتيقة ولا بتلك التقليديَّة.[٢١] بل يهتمُّ اللاهوت النظاميُّ بقوَّةٍ بالمسائل المعاصِرة. هدفه هو أن يعلِّمَنا ليس فقط الحقَّ الخالد، بل ما يعنيه هو أن نؤمنَ اليوم بذلك الحقِّ الخالدِ ونطيعه.

لماذا يضع اللاهوتيُّون التطبيق في صميم اللاهوت النظاميّ؟ لسبب بسيط: أنَّنا "لا نجد في أيِّ مكانٍ في الكتاب المقدَّس عقيدةً تُدرَس في سبيل الدراسة فقط".[٢٢] وفي هذا المعنى، فإنَّ اللاهوتَ النظاميَّ في الواقع ليس سوى محاوَلةٍ لطاعة المأموريَّة العُظمى. إذا كان اللاهوت الكتابيُّ يحاول أن يفهمَ الكيفيَّة التي تتناسب فيها المأموريَّة العُظمى مع خُطَّة الله الشاملة للفداء، فإنَّ اللاهوت النظاميَّ يحاول أن يُبيِّنَ بالضَّبط ما يعنيه لنا أن نعلِّم كلَّ ما أوصى به يسوع ونطيعه.

في ما يتعلَّق بالأمرَين، إذا كانت هذه هي تعريفات اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميّ، فكيف يرتبط اللاهوتان بعضها ببعض؟ يمكننا التفكير في هذا الأمر بطريقتَين مختلفتَين على الأقلِّ لكنَّهما مفيدتان.

أوَّلًا، ترتبط بوجودِ مسارٍ مشترَك للسُّلطة ما بينهما. يبدأ هذا المسار بالكتابِ المقدَّس، المصدرِ الرسميِّ المعياريِّ لكلِّ العمليَّة اللاهوتيَّة. ثمَّ ينتقل من الكتاب المقدَّس بواسطة تفسيرنا لمقطعٍ معيَّن. وبينما نجمعُ معًا كلَّ مقاطع الكتاب المقدَّس، يتكوَّن لاهوتنا الكتابيّ. أخيرًا، يبلغ المسار ذروَتَه في اللاهوت النظاميّ، بينما نحاول تلخيص حقِّ الكتاب المقدَّس وتطبيقه على حياتنا اليوم. وفي هذا المعنى، يميل اللاهوتُ الكتابيُّ لأنْ يكونَ تأسيسيًّا أكثر، في حين يعتمدُ اللاهوت النظاميُّ على نتائج اللاهوت الكتابيّ، ويسترشد بالمساحات التفسيريَّة التي وضعَها اللاهوت الكتابيّ. ويُحسِنُ كارسون التعبير عن هذا بالقَول: "بخلاف اللاهوت الكتابيّ، لا يُعدُّ اللاهوت النظاميُّ تخصُّصًا وسيطًا بقدر ما هو تخصُّصٌ يبلغ الذروة. لكنْ ما داما كلاهما يجدانِ مصدرَ سلطتِهما في الكتاب المقدَّس نفسه، فكلاهما لاهوتان معياريَّان للكنيسة".[٢٣]

21) Carson, 101.

22) Grudem, 23.

٢٣) المرجع السابق نفسه، ١٠١– ١٠٢. انظُرْ أيضًا: Schreiner, 23.

9Marks Online PDF

لكنْ ثانيًا، يرتبط اللاهوتان أيضًا بمسار الاستخدام (أي نهاية المسار). فاللاهوت الكتابيُّ يجعلُنا نغوصُ في قصَّة الكتاب المقدَّس من أجل وَصْفِ تعاليمِ الكتاب المقدَّس بمصطلحاته الخاصَّة. إنَّه تخصُّصٌ تفسيريّ- طريقةٌ لقراءة الكتاب المقدَّس ودراسته. وهكذا، فإنَّ نهاية اللاهوت الكتابيِّ هي فهمٌ داخليٌّ مترابطٌ متَّسقٌ للكتاب المقدَّس. ويؤسِّسُ اللاهوت النظاميُّ منظورَ الكتاب المقدَّس إلى العالم. إنَّه تخصُّصٌ تطبيقيّ، وطريقةٌ لتلخيص تعاليم الكتاب المقدَّس وتمثيلها في "تفاعلٍ واعٍ للذَّات مع ثقافتنا".[٢٤] إنَّ نهايةَ اللاهوت النظاميِّ إذًا هي تعبيرٌ عقلانيٌّ خارجيٌّ عن الحقّ.

في النهاية، لا يمكننا حِيازةُ واحدٍ دون الآخر. اللاهوت الكتابيُّ هو لكيفيَّة قراءة الكتاب المقدَّس، واللاهوت النظاميُّ هو لكيفيَّة إظهار قصَّة الكتاب المقدَّس لتكون معيارًا في حياتنا. وبِقَولِ إنَّك تريد أحدَ هذَين اللاهوتَينِ وليس الآخر يدلُّ ببساطةٍ على أنَّك لا تفهم أيًّا منهما. لكلِّ شخصٍ لاهوتٌ نظاميٌّ ولاهوتٌ كتابيّ، سواء أدرك ذلك أم لم يُدركْ. لكنَّ ما نريده هو أن نكونَ أُمناءَ للكتاب المقدَّس- للقصَّة الكتابيَّة والمنظور الكتابيِّ إلى العالم. لن نفهمَ هذا المنظورَ إلى العالم إذا لم نفهمِ القصَّةَ التي نتجَ المنظورُ منها. لكنْ إذا كان كلُّ ما لدينا هو قصَّة، فكيف ستتفاعلُ هذه القصَّة مع الهموم المعاصرة لحياتنا؟

سبب أهمِّيَّة اللاهوت النظاميِّ للَّاهوت الكتابيّ

عندما اكتشفْتُ أوَّلَ مرَّةٍ اللاهوتَ الكتابيَّ الأمين، أصابَني الذهول. صارَ الكتاب المقدَّس نابضًا بالحياة من جديدٍ أمامي بفعلِ اللاهوت الكتابيّ، كما أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ جمَّعَ أمورًا عدَّة معًا أمامي. أعترف أنِّي كنتُ مأخوذًا باللاهوت الكتابيِّ حتَّى إنِّي ظلَلْتُ مدَّةً طويلةً غير مهتمٍّ باللاهوت النظاميّ، ولا كان عندي وقتٌ أخصِّصُه له. لم أفكِّرْ بتاتًا في عدمِ وجودِ حاجةٍ إلى اللاهوت النظاميّ، بل اعتقدتُ أنَّي تَجاوزتُه، وصولًا إلى أمرٍ أفضل.

---

24) Carson, 103–102.

أنا مدينٌ أيضًا لستيفن ويلوم لحوارٍ محفِّزٍ مفيد حول مسألة كيفيَّة ارتباط هذين التخصُّصَين.

9Marks Online PDF

لم أكنْ وَحدي في تلك الفكرة. من حقل الإرساليَّة إلى مشهد الكنيسة في ما بعد الحداثة، انضمَّ المزيدُ والمزيدُ من الأصوات إلى جوقةٍ متنوِّعةٍ ترفض بشدَّةٍ اللاهوتَ النظاميَّ وترجِّحُ كفَّة "السرديَّات القصصيَّة" للَّاهوت الكتابيّ. أشارَ بعض الأشخاص إلى حقيقة أنَّ يسوعَ استخدمَ القصص (الأمثال)، وليس المحاضرات اللاهوتيَّة، حينما كان يعلِّم. وأشارَ آخرون إلى أنَّ الله عندما قرَّر أن يعلنَ عن ذاته بواسطة الكتاب المقدَّس، لم يفعلْ ذلك في صورةِ لاهوتٍ نظاميّ، بل غالبًا في صورةِ سَرْد. وما يزال آخرون يقترحون أنَّ اللغةَ ببساطةٍ عاجزةٌ عن نَقْلِ هُوِيَّةِ الله، لكنَّ سرديَّات الكتاب المقدَّس تسمحُ بإيصالِ شخصيَّة الله على نحوٍ غنيٍّ عميقٍ متعدِّدِ الطبقات. أخيرًا، يدَّعي كثيرون أنَّ عصر ما بعد الحداثة لا يحبُّ اللاهوتَ بالقدر نفسه الذي يحبُّ به القصص.

لحسن الحظّ، لم يَطُلْ إهمالي للَّاهوتِ النظاميِّ مع ترجيحي كفَّةَ اللاهوت الكتابيّ. لقد استيقظتُ قبل أن أقعَ في مشكلةٍ حقيقيَّةٍ في الخدمة. لكنْ لِمَن منكم ما يزال حائرًا، أريد تجرِبةَ جعلِ مسألةِ اللاهوتِ النظاميِّ بجودةِ اللاهوت الكتابيّ، فإنَّ خدمتنا في الكنيسة المحلِّيَّة ستكون ناقصةً معوزةً دون لاهوتٍ نظاميٍّ صحيح.

وقد وضعَ ليغون دنكان استنادًا إلى الكتاب المقدَّس ستَّة أمورٍ ضروريَّةٍ للعقيدة السليمة (ثمرة اللاهوت النظاميّ):

١. نقرأ في يوحنَّا ١٧: ١٣– ١٧ أنَّ العقيدةَ هي للفرحِ والنموّ.
٢. نقرأ في متَّى ٢٨: ١٨– ٢٠ أنَّ جزءًا من التلمذة هو بتعليمِ الحقّ.
٣. نقرأ في ١تيموثاوس ١: ٣– ٥ أنَّ التعليمَ السيِّئ يُهلِك، أمَّا التعليمُ الصحيحُ فيُنتِج محبَّةً.
٤. نقرأ في ١تيموثاوس ١: ٨– ١١ أنَّه لا يمكن فصلُ العقيدة عن الأخلاق.
٥. نقرأ في ١تيموثاوس ٦: ٢– ٤ أنَّ العقيدة تعزِّزُ التقوى.
٦. نقرأ في تيطس ١: ١ أنَّ العقيدة أمرٌ حيويٌّ للتقوى.[٢٥]

25) J. Ligon Duncan III, "Sound Doctrine: Essential to Faithful Pastoral Ministry: A Joyful Defense and Declaration of the Necessity and Practicality of Systematic Theology for the Life and Ministry of the Church," in Mark Dever, J. Ligon Duncan III, R. Albert Mohler Jr., C. J. Mahaney, *Proclaiming a Cross-centered Theology* (Wheaton, IL: Crossway, 2009), 44–36.

9Marks Online PDF

وثَمَّة أمورٌ عدَّة تُذهلني في قائمة دنكان. أوَّلًا، لاحِظِ المواضعَ التي اقتُبِسَتْ منها الشواهد. إمَّا من الرسائل الراعويَّة- تعليم بولس الرسول لأشخاصٍ مثلنا بشأن ما يجب أن نفعله- وإمَّا من صلاة يسوع أو تعليم الرسل بشأن ما يجب أن تكونَ عليه خدمتهم. لا أعرف رأيك، لكنِّي سأكون سعيدًا إذا كانت خدمتي قريبةً ولو قليلًا من مستوى خدمةِ الرسل. لذلك، إذا قال يسوع وبولس الرسول إنَّنا يجب أن نعلِّم العقيدة، فسواءٌ أحبَبْنا ذلك أم لم نحبّ؛ وسواء كان ذلك يتماشى مع ما يعتقدُه عصر ما بعد الحداثة الذي نعيش فيه أم لا يتماشى، يبدو لي أنَّ علينا تعليم العقيدة.

لكنَّ ما أذهَلَني أيضًا هو ما يقوله يسوع وبولس الرسول إنَّ العقيدة يجب أن تكونَ من أجله، كما يلاحظ دنكان. من أجل الفرح والنموِّ والتقوى والتلمذة والمحبَّة والحياة، ومن أجل كلِّ شيءٍ تقريبًا، على ما يبدو. هذه هي الأمور التي يُفترَض أن أتابعَها في خدمتي الراعويَّة، والعقيدة تعزِّزها جميعًا، إضافةً إلى مواجهة الفجور والبِدَع والانقسام والإحباط وما شابه- الأشياء التي تريد هدمَ الفرح والنموِّ والتقوى...إلخ.

وسأخبرك الآن بأنَّ دنكان لم يقدِّمْ أيَّ أعدادٍ كتابيَّةٍ وعدَتْ بأنَّ العقيدة الصحيحة ستعزِّز استقطابَ حُشودٍ أكبر إلى كنيستك. لم يقدِّمْ أيَّ توكيدٍ من الكتاب المقدَّس أنَّ العقيدة السليمة سترفِّه عن الناس أو تجعلهم يشعرون بتحسُّنٍ تُجاهَ أنفسهم، أو تجعلهم يحبُّونك أكثر بوصفك القسَّ (رغم أنِّي وجدتُ فِقرةً واحدةً تشير إلى خلاف ذلك: ٢تيموثاوس ٤: ٣- ٤. ويسعُني القول أيضًا إنَّ العقيدة السليمة لا تضمنُ هياكلَ إداريَّةً أو برامَجَ أفضل أو أكفأ، كما لا تجيب عن المشكلة القديمة قِدَمَ الزمن: ما الأولويَّة القصوى للكنيسة: قاعةُ اجتماعات أكبر أم موقفُ سيَّارات أكبر؟ إذا كان ما تريدُه هو إجاباتٍ عن أسئلةٍ كهذه، فسيتعيَّنُ عليك البحثُ في مكانٍ آخَر. ليسَتِ العقيدةُ مفيدةً جدًّا في خدمة إدارة شعب الكنيسة.

لكنْ إذا أردْتَ مساعدةً عمليَّةً في تعزيز التقوى في كنيستك، وتعزيز المحبَّة والوَحدة، وتلمذة المؤمنين، والنموِّ في النعمة، فلا شيءَ عمليًّا أكثر من اللاهوت الصحيح. هل يمكن أن يكون بعضنا في الخدمة قد فقدَ اهتمامَه باللاهوت السليم لأنَّنا لم نَعُدِ اليومَ نمارسُ حقًّا الخدمةَ المسيحيَّة؟

9Marks Online PDF

اختبار: بشارة الإنجيل

فلنفكِّر للحظات في أنَّ اللاهوت الكتابيَّ واللاهوت النظاميَّ مهمَّان يرتبطان بعضهما ببعض عندما نحاول الإجابة عن أسئلة أساسيَّة في الخدمة: ما تعريف بشارة الإنجيل؟ ما الأخبار السارَّة التي يعلنها لنا الكتاب المقدَّس؟

عندما يجيب اللاهوت الكتابيُّ عن هذا السؤال، فإنَّه يسردُ أعمال الله في التاريخ على امتدادٍ هائل. يمكن وصفُ هذا المسح بأنَّه الحركة من الخلق، ← إلى السقوط، ← إلى الفداء، ← إلى الخليقة الجديدة. لا أودُّ أن أستغرقَ وقتًا في سردِ القصَّة الكاملة الآن. ستسردُ الفصول ٦- ١٠ القصَّة كلَّها. لكنْ ما أريدُك أن تلاحظَه هو أنَّ هذا المخطَّط يتبعُ سَرْدَ الكتاب المقدَّس نفسه. إنَّه يفسِّر ما يفعله الله على مرِّ تاريخ الفداء بينما ينتقل التاريخ من جنَّة عَدْن إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة.

يتحدَّث اللاهوت الكتابيُّ أيضًا بشأن الإنجيل من جهةِ ملكوت الله. لقد غيَّر جورج إلدون لاد الطريقةَ التي نفكِّر بها جميعًا في هذا الملكوت.[٢٦] وكما لاحظَ لاد، يستخدم الكتاب المقدَّس عمومًا لغةَ الملكوت للتحدُّث ليس بشأن ملكوت الله، بل بشأنِ حُكمِ الله. فالله بالتأكيد هو الحاكمُ والسيِّد دائمًا. إنَّه الربُّ على الكون المخلوق. لكنْ عندما يتحدَّث الكتاب المقدَّس بشأن ملكوت الله، فإنَّه يشير عادةً إلى حكمِه الفدائيّ. إنَّه الملك الذي نراه بين الأشخاص الحقيقيِّين من أفراد شعبه- أولئك الذين يطيعونه.

عندما نقرأ في مرقس ١: ١٤- ١٥ أنَّ يسوع جاءَ يكرزُ ببشارة الإنجيل بأنَّه اقتربَ ملكوت الله، فهذا ما يقول اللاهوتُ الكتابيُّ إنَّ بشارةَ الإنجيل تعلنه. إنَّه الخبر السارُّ على مستوى الكون لِما يفعلُه الله بواسطة يسوع المسيح. لقد فقدْنا الملكوتَ في السقوط وصُوِّرَ لنا على أنَّه الظلُّ في تاريخ شعب العهد القديم. أمَّا الآن، فبحياةِ يسوع وموته وقيامته، دُشِّنَ ملكوتُ الله من جديد. هُزمَتِ الخطيَّة، وباتَتِ الكنيسةُ تعيشُ حياةَ الملكوت بقوَّةِ الروح. ونحن نتطلَّعُ إلى اليومِ الذي يعود فيه الملك ويُكمِلُ عهدَه، وهو عهدٌ أبديٌّ لن ينتهي.

---

26) George Eldon Ladd, *The Gospel of the Kingdom: Scriptural Studies in the Kingdom of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1959).

9Marks Online PDF

هذه رسالةٌ مدهشة. إنَّها قصَّة غير اعتياديَّة، كما سنرى في الفصول المقبِلة. إنَّها تأسرُ الخيال وتُعيد ترتيبَ أسلوبِ تفكيرِنا في كلِّ شيء. إنَّها أخبارٌ سارَّةٌ على نحوٍ لا يُصدَّق.

باستثنائنا أنا وأنت.

أين موضعُنا في القصَّة؟

تخبرني القصَّة الكبرى للخلق والسقوط والفداء والخاتمة المبهِجة، حكايةَ حلولِ ملكوت الله، بما يفعله الله والطريقة التي يفعله بها. لكن كيف تكون هذه أخبارًا سارَّةً لخطاةٍ مثلنا؟ قد يكون حلول ملكوت الله خبرًا سارًّا للكون، لكنَّه خبرٌ سيِّئٌ للخطاة؛ لأنَّ حلول الملكوت يعني الدينونة والغضب، كما يعني التجديدَ والخليقةَ الجديدة. هل تنطبق عليَّ قصَّة ملكوت الله الآتي حتَّى تكون أخبارًا سارَّةً لي شخصيًّا؟

للإجابة عن هذا السؤال، نحتاج إلى علم اللاهوت النظاميّ. عندما يجيب اللاهوت النظاميُّ عن السؤال: "ما تعريف بشارة الإنجيل؟" فهو يتحدَّث في أربع فئات:

الله ← الإنسان ← المسيح ← التجاوُب.

هَهُنا الكيفيَّة التي تصبح بها الأخبار السارَّة الشاملة للكون أخبارًا سارَّةً شخصيَّة، أيْ بشارةَ إنجيلٍ لي ولك. إنَّ حلولَ ملكوت الله (بشارة إنجيل اللاهوت الكتابيّ) هو خبرٌ سيِّئٌ للخطاة. لكنْ في ضَوء العمل البديليِّ العقابيِّ للمسيح على الصليب، وتدبير الله الذي يمكِّنُنا من الاستفادة من هذا العمل بالتوبة والإيمان (بشارة إنجيل اللاهوت النظاميّ)، تصير عندنا الآن أخبار سارَّة. هَهُنا رسالةٌ لا تصف فقط مدى روعة ملكوت الله، بل رسالةٌ تجذبُنا كلَينا شخصيًّا إلى ذلك الملكوت. يريدُ بعض الناس في العصر الحاليِّ تشويهَ مثل هذه الصياغة على أنَّها فرديَّة ضيِّقةٌ بإفراط، مقارَنةً بالأفكار القانونيَّة الغربية للذَّنْب والعقاب. لكنَّ الحقيقةَ هي أنَّه إنْ لم تقُلْ بشارة الإنجيل شيئًا عن خلاصي الفرديّ، فإنَّها تظلُّ مجرَّدَ قصَّةٍ يمكن أن تُلهِمَنا بالأعمال الصالحة والأفكار النبيلة، لكنْ لا يمكن أن تخلِّصَنا من غضب الله (مهما كان ما يُقالُ

9Marks Online PDF

عن خلاصِ الله للخليقة والكون). ويأتي هنا اللاهوتُ النظاميُّ بمِسكِ الختام[٢٧]؛ لأنَّه يربطُ قصَّة ملكوت الله بقصَّة حياتك وحياتي.

هل يعني هذا أنَّنا لا نحتاج حقًّا إلى اللاهوت الكتابيِّ بعدَ ما قيل؟ لا بالتأكيد. بمجرَّد قولي كلمةَ "ملكوت"، عدتُ إلى بشارة إنجيل اللاهوت الكتابيِّ ورجاء الخلاص الذي يعرِّفُه ملكوتٌ أبديّ. دون اللاهوت الكتابيّ، أميلُ إلى تقليص الخلاص ليكون تجرِبةً وجوديَّةً خاصَّةً، بمعزلٍ عمَّا يفعله الله جماعيًّا وسط شعبه. دون اللاهوت الكتابيّ، لا يُرجَّح أن أستوعبَ الرجاءَ المستقبليَّ المحفوظَ لنا في الخليقة الجديدة. دون اللاهوت الكتابيّ، سأميل إلى فَهْمِ أنَّ خُطَّةَ الخلاص متمحورةٌ حولي بدل كونِها متمركزةً على مجدِ الله. وهكذا يظهرُ جليًّا أنَّنا نحتاجُ إلى اللاهوتَين الكتابيِّ والنظاميّ، كما أنَّهما يحتاجان بعضهما إلى بعض. إنْ كانَ لنا رجاءٌ فقط في هذِهِ الحياةِ، فإنَّنا أشقى جميع الناس كما يقول بولس الرسول (١كورنثوس ١٥: ١٩). الرجاء الذي يقودنا إليه الإنجيل هو "...رَجاء حَيّ، بقيامَةِ يَسوعَ المَسيحِ مِنَ الأمواتِ، لميراثٍ لا يَفنَى ولا يتَدَنَّسُ ولا يَضمَحِلُّ، مَحفوظٌ في السماواتِ لأجلِكُمْ، أنتُمُ الذينَ بقوَّةِ اللهِ مَحروسونَ، بإيمانٍ، لخَلاصٍ مُستَعَدٍّ أنْ يُعلَنَ في الزَّمانِ الأخير" (١بطرس ١: ٣- ٥).

الخلاصة

أنا لم أعطِكَ بعدُ أيَّة أدواتٍ نظاميَّة لتستخدمَها، بل ناقشتُ ببساطةٍ الأسبابَ التي تجعلنا نحتاجُ إلى تلك الأدوات في المقام الأوَّل. بعد أن أمضيتُ الجزءَ الأفضلَ من الكتاب حتَّى الآن في امتداح اللاهوت الكتابيّ، لم أكنْ أرغبُ في إهمال أدوات اللاهوت النظاميّ، وكأنَّه تخصُّصٌ لاهوتيٌّ دون المستوى. مع أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ عظيمٌ ومهمّ، فلن يكفيَ وجودُ لاهوتٍ كتابيٍّ يتَّسمُ فقط بأنَّه عمليٌّ ومرتبطٌ بكلِّ نواحي الحياة. لذلك نحن نحتاجُ أيضًا إلى اللاهوت النظاميّ.

27) Jonathan Leeman, "Biblical and Systematic Confusion Yields Gospel Delusions," 9Marks e-journal (Nov/Dec 2006), http://www.9marks.org/partner/Article_Display_Page/0,,PTID7%314526CCHID7%775982CCIID2277978,00.html (last accessed June 2009 ,4).

9Marks Online PDF

لقد تذكَّرتُ هذا منذ وقتٍ قريب عندما جلستُ للتَّوسُّط في نزاعٍ أُسريٍّ نشبَ في إحدى العائلات. كان السؤال المطروح هو الآتي: كيف يمكن أن يتفاعل عددٌ من الراشدين الذين تجمعُهم معًا روابط القُربى دون الانحدار إلى النزاع ما بينهم؟ ما كان يملأ ذهني، ويُثري بالمعلومات كلَّ ما شاركتُه هو كلامٌ من اللاهوت الكتابيِّ الغنيِّ للكتاب المقدَّس. الله هو المتحدِّثُ الأصليُّ في الكتاب المقدَّس، وكلماتنا وأحاديثنا تسير على خُطى كلامه هو. فكلمته تؤسِّس شعبَه وتبكِّتُه وتتوافَقُ مع هذا الشعب. كلمته تُعلنُ عن ذاته وتُقيم علاقةً وحميميَّةً بشعبه. كلمتُه هي دائمًا حقٌّ، ودائمًا مُحِبَّةٌ، ودائمًا صحيحة. وقد ظهرَتْ كلمةُ الله أخيرًا وبأكملِ صورِها في الكلمة الذي صار جسدًا، يسوع المسيح. كان هذا المنظور مهمًّا، بل ضروريًّا، إذا كان لي أن أشارك بأيِّ رجاءٍ في التوصُّل إلى حلّ.

لكنْ بصراحة، لم يكنْ ذلك كافيًا إذا كنتُ سأشتبك في القضيَّة العمليَّة المتمثِّلة في ضَبْطِ اللسان. احتجتُ حينها ليس فقط إلى اللاهوت الكتابيّ، بل أيضًا إلى اللاهوت النظاميِّ الذي كان راسخًا في لاهوتي الكتابيّ. مع معرفتي أنَّنا مخلوقون على صورة الله، الذي كلامُه هو دائمًا انعكاسٌ لشخصيَّته وصفاته، كان عليَّ أن أُذكِّرَ الجميع أنَّ من فضلةِ قلوبنا تتكلَّم ألسنتنا (مرقس ٧؛ يعقوب ٣). من معرفتي أنَّ حياتنا تلخِّص على الدوام السقوط وتعيد توكيده، كان عليَّ أن أذكِّرَهم أنَّنا نتحدَّث بلغةِ الحيَّة في جنَّة عدْن ونكشف عن طبيعتنا الساقطة (يوحنَّا ٨: ٤٤) عندما نتحدَّثُ بكلمات الغضب، أو التلاعب، أو الخداع. لهذا فالخطوة الأولى في حلِّ النزاع لم تكُنِ استراتيجيَّاتِ تواصُلٍ أفضل، بل كانت فحْصَ الذات والتوبة.

وقد احتجتُ أيضًا إلى أن أُرشِدَ الجميعَ بشأن مقاصد الله من كلامِنا. مرَّةً أُخرى، الخلفيَّة هي اللاهوتُ الكتابيُّ وإعلانُ كلمة الله، الذي شوهِدَ في ذروَته في يسوع المسيح. يسوع نفسه يكشفُ عن نمطِ الكلام كما قصدَ الله للكلام أن يكون. ليس الكلام هو لننالَ ما نريده (يعقوب ٤: ١ وما يليها)، بل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة (أفسس ٤: ٢٩). وهكذا يعكسُ كلامُنا كلامَ الله، حيث تُعيدُ نعمتُه خَلْقَنا على شبهه لنكونَ "...بحَسَبِ الله في البِرِّ وقَداسَةِ الحَقِّ" (أفسس ٤: ٢٤). في هذه المرحلة، مع الاعتراف بأنَّ المشكلةَ كانت داخليَّة (في قلبي)، وليست خارجيَّةً (في أحد أفراد عائلتي)؛ واعتمادًا على نعمة الله في المسيح لتجديدنا وتغييرنا، يمكنُنا التحدُّثُ بشأنِ خطواتٍ محدَّدةٍ على كلِّ شخصٍ اتِّخاذها.

9Marks Online PDF

ويبرزُ هنا العملُ الصحيحُ للَّاهوت النظاميّ. إنَّ اللاهوت النظاميَّ الذي يدعمه ويحيط به اللاهوت الكتابيُّ طَوال الوقت، طبَّقَ حقَّ كلمة الله على الوضع المحدَّد المعاصر لأسرةٍ تواجه نزاعًا. دون اللاهوت الكتابيّ، لربَّما كنت سأميلُ إلى إعطائهم فقط قواعدَ ومبادئَ توجيهيَّةً أخلاقيَّة. لكنْ دون اللاهوت النظاميّ، لكانَ كلُّ ما استطعتُ سرْدَه عليهم هو مجرَّدَ قصَّة.

9Marks Online PDF

الفصل الخامس

أدوات اللاهوت النظاميّ: كيف نفكِّر لاهوتيًّا ولماذا

يحتفظُ الشمَّاس المسؤول عن مكتبةِ كنيستنا بإحصائيَّاتٍ بشأن القسمِ الأكثر استخدامًا من المكتبة. اللاهوت ليس على رأس القائمة. وليس هذا مفاجئًا.

أحملُ درجة الدكتوراة، لكنِّي لا أتحمَّسُ دائمًا إلى دراسة أحدث الأعمال المنشورة في اللاهوت النظاميّ. يظهَرُ أنَّ اللاهوتَ النظاميَّ حافلٌ بالتعقيد الفلسفيِّ والمصطلحات التقنيَّة الجافَّة. لا يعرفُ معظمُنا شخصيًّا لاهوتيِّين يعملون بدوامٍ كامل، لكنَّ لدينا جميعًا فكرةً عمَّا قد يكونون عليه. شخصيًّا أتصوَّرهم جافِّين وذابلين نوعًا ما. زوايا أفواههم متَّجهة دومًا نحو الأسفل، يضعون نظَّارات، وملابسُهم رثَّة، ولديهم خُصل شعرٍ باهتةٌ على رؤوسهم الصلعاء.

لكنْ حتَّى لو كنَّا لا نعرف أيَّ لاهوتيِّين يعملون بدوامٍ كامل، فقد صادَفْنا جميعًا أشخاصًا يحبُّون التحدُّث بشأن الأمور اللاهوتيَّة، وقد تعلَّمَ معظمنا التملُّص منهم عندما يمسكونَ مقطعًا كتابيًّا طويلًا. يبدو أنَّ الناس يتأذَّون في أثناء الحديث إليهم.

لكنِّي هنا لأخبرَك أنَّه رغم عدم الراحة والخوف الغامضَين اللذين قد تشعر بهما عند التفكير في الخوضِ في اللاهوت النظاميّ؛ ورغم عدم الإلمام الذي تشعر به تُجاهَ اللاهوتيِّين، فقد كنتَ في الواقع

9Marks Online PDF

تُمضي وقتك مع اللاهوتيِّين طَوالَ حياتك المسيحيَّة، بل كنتَ أيضًا تشاركُ في المباحَثات اللاهوتيَّة منذ اليوم الذي آمنتَ فيه بالمسيح.

لكلِّ شخصٍ لاهوتٌ نظاميّ

لماذا أنا واثق بشأن هذه الحقيقة؟ لأنِّي واثقٌ بأنَّك إمَّا طرحْتَ السؤال الآتي، وإمَّا حاولْتَ الإجابة عنه: "ماذا يعلِّمنا الكتاب المقدَّس بشأن [املأ الفراغ]؟". أجل، سواءٌ أعجبَك ذلك أم لم يُعجِبْك؛ وسواء قصدْتَ ذلك أم لم تقصدْه، كنتَ تمارسُ بصورةٍ ما اللاهوت النظاميَّ في كلِّ مرَّةٍ تدلي فيها بتصريحٍ بشأن ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس، أو ما يؤمن به المسيحيُّون، أو كيفيَّة ارتباط المسيحيَّة بالعالم من حولها. لا يمكنك ببساطةٍ أن تكون مؤمنًا بالمسيح بوعي ذاتيٍّ دون أن تكونَ لاهوتيًّا نظاميًّا. وإذا انطبَقَ هذا عليك، أنتَ قائدَ الكنيسة، فبالتأكيد هو ينطبقُ أيضًا على كلِّ عضوٍ في كنيستك.

كانت هذه، على الأقلّ، قناعةَ أحد أوائل اللاهوتيِّين، الرسول بولس. لاحَظَ الناسُ منذ مدَّةٍ طويلةٍ أنَّ معظمَ رسائل بولس تنقسم إلى قسمَين. يفتتحُ الرسول بولس رسائلَه عمومًا بتأمُّلٍ لاهوتيٍّ موسَّع، ثمَّ يختتمها بالكثير من النصائح العمليَّة والتعليمات. لكنَّ النصفَين لَيسا منفصلَين. في كلِّ مرَّةٍ تقريبًا، يضع بولس الرسول رابطًا مهمًّا في الرسالة- كلمة "لذلك" واضحة- ما بين اللاهوت الذي كان يشرحه، والتعليم العمليِّ الذي يكون مزمعًا أن يقدِّمه.

وما يجعل هذه الصيغة لافتةً للنَّظر هو أنَّه يمكن العثور دائمًا على الأسباب التي دفعت بولس الرسول إلى كتابةِ كلِّ رسالةٍ من رسائله في النصف الثاني. لقد كان بولس لاهوتيًّا، لكنَّه لم يجلس في يوم من الأيَّام ليقولَ: "أعتقد أنَّني يجب أن أكتب إلى أهل أفسس أطروحة مطوَّلةً حول اختيارنا في المسيح، ويمكن أن يستخدمَ أهل فيلبِّي حقًّا التأمُّل في ناسوت يسوع ولاهوته". لا، بل كتب رسالة أفسس لأنَّ أهل أفسس كانوا يصارعون مع كيفيَّة ارتباط اليهود والأمم في الكنيسة، وكان أهل فيلبِّي يصارعون اضطهادًا من الخارج ونزاعاتٍ في الداخل.

9Marks Online PDF

لقد حثَّتْ هذه المشكلات العمليَّة الاعتياديَّة بولسَ الرسولَ على الكتابة إلى هذه الكنائس. غير أنَّ ما قدَّمه إليهم لم يكُنْ مجرَّدَ نصيحةٍ عمليَّةٍ بشأن فضِّ النزاعات أو بشأن الحياة المجتمعيَّة، بل عرضَ عليهم لاهوتًا عميقًا. وعلى حدِّ تعبير أحد اللاهوتيِّين:

> [بولس مقتنع] بقابليَّة تطبيق أعمقِ لاهوتٍ على معظم المشكلات الاعتياديَّة والأكثر شيوعًا...يقول لهم [بولس الرسول]: لديكم هذه المشكلات العمليَّة، والحلُّ لاهوتيّ. فتذكَّرْ لاهوتك واجعَلْ سلوكك في ضَوء ذلك اللاهوت. ضعْ مشكلاتك الصغيرة في ضَوءِ اللاهوت الأكبر والأوسع نطاقًا. نحن أنفسنا في دعواتنا المسيحيَّة يجب أن نعيَ هذا. علينا ألَّا نتركَ عقيدتَنا مترجِّحةً، وعلينا ألَّا نتردَّدَ في فَرْضِ الالتزامات المسيحيَّة الأوَّليَّة في العقائد الأكثر سموًّا.[1]

للمشكلات العمليَّة إجاباتٌ لاهوتيَّة. لذا فالسؤال ليس ما إذا كنت ستصبح لاهوتيًّا أم لا، بل هو عن نوع اللاهوتيِّ الذي ستكونه. هل ستكون لاهوتيًّا جيِّدًا أم سيِّئًا؟ هل ستكون لاهوتيًّا ثابتًا أم غير متَّسق؟ هل ستكون لاهوتيًّا نظاميًّا أم لاهوتيًّا عشوائيًّا؟ ولمساعدتك على أن تكون لاهوتيًّا أفضل، أريد أن أفكِّر في ماهيَّة العقيدة، وكيفيَّة التفكير لاهوتيًّا، وسبب وجوب أن نشارك في مثل هذه الدراسة في سياق الكنيسة المحلِّيَّة. أخيرًا، إليك أدوات اللاهوت النظاميّ.

ما تعريف العقيدة؟

في الفصل السابق قلتُ إنَّ العقيدة هي ببساطةٍ ملخَّصٌ دقيقٌ مضبوطٌ لما يقوله الكتاب المقدَّس بشأن موضوعٍ ما، وتُستخدَم لتحديد الفرق ما بين الحقِّ والباطل؛ وما بين العقيدة القويمة

1) Donald Macleod, *The Humiliated and Exalted Lord: Studies in Philippians 2 and Christology* (Greenville, SC: Reformed Academic Press, 1994), 4. Quoted in J. Ligon Duncan III, "Sound Doctrine: Essential to Faithful Pastoral Ministry: A Joyful Defense and Declaration of the Necessity and Practicality of Systematic Theology for the Life and Ministry of the Church," in Mark Dever, J. Ligon Duncan III, R. Albert Mohler Jr., C. J. Mahaney, *Proclaiming a Cross-centered Theology* (Wheaton, IL: Crossway, 2009), 43.

9Marks Online PDF

والبدعة. لقد حان الوقت لتوضيح ذلك أكثر قليلًا. في الواقع، تحتوي العقيدة على ثلاثة جوانبَ على الأقلّ، وجميعها مهمَّةٌ إذا أرَدْنا أن نفهمَ ما يعنيه التفكير لاهوتيًّا.

المعرفة الكتابيَّة

في الأساس، المعرفة اللاهوتيَّة هي معرفة الله. وكما يستعرضُ الكتاب المقدَّس الفكرة، فإنَّ معرفة الله هي أكثر من مجرَّد امتلاك دماغٍ ملآنٍ بالحقائق عن الله. ليس الله شيئًا نضعُه تحت عدسةٍ مكبِّرة ليكونَ موضوعَ دراستِنا وتدقيقنا. بل الله هو شخص. وأن تعرف الله هو أن تعرفَه كما تعرف شخصًا آخر أو صديقًا أو أحدَ أفراد العائلة. ليس الله إنسانًا مثلَنا. ومن ثَمَّ فإنَّ معرفتَنا له ليسَتْ عارضةً ولا مألوفةً. والأهمُّ أنَّ معرفتَنا لله ليسَتْ حَدْسًا فطريًّا؛ إذ لا يمكننا الاستدلالُ على مَن يكون الله استنادًا إلى ما نحن عليه. الله روحٌ وهو قدُّوس. إنَّه خالقُنا وربُّنا. ويعني هذا أنَّ معرفةَ الله ستتطلَّب منَّا المخافةَ والطاعة والعبادة. كما يعني أنَّنا يجب أن نُعطى مثل هذه المعرفة، وإلَّا فلن نتمكَّنَ من اكتشافها بأنفسنا. إذا أرَدْنا أن نعرفَ الله، يجب أن يُعلنَ الله عن ذاته. والمكان الذي أعلن به عن ذاته هو بواسطة إعلان كلمته الموحى بها.

ويقودُنا كلُّ هذا إلى الجانب الأوَّل من العقيدة: أنَّ العقيدةَ تبدأ بالمعرفة الكتابيَّة. وكما قُلْنا سابقًا، فإنَّ الكتاب المقدَّس هو وحي إعلان الله عن ذاته. لذا فهو ذا سُلطةٍ، ليس فقط في ما يخصُّ الله، بل في ما يخصُّ أيَّ سؤالٍ يطرحُه اللاهوت ويسعى إلى الإجابة عنه. يقدِّم إلينا الكتاب المقدَّس منظورًا قياسيًّا عن الله وعن أنفسنا وعن عالمنا أيضًا. ويتطلَّبُ هذا المنظور خضوعَنا وطاعتَنا. معرفة الله من منظور المعرفة الكتابيَّة هو أن تخضعَ لسيادة الله، مستأسرًا كلَّ فكرٍ إلى طاعة المسيح (٢كورنثوس ١٠: ٥).

ولجَعْلِ هذا أمرًا عمليًّا أكثر، فلنضربْ مثالًا. ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن بحوث الخلايا الجذعيَّة؟ لا يقول أيَّ شيءٍ باستخدام هذه المصطلحات. لكنَّه يقولُ في الواقع شيئًا قليلًا، عندما نبدأ بالتفكير لاهوتيًّا. أوَّلًا، يخبرنا بأنَّ الله هو خالق الحياة ومعطيها (مزمور ١٣٩: ١٣– ١٦)، وبأنَّ الحياةَ البشريَّة تكوَّنت على صورة الله (تكوين ١). لذلك ليسَتْ لدينا السُّلطة لانتزاع مُلكِ الله لحياةِ الإنسان (خروج ٢٠: ١٣)، مهما كانَتْ غاياتُنا نبيلةً. ووَفْقًا لكلمة الله، فإنَّ تخليقَ أجنَّةٍ بشريَّةٍ

9Marks Online PDF

بُغيةَ جنيِ خلاياها الجذعيَّة، ما يؤدِّي إلى هلاكِها، هو قتل.[٢] ومع أنَّ المحاوَلات هي لعمَلِ الخير للآخرين بواسطة هذا الفعل، فإنَّ هذا العمل يوجِّه إساءةً إلى حقِّ الله الحصريِّ بوصفه ربَّ الحياة.

لكنَّ الكتابَ المقدَّس يُعلِّمُنا أنَّنا مَخلوقون على صورة الله، كما يعلِّمُنا أيضًا شيئًا عن أنفسنا، ما يقودُنا إلى الجانب الثاني من المعرفة اللاهوتيَّة، أي العقيدة.[٣]

المعرفة الشخصيَّة

إذا كان اللاهوت هو معرفةَ الله، وتُكتسَب هذه المعرفة بواسطة الكتاب المقدَّس، فقد نميل إلى الاعتقاد أنَّ المعرفة اللاهوتيَّة والمعرفة الكتابيَّة هما وجهان لعملةٍ واحدة. فحالَما نحظى بإحداهما، تكون الأخرى لنا. لكنَّ الأمرَ في الواقع ليس بهذه البساطة. فحالما نتحدَّثُ بشأن معرفة الله، نجد أنَّنا نقول أيضًا شيئًا عن أنفسنا، كأولئك الذين يعرفون الله ويُعرَفون من الله. وقد فهمَ جون كالفن هذا، وافتتحَ كتابَه المشهور "أسس الدين المسيحيّ" بالملاحظة الآتية:

> تقريبًا كلُّ الحكمة التي نملكها، أي الحكمة الحقَّة الصحيحة، تنقسم قسمَين: معرفة الله ومعرفة أنفسنا. وفي حين ترتبطُ هاتان المعرفتان بروابط عدَّة، فليس من السهل تحديد تلك المعرفة التي تأتي أوَّلًا وتُنتِج الأخرى...لذلك فمعرفة أنفسنا ليس فقط تدفعنا إلى طلب الله، بل هي تقودنا بأيدينا إلى أن نجِدَه. [لكنَّ] المؤكَّد أنَّ الإنسان لن يصلَ بتاتًا إلى معرفة واضحة عن نفسه ما لم يتأمَّل أوَّلًا في وجه الله، ثمَّ ينزل بعد ذلك ليفحصَ نفسه.[٤]

---

٢) ليس المقصود هنا أنَّ الكاتب يرفض بحوث الخلايا الجذعيَّة إجمالًا، بل يرفض على أساسٍ كتابيٍّ إنهاء حياة الأجنَّة البشريَّة للحصول على خلاياها الجذعيَّة، واستخدام تلك الخلايا لغاياتٍ طبِّيَّةٍ أو بحثيَّةٍ أخرى. لذا اقتضى التنويه (الناشر).

٣) تُدين الأقسام المقبلة دَينًا عميقًا لمناقشة جون فريم لنظرية المعرفة في المرجع الآتي:

The Doctrine of the Knowledge of God (Philipsburg, NJ: P&R, 1987).

رغم أنِّي لا أتَّفق مع كلِّ أفكار فريم (مثلًا، إصراره على أنَّ بعض الاستخدامات اللغويَّة عن الله لا تقبل المقارنة)، فقد وجدتُ فئاته الثلاث من المنظور المعياريَّ والوجوديَّ وحسب الأحوال مفيدة، وقد اعتمدتُها في ما يأتي لاحقًا لتكونَ معرفةً كتابيَّةً وشخصيَّة ووَفق الأحوال.

4) John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, I.i.2-1.

متاحٌ بالعربيَّة تحت عنوان: "**أسس الدين المسيحيِّ**" من منشورات دار منهل الحياة.

9Marks Online PDF

إنَّ المعرفة اللاهوتيَّة، ومن ثَمَّ العقيدة، تُشركُنا على الدوام في المعرفة الشخصيَّة أو الوجوديَّة. في ضَوء معرفة مَن يكون الله، وما أعلنه عن ذاته ومشيئته، يبرز في الحال السؤال الذي يطرحُ نفسه:

من أنا؟ كيف ترتبط المعرفتان اللاهوتيَّة والشخصيَّة؟ هذا هو الرابط الذي تحدَّثْنا بشأنه في البداية ما بين اللاهوت والحياة. إنَّ معرفة الله هي أن تكون خاضعًا لسلطانه وتُجلَبَ إلى محضره. واللاهوتُ الحقيقيُّ، وهو يحملُ اسمًا جديرًا به، لا يمكن بتاتًا أن يكون مجرَّد لغةٍ مجرَّدةٍ أكاديميَّةٍ نظريَّة. بل إنَّه يربط بدل ذلك بيني وبينك وبين الله بصفة رعايا وعابدين ومخلوقات. دون شكّ، بينما نركِّز على أنفسنا في هذا الجانب من اللاهوت، فإنَّنا لا نفعل ذلك بصورةٍ مستقلَّةٍ عن الكتاب المقدَّس، وليس ثمَّة أيُّ تناقُضٍ معه. بخلافِ اللاهوتيِّين الليبراليِّين الذين يُبدِلون بإعلان الله فئاتِ الفلسفة الوجوديَّة أو علم اجتماع الجماعات، يظلُّ التفكير اللاهوتيُّ الأمين خاضعًا لكلمة الله. لكنَّه لا يفعل ذلك بافتراض أنَّه يمكننا الاقتراب من معرفتنا بالله كأنَّنا مراقبون غير مبالين. بل إنَّ معرفتنا لله بواسطة كلمته المعياريَّة تواجِهُنا بمعرفةِ أنفسنا بوصفنا حاملين للصورة النبيلة وبوصفنا العصاةَ الأشرارَ على الله العليّ. كيف يساعدُنا هذا الكلام بشأن مثالنا لما يقوله الكتاب المقدَّس عن بحوث الخلايا الجذعيَّة؟ يساعدنا على فَهْمِ سببِ رغبتنا في دراسة مثل هذه الأمور والبحث فيها. نحن حاملو الصورة، خُلِقْنا لنكون على شَبَهِ الله، لاستكشاف العالم المخلوق وفهمه، بما في ذلك أجسادنا. لكنَّ صورته فينا تمتدُّ إلى ما هو أبعد من الإبداع والفضول. إذ تشمل أيضا الرحمة والتعاطف. نحن نرغب في شفاء المرضى، وفي علاجهم لأنَّ صورة الله فينا.

لكنَّنا لسنا فقط حاملي الصورة، بل نحن أيضًا عُصاةٌ وأثمة. ويعني هذا أنَّ أفضل نيَّاتنا وأرقى مهاراتنا تكون على الأرجح ملتويةً لغاياتٍ أنانيَّةٍ وتخدم مصالحنا. وبصفتنا خطاة، من المرجَّح أن نقيِّم الضررَ الذي يَلحقُ بالآخرين ليس من حيث المطلقُ والمبدئيّ، بل وَفقًا لحساباتٍ مصلحيَّةٍ للتكلفة والمنفعة. يبدو أنَّ أصدقاءنا وجيرانَنا وأفرادَ عائلتنا المصابين بأمراضٍ مستعصيةٍ أكثر استحقاقًا من الذين لم يولدوا بعد. وبصراحة، هم يصوِّتون في الانتخابات، ويكسِبون المال، ويدفعون الضرائب، أمَّا الأجنَّة فلا تفعل ذلك. إنَّنا نتأثَّر بسهولةٍ بالاختلالات في القوَّة المتصوَّرة

9Marks Online PDF

والإدراك. علاوة على ذلك، نحن مدفوعون بفخر الإنجاز، وهو فخرٌ لا يُطيقُ أيَّ ضَبْطٍ للنَّفس. إذا كنَّا نستطيع أن نفعلَ شيئًا، فعلينا أن نفعلَه.

وهكذا يُرى كيف أنَّ اللاهوت النظاميّ، بالاعتماد على معرفة أنفسنا في ضَوء معرفة الله، يفسِّر سببَ تعريفِ بعضِ البشر لبشرٍ آخرين بأنَّهم ليسوا بشرًا، من أجل استخدامهم لمصلحتهم في برنامج مصمَّم للشفاء والاسترداد (الاستعادة)، ويا لَلسُّخرية! يوفِّر اللاهوت النظاميُّ أيضًا تمييزًا ما بين بحوث الخلايا الجذعية الجنينيَّة وتلك الخاصَّة بالبالغين. وهذا ما يفسِّر شوقَنا إلى البحث وإلى الشفاء، وسببَ وجوب أن نضعَ حدودًا لمثلِ هذه الأشواق. أخيرًا، يوفِّر اللاهوت النظاميُّ لنا طريقةً للتفكير في القيمة والكرامة والرجاء في الحياة البشريَّة وسط المعاناة والمرض. لأنَّ مثل هذا الرجاء وتلك القيمة لا يوجَدان في فئاتٍ نفعيَّةٍ أو وظيفيَّة، بل في علاقتنا بالله.

لذا فإنَّ العقيدةَ، أو المعرفة اللاهوتيَّة، تتضمَّن المعرفة الكتابيَّة التي تعطي منظورًا معياريًّا، والمعرفة الشخصيَّة التي توفِّر منظورًا وجوديًّا. والمعرفتان مترابطتان؛ فهما لا تتضمَّنان مجالاتٍ مختلفةً للمعرفة، بل تنظران في مجالِ المعرفة كلِّه من زوايا مختلفة. لكنْ إذا كنتَ متابعًا مدقِّقًا، فستدرك وجودَ جانبٍ آخرَ للمعرفة اللاهوتيَّة. فعندما نصل إلى معرفة الله وأنفسنا، فنحن لا نفعل ذلك في فراغ. بل نعرف الله وسط هذا العالم المخلوق، في مرحلةٍ معيَّنةٍ من التاريخ، وفي سياقٍ ثقافيٍّ معيَّن. وهذا هو الجانب الثالث الذي علينا النظر فيه.

المعرفة وَفقَ الأحوال

نعرف جميعًا أنفسنا ونعرف الله، ليس بوصفها أمورًا مجرَّدةً خالدة، بل هي معرفةٌ شخصيَّة موضوعةٌ تمامًا في سياق- حقيقة خارجة عن أنفسنا. يخبرنا بولس الرسول في رومية ١ أنَّ بعضَ ما يمكن معرفته عن الله يُعلَن عنه بواسطة النظام الطبيعيّ، ما يعني أنَّنا نأتي إلى معرفةِ الله بمعرفة العالم من حولنا ومراقبته. لكنْ عندما أشير إلى المعرفة وَفقَ الأحوال (Situational knowledge)، فلا يكون في حسبان فقط ما يُسمَّى "اللاهوت الطبيعيّ"- ما يمكن معرفته عن الله بواسطة الطبيعة. بل

9Marks Online PDF

يكون لديَّ في ذهني أيضًا ما يُسمَّى الثقافة– الطريقة التي نفهم بها الواقع من حولنا، بما في ذلك أنفسنا والله بوصفنا فاعلين في هذا الواقع.

قال أبراهام كويبر، عالم اللاهوت الهولنديُّ ورجلُ الدولة مطلعَ القرن العشرين، ذات مرَّة: "لا يوجد إنشٌ مربَّع في كلِّ مجالِ وجودنا البشريِّ لا يبكي عليه المسيحُ، صاحبُ السيادة على كلِّ شيء قائلًا: «كلُّه لي»".[5] لهذه الحقيقة آثارٌ مهمَّة في المعرفة اللاهوتيَّة. بدايةً، أن تعرف شيئًا عن العالم وأن تعرف شيئًا عن الثقافة الإنسانيَّة هو أن تعرف شيئًا عن الخالق والملك المتسيِّد الذي خلق كلَيهما، والذي يملك على كلِّ شيء. ويعني أيضًا أن نعرفَ شيئًا عن أنفسنا، نحن المخلوقات التي تعرف الله.

لكنَّ هناك أكثرَ من ذلك. أن نعرفَ حالنا هو أن نعرفَ عالمًا خُلق حَسَنًا، لكنَّه الآن تحت لعنة الله. هذا العالم ملتوٍ صعبٌ موسومٌ بالمأساة والرعب. رُغمَ ذلك، فهو ليس مجرَّد عالمٍ تحت لعنة الله. فالنعمة العامَّة ونعمة الخلاص هما فاعلتان فيه على الدوام. لذلك لم تُنفَّذِ اللعنةُ بأقصى درجاتها حتَّى الآن، والحياة مستمرَّة. الجمال والمحبَّة موجودان جنبًا إلى جنب مع القبح والكراهية. العمل شاقّ، لكنْ ليس دون إنتاجيَّةٍ وقناعة. تُوفِّر الثقافة والحضارة الإنسانيَّة إطارًا للمعنى يجعل الله يبدو غائبًا والإيمان غير عقلانيّ، لكنْ لم تظهَرِ العقلانيَّة تمامًا، وما تزال مُخرَجاتُ الثقافة البشريَّة تعكس دلالات الخير والحقِّ والجمال. العالم فاسدٌ جدًّا، لكنَّه لم يصلْ بعدُ إلى أقصى إمكانات فساده. علاوةً على ذلك، دخلَ الغفرانُ والمصالحةُ عالمَنا بواسطة يسوع المسيح، حيث بزغَ فجرُ العصر الآتي، الذي يتميَّز بِجِدَّةِ الحياة، والسلام مع الله، وجمال القداسة، حتَّى في ظلمةِ هذا العالم الساقط.

الآن، ماذا تعني هذه المعرفة وَفقَ الأحوال لمناقشتنا لما يقولُه الكتاب المقدَّس عن بحوث الخلايا الجذعيَّة؟ تعني الكثير. إنَّها تعطينا من جهةٍ فهمًا للأسباب النهائيَّة للمرض (السقوط)، والعلاج النهائيّ (الخليقة الجديدة). ومن هنا فهي تمنع الأجندات التي تدَّعي إمكانيَّة وجود عالم فاضل. علاوة على ذلك، تعطينا المعرفة اللاهوتيَّة وَفق الأحوال فئاتٍ يمكننا بها فَهْمُ العلوم والتكنولوجيا

5) Abraham Kuyper, "*Sphere Sovereignty: The Inaugural Address at the Opening of the Free University of Amsterdam*, 1880," in James D. Bratt, ed., Abraham Kuyper: A Centennial Reader (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1998), 488.

9Marks Online PDF

والطبّ. كلُّ هذه هي أكثر من مجرَّد منتَجٍ أو عمليَّةٍ فكريَّة. نرى أنَّ التكنولوجيا هي أحَد مكوِّنات الثقافة، والثقافة البشريَّة الساقطة، بجميع أشكالها المختلفة، مكرَّسةٌ لإنكار الله وتأليه الإنسان. في الواقع، الثقافة الإنسانيَّة الساقطة هي تمامًا ما يجعلُ الإيمانَ يبدو غير عقلانيّ، وعدم الإيمان عقلانيًّا طبيعيًّا. في مثل هذا السياق، قد تتنكَّرُ التكنولوجيا بسهولةٍ على أنَّها مفيدة، في حين أنَّها تقترفُ في الواقع شرًّا عظيمًا.

غير أنَّ المعرفة وَفقَ الأحوال تحمينا أيضًا من رَفْضِ هذا العالم الخارج عن السيطرة. دعوتُنا في ظلِّ الله ليست أن نكونَ مناهضين للتطوُّر التقنيّ، ونرفضَ كلَّ أشكال التكنولوجيا، ولا أن ننسحِبَ من الثقافة وننعزل تمامًا. بل إنَّ دعوتنا هي استكشاف هذا العالم وتطوير الثقافة البشريَّة لمجد الله. وسيشمل ذلك العلم والتكنولوجيا، اللذين هما عطيَّتان من الله قادرتان على تحقيق خيرٍ عظيمٍ عميمٍ للبشريَّة.

كيف نفكِّر لاهوتيًّا ولماذا

إذا كانت هذه هي الجوانب الثلاثة للمعرفة اللاهوتيَّة- معرفة الله ومعرفة الذات ومعرفة العالم- فكيف نضعُ كلَّ ذلك معًا لنتمكَّنَ من التفكير بطريقةٍ لاهوتيَّة؟

حاولتُ أن أضربَ أمثلةً وملخَّصات بينما نَمضي قُدُمًا، ولأحاوِلِ الآنَ أن أضعَ كلَّ الأمورِ معًا. ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن بحوث الخلايا الجذعيَّة؟ تذكَّرْ أنِّي لستُ لاهوتيًّا بدوامٍ كامل، لذلك أعتذر مقدَّمًا إلى القرَّاء الذين هم لاهوتيُّون متخصِّصون. من ناحيةٍ أخرى، أقول للقساوسة وقادة الكنيسة مثلي، إنَّ في وُسعكم المحاوَلةَ أيضًا ما دام أمكَنَني أنا فعْلُ ذلك.

يجب أن تبدأ إجابتنا بكلمة الله المعياريَّة صاحبة القَول الفَصْل. الله هو خالق الحياة وكاتب قصَّتها، وقد خلق البشرَ وحدَهم على صورته (تكوين ١). لذلك فالحياة البشرية نفسها تتفرَّد بمجد الله (انظرْ تكوين ٩: ٤- ٦). لكنْ عندما ننظر إلى حالنا، نجد أنفسنا في عالمٍ ملعون، تدمِّره ليس فقط الجراثيم التي تهاجمنا من الخارج، بل بواسطة جيناتنا الفاسدة من الداخل، بحيث تنقلب أجسادنا على نفسها في المرض والتحلُّل. هذه ليست نتيجة لحادثٍ عشوائيّ، بل هي نتيجة لعنةِ

9Marks Online PDF

الله على عصياننا بالخطيَّة (تكوين ٣: ١٩). لأنَّ الحياة البشريَّة مخلوقةٌ على صورة الله، فهناك التزامٌ أخلاقيٌّ علينا لاستخدام المعرفة والموارد المتاحة لنا للحفاظ على تلك الحياة وتعزيزها وشفائها (انظُرْ لوقا ١٠: ٢٥– ٣٧). عندما نفعل ذلك، فإنَّنا نتصرَّفُ بوصفنا حاملين للصورة، وبوصفنا أيضًا وكلاء للرحمة في عالم يرزحُ تحت لعنة الله (متَّى ٥: ٤٣– ٤٨).

لكنَّ التزام الشفاء ليس هو الالتزامَ الوحيدَ الذي يقعُ على عاتقنا. كما يقع على عاتقنا التزامُ حمايةِ الحياة البشريَّة (انظرْ خروج ٢١: ٢٨– ٣٢). تخبرنا كلمة الله بأنَّ كلَّ البشر مخلوقون على صورته، لذا فهناك مساواةٌ في الحقِّ في الحياة غيرُ مشروطةٍ بالقدرات أو والإمكانات أو مقدار المنفعة من الشخص. ويعني هذا أنَّ ثمَّةَ حدودًا لالتزامنا الشفاء، إذا كانت ممارسة ذلك الالتزام تتطلَّبُ قتلَ شخصٍ آخَرَ أو تشويهه. وإذ ننتقل إلى المعرفة الشخصيَّة المستنيرة للكتاب المقدَّس، فإنَّنا في عالمنا الساقط ندرك أنَّنا عرضةٌ لإساءة استخدام الآخرين بأنانيَّة لتحقيق غاياتنا، وأنَّنا قادرون تمامًا على إقامة مسوِّغاتٍ أخلاقية لدوافعنا وأفعالنا الخاطئة (انظُرْ أعمال الرسل ١٦: ١٦– ٢١). علاوةً على ذلك، نحن ننتِجُ ثقافة إنسانيَّةً ساقطةً كما أنَّنا نِتاجُ مثل هذه الثقافةِ الساقطة التي تلتزمُ إنكارَ أيِّ شكلٍ من أشكال القيود التي يضعها الله علينا. وإذ نحسبُ أنفسنا آلهة، نريد أن نضعَ حدودنا، ونعيش كما لو لم يكُن ثمَّة إله (تكوين٣: ١– ٧).

أخيرًا، بينما نفكِّر في حقيقة الخطيَّة، التي تؤثِّر في أجسادنا وفي أجنداتنا الثقافيَّة، فإنَّنا ندرك أنَّ الشفاءَ الجسديَّ ليس خيرًا أسمى، ولا حتَّى هدفًا يمكن تحقيقه على مستوى الكون (٢كورنثوس ١٢: ٧– ١٠). ونحن ندرك أيضًا أنَّ المعاناة الجسديَّة ليست الشرَّ في نهاية المطاف (متَّى ١٠: ٢٨). لذلك، فنحن البشر، مدعوُّون إلى رَفْضِ وثنيَّة العالم الفاضل للطبِّ الحديث، على أن نضعَ بدل ذلك رجاءَها النهائيَّ في قوَّة الله للفداء، التي تظهر بهزيمة المسيح للخطيَّة على الصليب وهزيمته للموت في القيامة.

ويقودُنا كلُّ هذا، نحن المؤمنين بالمسيح الذين نفكِّر بأسلوبٍ لاهوتيّ، إلى رفْضِ كلِّ أشكال بحوث الخلايا الجذعيَّة الجنينيَّة؛ لأنَّها تولِّدُ عن قصدٍ حياةً بشريَّةً لتعملَ على إهلاكها، مع أنَّها تدَّعي القيام بذلك في سبيل حياةٍ بشريَّةٍ أخرى. ويعني هذا أيضًا أنَّ في وُسعنا، بل يجب علينا، دعمُ

9Marks Online PDF

الأشكال الأخرى لبحوث الخلايا الجذعيَّة المستندة إلى خلايا بالغة. لكنْ بينما ننظر في أهداف مثل هذه البحوث وغاياتها، فإنَّنا نفهم أنَّ الغرضَ منها يجب أن يكون للشفاء واسترداد العافية. وأيُّ محاولة لاستخدام مثل هذه البحوث لتعديل هندسة الحياة، بغية توليد أشكال هجينة من الحياة، أو "أطفال مصمَّمون أو مهندَسون جينيًّا"، يجب رفضها، حاسبين إيَّاها انتهاكًا لحقوق الله الخالق وربِّ الحياة، وإهانةً لصورة الله في الإنسان والاعتداء عليها.

أعطِهِمْ لحمًا لا لبنًا

وبحسب بعض الأقوال، فإنَّ جون بايبر، راعي كنيسة بيت لحم المعمدانيَّة في مينيابوليس، قد عملَ جاهدًا لتحفيز جيلٍ جديدٍ من المؤمنين الأميركيِّين الشباب في حقل الخدمة الإرساليَّة أكثر من أيِّ شخصٍ آخرَ على قيدِ الحياة اليوم. فكيف تمكَّن من فعل ذلك؟ هل ألهمَهُم بقصصِ التضحية البطوليَّة؟ هل تكلَّم عن كارثةِ هلاكِ أعدادٍ غفيرة (مع توليد شعور بالذَّنْب) إلى الضمائر الرقيقة للشباب الأميركيّ؟ هل وضعَ استراتيجيَّةً لإرساليَّةٍ مُقنِعةٍ حتَّى إنَّ الناس راحوا يشاركون ببساطة؟

الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها هي: "لا". لم يفعلْ أيًّا من هذه الأمور. ما فعلَه هو أنَّه علَّمَ الناسَ لاهوتًا عميقًا حقًّا. لقد وضعَهُم أمامَ وجوبِ أن يكونَ الله هو المركَزَ والمحورَ الأساسيّ. لقد تحدَّاهم بالحقِّ الصعب لكنِ الكتابيِّ أنَّ أعظمَ محبَّة لله هي الله، وأنَّ الهدفَ الأسمى لله هو مجده، والهدف النهائيَّ لله في الخلق والخليقة الجديدة هو عبادته وعزَّته. علاوةً على ذلك، أثبتَ بايبر أنَّه لا يوجدُ شيءٌ خاطئ، وأنَّ كلَّ شيء صحيح، حينما يكون الله في المركَز. ثمَّ جمعَ ما بين تطبيقَين عمليَّين للحقّ. أوَّلًا "الإرساليَّات قائمةٌ لأنَّ هناك أماكنَ لا توجَد فيها العبادة".[٦] ثانيًا "يُمجَّد الله أكثر فينا عندما نكون مكتفين به".[٧] عندما تجتمع هاتان الحقيقتان في قلبٍ متجدِّد ملآنٍ بالنعمة، متأصِّلٍ في

6) John Piper, *Let the Nations Be Glad! The Supremacy of God in Missions*, 2nd ed., revised & expanded (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), 17.

٧) يؤكِّد جون بايبر هذه الفكرة في مواضعَ عدَّة. هذا الاقتباس تحديدًا من كتابه:

Brothers, *We are Not Professionals. A Plea to Pastors for Radical Ministry* (Nashville: Broadman & Holman, 2002), 45.

9Marks Online PDF

اللاهوت العميق لله، يعيدُ البشر تنظيم حياتهم، ويُغيِّرون طموحاتهم، ويُعطون أنفسهم للإرساليَّة العالميَّة بالكرازة لمجدِ الله.

أعتقد أنَّ من السهل على كثيرين منَّا النظر إلى تأثير جون بايبر والقول: "لا يمكن أن يكونَ لي هذا النوع من التأثير، لأنِّي لستُ جون بايبر. لا أتمتَّع بالمواهب التي يحظى بها، ولا أحظى بمثل طاقته، ولا لديَّ عقله". أنا أفهم هذا الشعور، لكنِّي لا أتَّفقُ معه. ولا أعتقد أنَّ بايبر يتَّفق مع هذا الشعور أيضًا.

جون بايبر سيكون أوَّل من يخبرك بأنَّه مجرَّد إنسانٍ عاديٍّ له إخفاقاته ومخاوِفه وانعطافاته الحادَّة، تمامًا مثلنا جميعًا.

أعتقد أنَّ ما يفسِّر الطريقة التي يستخدم بها الله بايبر اليوم هو أنَّ بايبر، كأنَّه بولس في العصر الحديث، أخذَ المواهب التي أعطاه الله إيَّاه، ووضعها بالكامل تحت تصرُّف حقِّ كلمة الله. وإذ عمل ذلك، وضعَ نموذجًا لنا لما يعنيه أن نكونَ خدَّامًا للحقّ. والأهمُّ من أسلوبه أو تسليمه أو حتَّى شخصيَّته وشغفه هو إيمانُه أنَّ كلمةَ الله صحيحةٌ، بكلِّ أجزائها، وقُصِدَ بها أن تكونَ غذاءً للخراف الرابضة في مرعى الله.

هذا هو النموذج الذي يعطينا إيَّاه بايبر، وهذا ما يجب أن نكون عليه نحن قادة الكنيسة. إذا أرَدْنا إطعامَ رعيَّتنا، فعلينا أن نتقدَّم في فهمنا للحقِّ الكتابيّ، وعلينا أن نكونَ مثل جوناثان إدواردز الذي عقدَ العزمَ على أمرٍ في أيَّام دراسته الجامعيَّة، وظلَّ عاقدًا العزمَ على ذلك الأمر طَوال حياته. "ظللتُ عاقدًا العزمَ على دراسة الكتاب المقدَّس باستمرار، وعلى الدَّوام، حتَّى أدرك نفسي وأنموَ في معرفة الآخَرين".[٨] يجب أن يكون طموحنا أن ننموَ في قدرتنا على التعبير الوافي عن عقيدة الكتاب المقدَّس، بعنايةٍ وإيمان، ثمَّ إيصالها بوضوحٍ ودقَّةٍ وشغف. وليس هذا لنتمكَّنَ من إفحام القساوسة الآخرين، أو من إثارةِ إعجابِ أعضاءِ كنيستنا. بل لنتمكَّنَ من إطعام الخراف. يحتاجُ شعبُنا إلى الطعام القويّ، لكنَّنا كثيرًا ما كنَّا مسؤولين عن توقُّف نموِّهم؛ لأنَّنا كنَّا نُطعِمُهم اللبنَ

٨) المرجع السابق نفسه، ٧٤.

9Marks Online PDF

فقط. وأعتقد أنَّ كثيرين منَّا يخشَون أن تصيرَ العقيدة ببساطةٍ أمرًا عديمَ الفائدة للإيمان القويم في كنائسنا، بحيث يكون علينا أن نتخلَّصَ منها كلَّما استَطَعْنا. غير أنَّ الحقيقةَ هي أنَّ العقيدة تُعدُّ الوقود الذي أعطانا الله إيَّاه، الذي عندما يُضاء بنيران النعمة، يشتعل بتفانٍ حارٍّ للعبادة والتلمذة.

هذا ما قصدتُه عندما قارنْتُ جون بايبر بالرسول بولس. عندما واجهَ بولس الرسول قلَّة في العطاء أو خلافًا مثيرًا للانقسام في الكنيسة المحلِّيَّة، كان يتعامل مع مثل هذه المشكلات الدنيويَّة التي نواجهها جميعًا كلَّ يوم. لكنَّ تجاوُبَه لم يكُنْ بتاتًا اعتياديًّا دنيَويًّا، بل كانَ لاهوتيًّا عميقًا. "مَن يتصوَّر أنَّ التجاوُبَ مع مجد التجسُّد قد يكون العطاء للفقراء؟ مَن يتصوَّر أنَّ تطبيق أمجاد المسيح في العهد الجديد قد يكون لوَقْفِ نزاعاتنا وانقساماتنا الكنسيَّة؟".[٩] وأودُّ أن أضيف: مَن كان يظنُّ أنَّ التجاوُبَ الذي لا يلين مع وضعِ الله في المركَز سيكون إحداث تغييرات عدَّة في الخُطَط المهنيَّة والتوجُّه إلى حقل الإرساليَّة؟

سأخبرك مَن فكَّر في ذلك. قبل وقتٍ طويلٍ من جون بايبر، أو جوناثان إدواردز، أو الرسول بولس، كان الله قد فكَّرَ في الأمر. كان يعلم ما نحتاج إليه، وأعطانا إيَّاه في الكتاب المقدَّس. ليس مجرَّد قصص، بل هو حقٌّ موحًى به من الله "...نافِعٌ للتَّعليمِ والتَّوْبيخِ، للتَّقويمِ والتَّأديبِ الذي في البِرِّ،[١٧] لكَيْ يكونَ إنسانُ اللهِ كامِلًا، مُتأهِّبًا لكُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ" (٢تيموثاوس ٣: ١٦– ١٧).

وقد أدركْتُ هذا الأمرَ قبل بضع سنوات عندما دُعيت إلى منزلِ عائلةٍ شابَّةٍ في كنيستنا. شُخِّصَتِ الأمُّ الشابَّة بسرطانٍ بمستوًى متقدِّمٍ نوعًا ما. وعندما جلستُ معهم وأصغيتُ إليهم أوَّلًا ثمَّ بكيتُ معهم، كان أمامي خِيارٌ لأتَّخذه. كان في وُسعي أن أقول كلماتٍ مريحةً روحيَّةً غير مفهومة، مع تأكيد أنَّ الله سيعتني بهم، مع حثِّهم على الإيمان، أو كان يمكنني أن أتطرَّق إلى الواقع الصعب الذي واجَهوه مع حقٍّ لا مساومةَ فيه من كلمة الله. وقرَّرتُ المُضِيَّ في الخِيار الثاني. نظرْتُ إلى الأمِّ الشابَّة وزوجها مباشَرةً، وأخبرتُهما بشأن محبَّة الله، وهي محبَّة لا تستندُ إلى أحوالهما، بل إلى صليب الجلجثة. أخبرتُهم عن سيادة الله، وأنَّ الله هو مَن حتَّمَ بأن تُصابَ بهذا السرطان، وأنَّ الله

9) J. Ligon Duncan III, "Sound Doctrine: Essential to Faithful Pastoral Ministry: A Joyful Defense and Declaration of the Necessity and Practicality of Systematic Theology for the Life and Ministry of the Church," in Mark Dever, J. Ligon Duncan III, R. Albert Mohler Jr., C. J. Mahaney, Proclaiming a Cross- centered Theology (Wheaton, IL: Crossway, 2009), 43.

9Marks Online PDF

يقصد أن يستخدمَ المرضَ في حياتها ليُعلِّمَها أن تتَّكلَ عليه وتجدَ كفايتَها فيه. أخبرتها، حتَّى وأنا أبكي معها، بأنِّي كنتُ متحمِّسًا لرؤية الكيفيَّة التي سيتمجَّد بها الله في هذه التجرِبة التي عيَّنَها لها.

وكما أخبروني لاحقًا، صُدِموا قليلًا من كلماتي، مع أنِّي أوصلْتُها بلُطفٍ وتعاطُفٍ مع دموع. لكنَّهم قالوا لي أيضًا إنَّهم تشبَّثوا بتلك الكلمات، والأعداد الكتابيَّة التي شاركتُها معهم في تلك الليلة. في الأيَّام المظلمة والحافلةِ بعدم اليقين من العلاج الكيمياويِّ والجراحة، كانوا يحتاجون إلى أكثر من اللبن، إذِ احتاجوا إلى الطعم القويِّ لمحبَّة سيادة الله والتزامه أن يتمجَّد في حياة شعبه. في النهاية، نجَتْ تلك الأمُّ الشابَّة من السرطان، لكنَّ حياتها لم تَعُدْ كما كانت. إنَّ حقَّ كلمة الله، الذي وُضع في بَوتقة التجرِبة، أعادَ ترتيب حياتهم بالكامل.

اللاهوت والكنيسة المحلِّيَّة

كان معتادًا، منذ قرن أو قرنَين، أن يُعلَّمَ اللاهوتُ في الكنيسة ومن أجل الكنيسة. ليس الأمر أنَّ اللاهوتيِّين كانوا غير مهتمِّين بإشراك غير المؤمنين، بل الأمر ببساطةٍ أنَّهم فهموا أنَّ الجمهور الأساسيَّ لتعلُّم اللاهوت، والمنشئين الأساسيِّين للَّاهوت، كانوا مؤمنين مجتَمِعين في الجماعة المحلِّيَّة. غير أنَّ في زمنٍ ما، لم تَعُدْ تلك هي الحال. حتَّى إنَّ ديفيد ويلز جعلَ القضيَّة ليس فقط أنَّ اللاهوت لا يُعلَّم في الكنيسة المحلِّيَّة، بل إنَّ عدم الترحيب باللَّاهوت باتَ في تزايُد.[١٠]

بدلَ ذلك، صارَتِ الكنيسةُ مفتونةً باعتمادِ أساليبِ إدارة الأعمال والأساليب النفسيَّة. ويُتوقَّع أن يكون قادتها من الرؤساء التنفيذيِّين، وليس من رعاة الكنيسة اللاهوتيِّين. باتَتِ التجمُّعات العامَّة للكنيسة تُصمَّمُ لتكونَ فعاليَّات تجذبُ الغرباء، بدلَ التجمُّعات التي تعطي تعبيرًا شاملًا عن هُوِيَّتنا، نحن شعبَ الله.[١١] وتميل عاداتنا الفكريَّة لأنْ تتشكَّل أكثر بنتائجِ استطلاعات الرأي، والمدوَّنات، والصور التي يبثُّها التلفاز أكثر ممَّا تتشكَّلُ بفعلِ الكتاب المقدَّس. أفكار الله ومجده،

10) David Wells, *No Place for Truth, or Whatever Happened to Evangelical Theology? (*Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993).

١١) هذا بالتأكيد هو أحد المبادئ الأساسيَّة للحركة الكنسيَّة المعنيَّة بالباحثين الحسَّاسين (Seeker-sensitive). ودعاةُ هذه الحركة كُثُرٌ ومعروفون، فلا داعيَ حتَّى للإشارة إلى أمثلة.

9Marks Online PDF

ونُبْلُنا وفسادنا، وقِيَم هذا العالم وطبيعته الوقتيَّة- الأفكار التي شكَّلت ووسَمَتْ أذهان الأجيال السابقة من المؤمنين- بالكاد توجَد في الكنيسة اليوم، هذا إنْ وُجِدَتْ أصلًا.[١٢]

على الكنيسة ألّا تهجرَ اللاهوت

إذا أرَدْنا أن نشهدَ في هذا العصر بأمانةٍ للمسيح، ربِّ الحياة، فعلينا أن نستعيدَ ليس فقط القدرة على التفكير بأسلوبٍ لاهوتيّ، بل أن نتقيَّدَ أيضًا بممارسة ذلك معًا ضمنَ الكنيسة المحلِّيَّة. وإلى أن نستعيدَ الرؤية اللاهوتيَّة في الكنيسة، فإنَّ العصبَ الذي يعطي حياةً كتابيَّةً غنيَّةً عميقةً لعبادتنا ورسالتنا سيظلُّ مقطوعًا. ستبقى عبادتُنا الجماعيَّة ضحلةً مدفوعةً بالتَّرفيه، وستكون رسالتنا إمَّا غير مميَّزةٍ بتاتًا عن أساليب أيَّة منشأةِ مبيعاتٍ وأهدافها، وإمَّا ستستولي على رسالتنا أجندةٌ ثقافيَّةٌ معاديةٌ بشدَّة. ستحثُّنا هذه الثقافة على أداءِ أعمالٍ صالحةٍ كرعاية الفقراء، لكنَّها لن ترضى عنَّا إلَّا إذا وافَقْنا على إدراج المسيح ضمن تلك الأعمال.

يقول اللاهوتيُّ ريتشارد لينتس: "إنَّ الكنيسةَ التي تهجرُ اللاهوت تجازفُ بوضْعِ نفسها في مواجهةِ خطرٍ محدِق".[١٣] دون رؤيةٍ لاهوتيَّةٍ تكافحُ لترسيخ ما يعنيه أن نكونَ شعبَ الله، في عالمِ الله وتحت حكمه، فإنَّ الكنيسة ستفقدُ حتمًا هُوِيَّتها بوصفها مُلكًا لله وغايتها بوصفها شعبًا ومكانًا يُرى فيه مجد الله في بشارة الإنجيل، ويُعلَن تسبيحُ الله.

---

١٢) أنا مدين بهذه الفكرة أنَّ الله "بالكاد يوجَد في الكنيسة" لديفيد ويلز. هذا موضوع استكشفه بعمقٍ بالغٍ في المشروع الذي بدأ بعنوان: No Place for Truth، واختُتِمَ منذ وقتٍ قريب في مشروع آخَر بعنوان:

The Courage to Be Protestant: Truth-lovers, Marketers, and Emergents in the Postmodern World (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008).

لمناقشةٍ أوسع للفكرة، انظُرْ:

No Place For Truth or Whatever Happened to Evangelical Theology? (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 114–106; *God in the Wasteland: The Reality of Truth in a World of Fading Dreams* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), 113–88.

13) Richard Lints, *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 319.

9Marks Online PDF

على اللاهوت ألّا يهجرَ الكنيسة

في الوقت نفسه، كتب لينتس أيضًا: "إنَّ اللاهوت الذي يهجر الكنيسة، يضعُ نفسه في مواجهةِ خطرٍ محدق".[١٤] خارج الكنيسة، يصير اللاهوت منفصِلًا عن سياق العبادة والرسالة والتلمذة، ويصبحُ من ثَمَّ مجرَّد تخصُّصٍ أكاديميٍّ آخَر يتحدَّثُ إلى ذاته. خارج الكنيسة، لا يعرف اللاهوت حدودًا، ولا مساءلةً، والأهمُّ أنَّه لا يُطبَّقُ عمليًّا. وقد يؤدِّي هذا أحيانًا إلى الهرطقة. وكثيرًا ما أدَّى ذلك في عصرنا الحاليِّ إلى انحسار اللاهوت وذبوله بين الإنجيليِّين، حيث باتَتِ الحاجة فقط إلى تعليمِ عددٍ قليلٍ من العقائد الأساسيَّة، وعند هذه المرحلة يجري تناوُل العمل الحقيقيِّ للتقنيات والإدارة.[١٥] غير أنَّ الأهمَّ ربَّما هو أنَّ اللاهوتَ الذي يُعلَّم خارجَ الكنيسة يفتقر إلى الوسائل التي أتاحَها الله لتوضيح الحقِّ وإبرازه، علاوةً على تطبيق الحقِّ على الحياة. ويجب أن تكونَ الكنيسةُ هي الإظهارَ لبشارة الإنجيل (أفسس ٣: ١٠)، وأن تكونَ أرضًا حيَّةً ناميةً من السماويَّات،[١٦] وجماعةً ممَّن يعيشون خارج منظورِ العالم يعبِّرُ عنه اللاهوت الكتابيّ. ودون الكنيسة، كيف يعرف أيُّ إنسانٍ أنَّ للَّاهوت رأيًا يستحقُّ الإصغاء إليه؟

الخلاصة

لماذا نعلِّمُ اللاهوتَ النظاميّ؟ لأنَّه تطبيقُ الحقِّ في الحياة، ولأنَّ اللاهوتَ هو أساسُ كلِّ عملٍ صالح، ولأنَّه يوفِّر الإطارَ والمنظور إلى العالم الذي يسمح لنا بفَهْمِ حياتنا والعالم من حولنا وعلاقتهما بالله وإنجيل بشارة يسوع المسيح.

نحن نعيش في عالم ساقط صاغَه الآن بشرٌ ساقطون لجَعْلِ المشروع اللاهوتيِّ يبدو منفصِلًا عن الواقع وليس سوى مضيَعةٍ للوقت. غير أنَّ اللاهوتَ النظاميَّ يُعِدُّنا لذلك، ويخبرنا بأن نتوقَّع ذلك، ثمَّ يدعونا إلى السعي إلى التفكير بأسلوبٍ لاهوتيٍّ في هذا العالم. علاوةً على ذلك، لا ينبغي لنا

---

١٤) المرجع السابق نفسه.

15) Wells, No Place, 101.

16) Edmund P. Clowney, *The Church: Contours of Christian Theology* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1995), 13 (chapter title .)

9Marks Online PDF

أن نفكِّر بهذا الأسلوب وحدَنا، بل في سياقِ الكنيسة، مع آذانٍ صاغِيةٍ لما قاله المؤمنون السابقون، وأعيُنٍ تهدفُ إلى جَعْلِ هذا التفكير يحملُ ما يَعنيه أن يتَّبعَ المرءُ المسيحَ في هذا العصر.

لدينا الآن الأدوات التي نحتاج إليها لبناء لاهوتٍ يسردُ القصَّة الكاملة للكتاب المقدَّس كلِّه، وهو ما يوجِّهنا في هذا العالم لنعيشَ رجالًا ونساءً مؤمنين عارِفين الله. وقد حان الوقت الآن لتجرِبة أدوات البناء تلك بأنفسنا.

9Marks Online PDF

القسم الثاني

القصص التي يجب سردُها

9Marks Online PDF

الفصل السادس

قصّة الخلق

من الآن فصاعدًا سنغيِّر اتِّجاهنا. لقد كنَّا نستعدُّ والآن سنمضي إلى البناء. لكنْ قبل أن نفعل ذلك، فلألخِّصْ ما أنجزناه حتَّى الآن. الهدف من هذا الكتاب هو إقناعُك أوَّلًا ثمَّ مساعدتك. لقد كنتُ أحاول إقناعك بأنَّك إذا كنت جادًّا بشأن الخدمة المسيحيَّة، فأنت تحتاجُ إلى لاهوتٍ كتابيٍّ مُخلِصٍ لقصَّة الكتاب المقدَّس وصحيحٍ في تطبيقه. كم هذا عمليّ! كان القسم الأوَّل من هذا الكتاب يدورُ حول إقناعك بأنَّ أدوات اللاهوت، سواء كانت أدوات اللاهوت الكتابيِّ أم اللاهوت النظاميّ، هي أدوات يمكنك استخدامها. في الواقع، هي أدوات عليك استخدامها إذا أردْتَ أن تكونَ قائدًا أمينًا للكنيسة. لماذا أقول إنَّ عليك استخدامَها؟ لسببٍ يسير: أنَّ لدى الله منظورًا إلى حياتك، وإلى حياتي، وإلى الحياة عمومًا. قد يبدو هذا واضحًا، لكنْ فكِّر في الأمر للحظة. إنَّ لدى الله منظورًا إلى ماهيَّة المحبَّة حقًّا، وإلى كيفيَّة حديثنا، وإلى ما نفعله بممتلكاتنا، وإلى علاقاتنا بجيراننا وأقاربنا، وإلى علاقتنا بشخصه المجيد. ربَّما نقول في الجسد إنَّنا مهتمُّون بمنظوره، لكنَّنا في الواقع نرفضه؛ إذ إنَّنا مهتمُّون فقط بمنظورنا الخاصّ، ونُمضي كلَّ لحظةٍ تقريبًا من كلِّ يومٍ في تسويغ منظورنا هذا- أحيانًا بوعيٍ وأحيانًا دون وعي.

يقدِّم لنا الكتاب المقدَّس منظورَ الله. لكنْ كما رأينا، فإنَّ الكتاب المقدَّس مختلفٌ عن أيِّ كتابٍ آخر؛ فهو لا يقدِّم منظورَ الله إلى الأمور مباشرة، بل ثمَّة جزءٌ تاريخيّ، وآخَر نثريّ، وآخرُ شِعريّ... إلخ. إنَّه يستعرضُ التاريخ، كما تفعلُ كتبٌ عدَّة أخرى. لكنْ بخلافِ أيِّ تاريخٍ مكتوبٍ آخر، فإنَّ

9Marks Online PDF

هذا التاريخ صاحبُ سُلطةٍ وموثوقٌ به لحياتنا. وهذا هو السبب في أنَّه يُعطينا أيضًا مقدِّمات إلى الحقِّ المطلَق في خِضَمِّ السرد التاريخيّ. يتضمَّن الكتاب المقدَّس أيضًا الشِّعر، الذي يقودنا في الترنيم والمشاعر والحزن، مثل كُتُبِ شِعرٍ عدَّة. لكنْ بخلافِ أيِّ كتابٍ شِعريٍّ آخر، الكتاب المقدَّس صاحبُ سُلطة وموثوقٌ به. هذه هي الطريقة التي ينبغي أن تحزن بها، أو تفرح بها، أو تعبِّر بها عن خوفك، وهكذا دواليك.

الكتاب المقدَّس فريدٌ تمامًا، وهو مصمَّم ليُنجِزَ ما لم يُنجِزْه أيُّ كتابٍ آخرَ في التاريخ– الإعلان عن الله بواسطة الله ذاته. الكتاب المقدَّس مكتوبٌ من أجل البشر، لأشخاصٍ مثلنا تمامًا. وبوصفنا أشخاصًا، فنحن ننمو لنثقَ بأشخاصٍ آخرين ونؤمن بهم بينما نسير معهم– حيث نرى تصرُّفاتهم، ونسمع كلماتهم، ونلاحظهم، وفي النهاية نشارك قلوبَهم. أمَّا في حالة الله، فإنَّ مَن نتعرَّفُ إليه ليس مثلنا، بل هو الله المثلَّث الأقانيم، ربُّ السماء والأرض. فمن الواضح أنَّ هذا ليس كتابًا عاديًّا.

إنَّ ما يفعله الكتاب المقدَّس، في الواقع، ليس مجرَّد إعطائنا منظورَ الله، بل هو يسمح لنا بالسَّير مع الله عبر التاريخ البشريّ. وبهذه الطريقة يمكننا أن نثقَ بكلماتِ هذا الشخص الذي يقود التاريخ، ونثقَ بمنظوره وقلبه. يمكِّننا الكتاب المقدَّس، على حدِّ تعبير ديفيد بوليسون، من الرؤية بأعيُنٍ جديدة.[1] يمكِّننا، كما يقول الرسول بولس، من الرؤية بأذهانٍ مستنيرةٍ وقلوبٍ جديدة (أفسس ١: ١٨).

في القسم الأوَّل من هذا الكتاب، حاوَلْنا فهْمَ طبيعة الكتاب المسمَّى "الكتاب المقدَّس". لذلك نحن نسأل ليس فقط السؤال التفسيريّ: "ما الذي يقوله السِّفر؟ (أي ما مضمون السِّفر؟) كما أنَّنا لا نطرح فقط السؤالَ اللاهوتيَّ النظاميّ: "ما الذي يجب أن يؤمن به المسيحيُّون بشأن الموضوع «كذا»– الله، الإنسان، الخطيَّة، الأُخرويَّات، بحوث الخلايا الجذعيَّة، الحكومات، وما إلى ذلك؟". بدلَ ذلك، نسأل شيئًا ما بين هذَين السؤالَين– سؤال وسطيّ– وهو سؤالُ لاهوتٍ كتابيّ: " كيف يقول الكتاب المقدَّس ما يقوله؟" إذا لم نفهَمِ الكيفيَّة التي يقول بها الكتاب المقدَّس

1) David Powlison, *Seeing With New Eyes: Counseling and the Human Condition through the Lens of Scripture* (Philipsburg, NJ: P&R, 2003).

9Marks Online PDF

ما يقوله، فيُحتمَل أن نخطئ في السؤالَين الآخرَين. وسنُسيء فهم المحتوى، ونسيءُ تطبيقه بشأن ما يجب أن نؤمنَ به.

للإجابة عن سؤال اللاهوت الكتابيِّ هذا، نظَرْنا في مفاهيمَ عدَّة، وقدَّمْنا عددًا من الأدوات:

- قصد الكاتب من النصّ
- المساحة التاريخيَّة ومساحة الأسفار المقدَّسة معًا
- القصَّة العهديَّة للكتاب المقدَّس
- مسائل تحقيق الوعد، والتي تشمل أبعادًا عدَّة للتحقُّق
- دور دراسة الرموز
- مسائل الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع)

بعد ذلك، نظَرْنا في طبيعة اللاهوت النظاميّ، وفي كيفيَّة بناء العقيدة، أي ما نؤمن به. ويتكوَّن اللاهوتُ النظاميُّ الجيِّد من المعرفة الكتابيَّة والمعرفة الشخصيَّة والمعرفة وَفقَ الأحوال.

في الجوهر، كنَّا نفكِّر في كيفيَّة بناء الجسر ممَّا يقولُه الكتاب المقدَّس إلى ما نؤمن به.

هذا ما فعلناه حتَّى الآن. وما الذي سنفعله بعد ذلك؟ في هذا الفصل والفصول الأربعة المقبِلة، سنطبِّقُ كلَّ ما تناولْناه. سننظر في خمسِ قصصٍ مختلفةٍ يرويها الكتاب المقدَّس- خمسِ قصصِ لاهوتٍ كتابيٍّ مختلفة. في الواقع، سنروي القصَّة الكاملة للكتاب المقدَّس خمس مرَّات، في كلِّ مرَّة من منظورٍ مختلفٍ قليلًا، ثمَّ سننظر في بعض الوثائق التي تنشأ من تلك القصص، وكيف تشكِّل هذه العقائد ما نؤمن به، وكيف يجب أن نحيا.

القصَّة الأولى التي سنرويها هي قصَّة الخلق. تبدأ قصَّة الله بالخلق، وتنتهي بخلقٍ جديد. وهذه الحقيقة وحدَها تشير إلى أنَّ الخلقَ أمرٌ بالغُ الأهمِّيَّة لفَهْمِ مَن يكون الله وماهيَّة هُوِيَّته.

9Marks Online PDF

قصَّة الخلق

في البدء

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تكوين ١: ١).

يوفِّر سفر التكوين الأصحاح ١ منظورًا كونيًّا عامًّا. كلُّ ما في الوجود يدخل حيِّز الوجود بأمرٍ إلهيّ.

وإذ ننتقل إلى سفر التكوين الأصحاح ٢، تركِّز القصَّة بقوَّةٍ على تفاصيل خلقِ الإنسان، والزواج الأوَّل، والمسؤوليَّات الموكَلة إلى الرجال والنساء. كلُّ شيءٍ حسنٌ، ويسير على ما يُرام كما ينبغي له أن يكون.

ثمَّ تقعُ المأساة. يتمرَّد آدمُ وحوَّاء، على نحوٍ لا يُصدَّق، على الشخص الذي أعطاهما جنَّة عَدْن. وبدينونةٍ ورحمةٍ، طردَهما الله من محضره في جنَّة عَدْن، إلى عالمٍ مخلوقٍ صارَ ملعونًا ساقطًا.

وتدورُ العجلة...

وأصحاحًا بعد أصحاح، تسير الأمور من سيِّئ إلى أسوأ، ثمَّ نسمع مرَّةً أخرى كلماتِ دينونةٍ إلهيَّة.

> "ورأى الرَّبُّ أنَّ شَرَّ الإنسانِ قد كثُرَ في الأرضِ، وأنَّ كُلَّ تصَوُّرِ أفكارِ قَلبِهِ إنَّما هو شِرّيرٌ كُلَّ يومٍ. فحَزِنَ الرَّبُّ أنَّهُ عَمِلَ الإنسانَ في الأرضِ، وتأسَّفَ في قَلبِهِ. فقالَ الرَّبُّ: «أمحو عن وجهِ الأرضِ الإنسانَ الذي خَلَقتُهُ، الإنسانَ مع بَهائمَ ودَبّاباتٍ وطُيورِ السماءِ، لأنِّي حَزِنتُ أنِّي عَمِلتُهُمْ»" (تكوين ٦: ٥– ٧).

تتكرَّر أفعالُ الله الواردة في تكوين الأصحاح ٣ في الأصحاح ٦، إذ يجلبُ الله الطوفان. كان يوم الدينونة الذي سمَّاه بطرس الرسول "العالَمُ الكائنُ حينَئذٍ" (٢بطرس ٣: ٦).

لكنَّ الله أظهَرَ رحمتَه أيضًا لنوح وعائلتِه. وأتى مع خلاص نوح فعلُ إعادة الخلق. فمن جديدٍ كانت الأرض خربةً خاليةً مغمورةً بالمياه (انظُرْ تكوين ١: ٢). وعلاوةً على ذلك، كان الطُّوفان رمزًا إلى غسْلِ الأرض خارجيًّا من خطيَّة الجنس البشريّ. وهكذا ظهرَ عالمٌ جديد، أيْ عالمنا الحاليّ، حيث

9Marks Online PDF

وضعَ الله مرَّةً أخرى حدودًا ما بين اليابسة والبحر. ثمَّ كلَّفَ الله نوحًا وعائلته كما كلَّفَ آدم، حتَّى إنَّ صدى صوتِ الله في تكوين ١ تردَّد هنا بقَولِ الله لنوحٍ: "...أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ...كُلُّ دابَّةٍ حَيَّةٍ تكونُ لكُمْ طَعامًا. كالعُشبِ الأخضَرِ دَفَعتُ إلَيكُمُ الجميعَ" (تكوين ٩: ١- ٣).

ومع أنَّ العالم طُهِّرَ خارجيًّا وأُعيدَ خلقه، فإنَّ قلوبَ البشر لم تتغيَّر داخليًّا. حيث دخلَتِ الخطيَّة ثانيةً. وفي غضون بضع سنوات، تمزَّقتْ عائلةُ نوح ولُعِنَ أحد حَفَدَتِه. وفي سفر التكوين الأصحاح ١١، نشهدُ مرَّة أخرى الشرَّ المتعاليَ للبشر ودينونة الله الرحيمة، حيث يبلبلُ الله ألسنةَ البشر في بابل، ويُشتِّتهم على وجه الأرض لإبطاء تقدُّمِ شرِّهم.

عند هذه المرحلة المنحطَّة على نحوٍ لا يُصدَّق من القصَّة، كان البشر متغرِّبين بعيدًا عن الله، بل أيضًا متغرِّبون كثيرًا بعضهم عن بعض، وهكذا فإنَّ نشاطَ الخلق مثَّل تغييرًا عميقًا في مسار التاريخ البشريّ. وقد تكلَّم الله وخلق من جديد، ليس عالمًا جديدًا، بل خلقَ إنسانًا جديدًا. حينها أخذ الله عابدَ أوثانٍ يُدعى أبرام، وبِنِداءِ محبَّةِ الله الذي لا يُقاوَم، غيَّر الله قلبَ أبرام واسمَه (صار إبراهيم). وهكذا كان إبراهيم هو الإنسان الذي آمن بالله وتَبِعَه. وهنا عاودَ الله الكلام، فوعدَ إبراهيم الذي لم يكن قد رُزِقَ أيَّ أولاد أن يجعلَ بيتَه أمَّةً عظيمة. بعدها خلقَ الله، وَفقَ وعده، حياةً في رحمِ سارة العاقر. وبعد جيلٍ واحد، كان لحفيدهما اثنا عشرَ ابنًا. ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى باتَ من الصعب حسابُ كلِّ نسلهما. من رجلٍ وامرأةٍ وحيدَين، تكاثرا وكانا مثمرَين.

ثمَّ تسارَعَتْ أحداث القصَّة، وصارتْ ذرِّيَّةُ إبراهيم مستعبدةً لأُمَّةٍ أخرى. وهناك أرسلَ الله النبيَّ موسى ليتكلَّم بكلام الله لِفِرْعَون. وحين تكلَّم الله، دِينَتْ مِصْر، وتحرَّر الشعب القديم. إلَّا أنَّهم لم يصيروا أمَّةً بعد؛ إذ كانوا مجموعاتٍ غير مترابطةٍ من الأسباط (القبائل). لكنْ عند جبل سيناء، تحدَّثَ الله من جديد. وفي سفرِ الخروج ١٩- ٢٠، تحدَّث الله إلى الشعب، وأسَّسَ شعبًا خاصًّا به، أُمَّتَه المختارة من بين جميع شعوب الأرض.

9Marks Online PDF

"وأمَّا موسى فصَعِدَ إلَى الله. فناداهُ الرَّبُّ مِنَ الجَبَلِ قائلًا: «هكذا تقولُ لبَيتِ يعقوبَ، وتُخبِرُ بَني إسرائيلَ: أنتُمْ رأيتُمْ ما صَنَعتُ بالمِصريِّينَ. وأنا حَمَلتُكُمْ علَى أجنِحَةِ النُّسورِ وجِئتُ بكُمْ إلَيَّ. فالآنَ إنْ سمِعتُمْ لصوتي، وحَفِظتُمْ عَهدي تكونونَ لي خاصَّةً مِنْ بَينِ جميعِ الشُّعوبِ. فإنَّ لي كُلَّ الأرض. وأنتُمْ تكونونَ لي مَملكَةَ كهَنَةٍ وأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هي الكلِماتُ الّتي تُكلِّمُ بها بَني إسرائيلَ»...ثُمَّ تكلَّمَ الله بجميعِ هذِهِ الكلِماتِ قائلًا: «أنا الرَّبُّ إلهُكَ الَّذي أخرَجَكَ مِنْ أرضِ مِصرَ مِنْ بَيتِ العُبوديَّةِ. لا يَكُنْ لكَ آلِهَةٌ أُخرَى أمامي»"
(خروج ١٩ :٣- ٦؛ ٢٠: ١- ٣).

وهكذا أسَّسَ الله الأمَّة، وزادَ على ذلك بأنْ وعد أيضًا أن يُسكِنَ الشعبَ في أرضٍ تفيضُ لبنًا وعسلًا. وتوصَف تلك الأرض بأنَّها جنَّةٌ فعليَّةٌ مثل عَدْن، وهي المكان الذي يمكن فيه أن يستريحَ في محضَر الله مَن كانوا عبيدًا سابقين.

غير أنَّ الشعبَ تمرَّدوا على نحو مثيرٍ للعجب ليس مرَّةً فقط، بل مِرارًا وتَكرارًا (خروج ٣٢؛ العدد ١١- ١٤، ١٦، ٢١، ٢٥). وهكذا أدانَ الله جيلًا واحدًا، وتركَهُم يموتون في البرِّيَّة. ثمَّ أعادَ خَلْقَ الأمَّة ثانيةً من أولاد ذلك الجيل. حيث أقامَهم في أرضهم، أرضِ الراحة الموعودة، وأقامَ لهم ملكًا عظيمًا، هو الملك داوُد، الذي منحَهم الراحة من جميع أعدائهم. لكنَّهم أخطأوا في نهاية المطاف، واستمرَّت عجلةُ أحداث القصَّة بالدوران. وكالأجيال السابقة، مثل آدم وحوَّاء في البدء، تمرَّدَتِ الأمَّة، وأدَّى هذا أوَّلًا إلى تقسيم المملكة وأخيرًا إلى الدينونة والسبي. وهكذا تفرَّقت الأمَّةُ بين أمَمٍ لم تفهمْ لغتَها، ولخَّصتِ الأمَّة في تاريخها الأصحاحات الأحد عشرَ الأولى من سفر التكوين.

ثمَّ تدخَّلتْ نعمة الله مرَّةً أخرى، وردَّتْ ما تبقَّى من الأمَّة من السبي. وأُعيدَ بناء الهيكل وترميم أسوار أورُشَليم. لكنْ كان ثَمَّة أمرٌ مفقود؛ إذ أعيدَ بناءُ الهيكل، لكنَّه كان فارغًا، حيث لم يكُنِ الله هناك. جرى ترميم أسوار أورشَليم، لكنَّ عرشَ داوُد كان ظلًّا لمجده السابق، وسرعان ما صار شاغرًا. وبحلول الزمن الذي حلَّ فيه العهد الجديد، كان الشعبُ عبيدًا مرَّةً أخرى، لكنَّهم

9Marks Online PDF

هذه المرَّة كانوا عبيدًا في أرضهم، ولم يكُنْ هناك نبيٌّ على مدى قرون. وهكذا كان الله صامتًا وهو الذي كان يتكلَّم ويخلق.

تدشين الخليقة الجديدة

ظلَّ الله صامتًا، إلى أنْ حلَّ يومٌ مدهش، حيث ظهرَ الخالق نفسُه في هيئة إنسان. ويقول لنا الرسول يوحنَّا، مردِّدًا صدى تكوين ١:

> "في البَدءِ كانَ الكلِمَةُ، والكلِمَةُ كانَ عِندَ الله، وكانَ الكلِمَةُ اللهَ. هذا كانَ في البَدءِ عِندَ الله. كُلُّ شَيءٍ بِهِ كانَ، وبغَيرِهِ لم يَكُنْ شَيءٌ مِمَّا كانَ. فيهِ كانتِ الحياةُ، والحياةُ كانتْ نورَ الناس...والكلِمَةُ صارَ جَسَدًا وحَلَّ بَينَنا، ورأينا مَجدَهُ، مَجدًا كما لوَحيدٍ مِنَ الآبِ، مَملوءًا نِعمَةً وحَقًّا" (يوحنَّا ١: ١- ٤، ١٤).

وقد كان الكلمة هو يسوعَ، الله المتجسِّد. في حياته، تحدَّث فأصبح الأعمى يرى والأصمَّ يسمع. ورغم أنَّ الأشرارَ صلبوه ودفنوه، فقد قام من بين الأموات، ودشَّنَ بهذه القيامة الخليقة الجديدة، وهو عملٌ مستمرٌّ حتَّى اليوم. وبكلمة يسوع، بشارة الإنجيل، يُقيمُ الخطاةَ الأموات في جِدَّةِ الحياة (الحياة الجديدة) ويجعلهم خليقةً جديدة (أفسس ٢: ١- ٩). وبكلمته، بشارة الإنجيل، يدعو شعبَه إلى بشريَّةٍ جديدة، أمَّةٍ مقدَّسة. يدعو كاتب رسالة العبرانيِّين، مردِّدًا صدى سِفر الخروج الأصحاحَين ١٩ و٢٠، هذا الشعب كنيسةَ أبكار (عبرانيِّين ١٢: ٢٢- ٢٣).

الخليقة الجديدة المكتمِلة

بكلمة يسوعَ، بشارة الإنجيل، سيُكمِلُ يسوعُ الخالقُ عملَه في الخليقة الجديدة. وسيُدان الشرُّ والخطيَّة أخيرًا وإلى الأبد، وسيُطهَّرُ شعبُ الله من كلِّ شرورهم وسيسكنون معه في راحةٍ إلى الأبد في سماءٍ جديدةٍ وأرضٍ جديدة. كما رأى يوحنَّا هذا المشهد:

9Marks Online PDF

"ثُمَّ رأيتُ سماءً جديدَةً وأرضًا جديدَةً، لأنَّ السماءَ الأولَى والأرضَ الأولَى مَضَتا، والبحرُ لا يوجَدُ في ما بَعدُ. وأنا يوحَنَّا رأيتُ المدينةَ المقدَّسةَ أورُشَليمَ الجديدَةَ نازِلَةً مِنَ السماءِ مِنْ عِندِ اللهِ مُهَيّأةً كعَروسٍ مُزَيَّنَةٍ لرَجُلِها. وسَمِعتُ صوتًا عظيمًا مِنَ السماءِ قائلًا: «هوذا مَسكَنُ اللهِ مع النَّاسِ، وهو سيَسكُنُ معهُمْ، وهُم يكونونَ لهُ شَعبًا، واللهُ نَفسُهُ يكونُ معهُمْ إلهًا لهُمْ. وسَيَمسَحُ اللهُ كلَّ دَمعَةٍ مِنْ عُيونِهِمْ، والموتُ لا يكونُ في ما بَعدُ، ولا يكونُ حُزنٌ ولا صُراخٌ ولا وجَعٌ في ما بَعدُ، لأنَّ الأُمورَ الأولَى قد مَضَتْ». وقالَ الجالِسُ علَى العَرشِ: «ها أنا أصنَعُ كُلَّ شَيءٍ جديدًا!». وقالَ لِيَ: «اكتُبْ: فإنَّ هذِهِ الأقوالَ صادِقَةٌ وأمينَةٌ»" (رؤيا ٢١: ١– ٥).

الأنماط في الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة

كانت هذه لمحةً سريعةً عن قصَّة الخلق والخليقة الجديدة. وأنا أعتمد على حقيقةِ أنَّك تعرفُ على الأقلِّ بعضَ تفاصيل القصَّة التي ليس عندي متَّسعٌ من الوقت لتوضيحها.

لكنْ قبل أن نفكِّرَ في ما تُعلِّمنا إيَّاه القصَّة، فكِّر في كيفيَّة تعليمنا إيَّاه.

أوَّلًا، لاحِظْ ما قلتُه في السابق: كلُّ شيء يتطوَّر معًا كقصَّة. وعندما أقولُ قصَّة، لا أقصد أنَّها خياليَّة، كما أنَّ قصَّة حياتك ليسَتْ خياليَّة. ما أعنيه هو أنَّ قصَّة الخلق، حالُها حالُ كلِّ القصص، تتمتَّع ببنيةٍ سرديَّة. هناك بداية الخلق، ثمَّ يأتي التوتُّر في الحبك الدراميِّ مع السقوط. في المنتصف، يصير الحبكُ الدراميُّ مثيرًا للاهتمام بواسطة جميع دورات الخلق والخطيَّة، والدينونة والخليقة الجديدة، وما إلى ذلك. على طول الطريق توفِّر هذه الدورات ذروةً مصغَّرةً وتطوُّرات جديدة. أخيرًا، هناك نهاية لها ذروةٌ حقيقيَّة– السماء الجديدة والأرض الجديدة.

ثانيًا، هناك نمطٌ واضحٌ من الوعد وتحقيقه في أماكن عدَّة. وعد الله إبراهيم بنسلٍ كبيرٍ، وأرضٍ، وأنَّه سيكون بركة. ومن الواضح أنَّ الله حقَّقَ هذا الوعد مع إسحاق، ثمَّ مع أسباط إسرائيل الاثني عشر، ثمَّ مع الأمَّة كلِّها. غير أنَّ هذا الوعد تحقَّق على مستوياتٍ عدَّة. هؤلاء الحَفَدة

9Marks Online PDF

الكثيرون يشملون ليس فقط أمَّة العهد القديم، بل أيضًا كنيسةَ العهد الجديد. وتبيِّن أنَّ أرض الميعاد لم تكُنْ فلسطينَ فقط، بل هي الخليقةُ الجديدةُ ذاتها.

ثالثًا، نجدُ هنا أيضًا قصَّةَ العهد في الكتاب المقدَّس. في الواقع، لو كان لديَّ الوقت، لشرحْتُ العهودَ مع نوح وإبراهيم وداوُد. إنَّ ملاحظةَ كلِّ هذه العهود أمرٌ مهمٌّ لأنَّ موضعنا الدقيقَ في قصَّة العهد سيؤثِّر في استنتاجاتنا في اللاهوت النظاميّ. مثلًا، لنفترضْ أنَّ شخصًا ما أرادَ أن يجادلَ لإضفاء الشرعيَّة على نبتةٍ مخدِّرة بالقول إنَّ كلَّ شيءٍ خلقَه الله كان حَسَنًا. لذلك، فإنَّ هذه النبتة حَسَنةٌ أيضًا. كلُّ شيءٍ خلقَه الله كان حَسَنًا في تكوين ١. لكن بعد ذلك نصل إلى تكوين ٣، الذي غيَّرَنا، كما غيَّرَ أيضًا العالم تغييرًا هائلًا. لا يمكنك فقط بناء حُجَّتك على النصِّ بهذه الطريقة.

رابعًا، لاحِظْ أيضًا استخدامَ الله للرموز في قصَّة الخلق. كانت الخليقة الجديدة بعد الطوفان رمزًا إلى الخلق. وكانت دعوةُ شعبِ العهد القديم إلى التحرُّر من العبوديَّة إلى أرض الميعاد رمزًا آخرَ إلى الخلق. لكنَّ هذه الرموزَ تشير دائمًا نحو الأمام إلى مرموزٍ إليه، أي إلى الخليقة الجديدة التي دشَّنَها المسيح. وبتكرار الرموز، نتعلَّم شيئًا عن الكيفيَّة التي يعمل بها الله، والأمور التي يهتمُّ بها.

خامسًا، ربَّما لاحظْتَ أنماطًا أخرى لهذه القصَّة. مثلًا، حقيقة أنَّ الله يخلق دائمًا ويُعيد الخلق بكلمته، أو أنَّه يخلقُ ويُعيد الخلق لمجده. ربَّما لاحظْتَ أيضًا أنَّ إعادة الخلق تدور دائمًا حول إنسانٍ واحدٍ ممثِّل، بغضِّ النظر عن عدد الأشخاص الآخرين الذين قد يشاركون. يقف هذا الإنسان دائمًا مثل آدم بصفةِ وسيطٍ ممثِّل لآخرين يتبعونَه. إنَّ قصَّة الخلق وقصَّة ابن الله متشابكتان تشابُكًا وثيقًا. وليس هدفي هنا سَرْدَ كلِّ الأنماط سردًا شاملًا، بل أطلب إليك أن تبدأ بالبحث عنها.

وضْعُ كلِّ شيء في إطارٍ نظاميّ

لقد سمعنا القصَّة، ونظرنا بإيجازٍ في كيفيَّةِ سَيرها. فكيف نجمعُ كلَّ هذا ونطبِّقه على المؤمنين والكنيسة؟

عندما نفكِّرُ في أهمِّيَّة قصَّة الخلق، أعتقد أنَّ عقائدَ عدَّة تصبح واضحة. أودُّ أن أسلِّطَ الضَّوءَ على بعضٍ من هذه الأمور، والكيفيَّة التي بها نفكِّر في هذه الأمور في ضَوءِ الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة.

9Marks Online PDF

١. يخلقُ الله من العدم

في البدء، خلق الله كلَّ شيءٍ من العدم.

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تكوين ١: ١).

"كُلُّ شَيءٍ بِهِ كانَ، وبغَيرِهِ لم يَكُنْ شَيءٌ مِمَّا كانَ" (يوحنَّا ١: ٣).

ويعني هذا أنَّ الله هو الخالق. هو خالقُ كلِّ الخليقة، لذا فهي له، ويعني هذا أنَّنا له أيضًا. ضعْ في حسبانك تطبيقات اللاهوت النظاميِّ التي يمكنُنا استخلاصها من هذا.

١. **الله كلِّيُّ القدرة**، وهو الخالق المبدع والرَّبّ. ولهذا تطبيقٌ حقيقيٌّ في كرازتنا؛ ففي سياقِ ما بعد الحداثة، لا يمانع الناس ما إذا كنَّا نؤمن بالله. إذا كان يلائمك، فهذا أمرٌ رائع. ما يمانعونَه هو محاوَلتنا فَرْض إيماننا عليهم. لذلك يجب أن نكونَ واضحين بأنَّنا لا نفرضُ أيَّ شيء. ليسَتِ المسيحيَّة مشروعًا اجتماعيًّا يهدف إلى فرضِ الهيمنة الثقافيَّة، بل هي إعلانٌ أنَّ لله حقًّا مشروعًا في حياتنا كلِّنا. هذا هو سببُ وجود الكثير من المباحَثاتِ والجدالات المحتدِمة حول نظريَّة التطوُّر والتصميم الذكيّ. في الأساس، ليسَ الأمرُ معركةً علميَّة، بل معركةٌ حول الاستقلال عن الله. المشكلة هي أنَّ الاستقلال عن الله يعني العبوديَّة لكلِّ شيءٍ آخر– عواطفنا ورغباتنا وإخفاقاتنا. وتوضحُ قصَّةُ الخلق كلَّ ذلك.

٢. **للخلْقِ بداية**، كما أنَّ له هدفًا، وهو أيضًا حَسَنٌ. إنَّ لهذا تطبيقًا على الوكالة البيئيَّة، ومسألة الرِّفق بالحيوان، وإمكانيَّات البحث العلميِّ ومدى ملاءمته. لكنَّ لها أيضًا تطبيقًا على عبادتنا. ليست الخليقة مطلقة، وليست هي من صنعت الله. وأيُّ شكلٍ من أشكال الحياة يسعى إلى إيجاد تحقيقٍ نهائيٍّ مطلَقٍ في المخلوق بدلَ الخالق هو وثنيَّةٌ تجلب بحقٍّ دينونةَ الله.

لكنْ بينما نفكِّر في نمطِ الخلق في كلِّ القصَّة، ندرك أنَّنا لا نتحدَّثُ فقط بشأن عقيدة الخلق. وعندما نصل إلى العهد الجديد، فإنَّنا نتحدَّثُ أيضًا بشأن عقيدة الخلاص. يخلقُ الله خلاصَنا من

9Marks Online PDF

العدم. كنَّا موتى، لكنَّه أَحْيانا، لذلك نُسمَّى "الخليقة الجديدة". وهكذا يصفُ بولس الرسول هذا المشهد:

> "لِأَنَّ الله الّذي قالَ: «أنْ يُشرِقَ نورٌ مِنْ ظُلمَة» [هذا هو الخلق]، هو الذي أشرَقَ في قُلوبنا، لإنارَةِ مَعرِفَةِ مَجدِ اللهِ في وجهِ يَسوعَ المَسيحِ [هذه هي الخليقة الجديدة]" (٢كورنثوس ٤: ٦).

أيمكنك أن ترى؟ يعلِّمنا الله عن خلاصنا والكيفيَّة التي يعمل بها بواسطة أنماط الخلق في العهد القديم. هل تميلون إلى الاعتقاد أنَّكم اخترْتُم الله، أو أنَّكم خلَّصْتُم أنفسَكم بأيِّ شكلٍ من الأشكال؟ ربَّما يكون لديكم نصٌّ من العهد الجديد لإثبات حُجَّتكم. لكنِ انتظروا! انظُروا إلى قصَّة الكتاب المقدَّس كلِّه. فكِّروا في حقيقة أنَّ الله يخلقُ من العدم وكيف يمكن أن يؤثِّر ذلك في فهمكم للخلاص. هذا بالضَّبط ما يريد بولس الرسول منَّا أن نفعله في ٢كورنثوس ٤: ٦.

٢. يخلقُ الله بكلمته

وهنا موضوعٌ آخرُ يستحقُّ التأمُّل. ليس فقط أنَّ الله يخلق كلَّ شيء من العدم، بل أيضًا يخلقُ كلَّ شيءٍ بكلمته.

> "وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (تكوين ١: ٣).

إذا صَنَعْنا أيَّ شيء، فإنَّنا نحتاجُ إلى الموادِّ الخام للعمل عليها. غير أنَّ الأمرَ ليس كذلك مع الله. كما يقول بولس الرسول في رومية ٤: ١٧: "...ويَدعو الأشياءَ غَيرَ المَوْجودَةِ كأنَّها مَوْجودَةٌ"، وهي الآن موجودة. إنَّ الله يخلق بكلمته.

أينما خلقَ الله ومهما كان ما خلقَه، فهو عملُ نعمةٍ قويَّةٍ لا تُقاوَم. لا شيءَ يُجبِرُ الله أن يتكلَّم، بل هو يتكلَّم متى ما أراد. وعندما يتكلَّم، تحدُثُ الأمور. وليس فقط أنَّه يخلق إمكانيَّاتِ أن تحدُثَ الأمور، لا بل إنَّ الأمورَ تحدثُ حقًّا. كما قُلْنا في المقدِّمة، فإنَّ كلام الله صحيحٌ، كما أنَّه فعَّالٌ أيضًا. حينما يتكلَّم الله فإنَّه يعمل أيضًا.

9Marks Online PDF

- في سفر التكوين ١، لم يستطعِ العدم مقاومةَ الله.
- في حزقيال ٣٧، عندما ينادي حزقيال وادي العظام الجافَّة بكلمة الله وروحه، فإنَّ العظام لم تَقُلْ لحزقيال: "لا نريد أن ننهض".
- في يوحنَّا ١١، عندما صاحَ يسوع منادِيًا جثمان لعازر، لم يقُلْ لعازر ليسوع: "ليس الآن، تعالَ ونادِني ثانيةً في العام المقبِل". لا، عندما يرنُّ صوت الله بقوةٍ كريمة خلَّاقة، لا يمكن حتَّى للموت أو عدم الإيمان أن يقاومَه.

ولا يُقاوم صوتُ الله؛ لأنَّه قويّ، ولأنَّه صوتُ المحبَّة.

هل ترى نمطًا رمزيًّا يتطوَّرُ هنا؟ هل يمكن أن يفعلَ الله أمورًا وسط الحقائق المادِّيَّة ليعلِّمنا شيئًا عن الحقائق الروحيَّة؟ إذا كانت كلمة الله تخلق على نحوٍ فعَّال في كلِّ مرَّة، فماذا برأيك سيحدثُ عندما يدعو يسوع الخطاة إلى المجيء إليه بالتوبة والإيمان؟ هل أصبحَتْ كلمتُه بغتةً أقلَّ فعَّاليَّة وقوَّة، لمجرَّد أنَّه يتحدَّث إلينا؟

أيضًا، إذا كانت كلمة الله تخلق فعليًّا في كلِّ مرَّة- "كلمتي...لا ترجِعُ إلَيَّ فارِغَةً"، كما نقرأ في إشعياء ٥٥: ١١- فماذا برأيك أنَّ على الكنائس أن تفعلَه عندما تجتمع؟ هل يجب أن تركِّز على الترفيه أم على الوعظ بالكلمة؟ أفترض أنَّ ذلك يعتمد على ما إذا كانوا يريدون خدمةً تهدفُ إلى تسلية الموتى أم خدمةً تهدف إلى إحيائهم. لاحِظْ ما يحدث مع هذه الأمثلة المختلفة التي أقدِّمها لك. قلتُ لك قصَّةَ الخلق، ثمَّ أشرتُ إلى كيفيَّة تطوُّر القصَّة. وبالقيام بذلك، يمكنُنا استخلاص استنتاجاتٍ لاهوتيَّةٍ نظاميَّة.

علاوةً على ذلك، نحن قادرون اليوم على تطبيق هذه القصَّة على حياتنا الشخصيَّة وعلى حياة كنيستنا أيضًا.

9Marks Online PDF

٣. يخلقُ الله لمجده

موضوعٌ آخرُ في قصَّة الخلق يجب أن نلاحظَه: أنَّ الله يخلق كلَّ شيء لمجده.

لم يكُنِ الله يحتاج إلى خلقِ أيِّ شيء. فلم تَكُن هناكَ حاجةٌ لِخلق أيِّ شيءٍ في هذا الكون. لكنَّ الله اختارَ بالمحبَّة والنعمة أن يخلقَ كلَّ شيء حتَّى يكون مجده فرحَ الآخَرين ومسرَّتهم. نقرأ في رؤيا ٤: ١١: "أنتَ مُستَحِقٌّ أيُّها الرَّبُّ أنْ تأخُذَ المَجدَ والكَرامَةَ والقُدرَةَ، لأنَّكَ أنتَ خَلَقتَ كُلَّ الأشياءِ، وهي بإرادَتِكَ كائنَةٌ وخُلِقَتْ". كم تسهل قراءةُ هذه العدد والتفكير: "خلقَ الله الأشياءَ لمجده. هذا منطقيّ، نذهب إلى الكنيسة كلَّ أحد ونرنِّم ونسبِّح. وهكذا فالله هو مركَزُ العبادة. هذا حَسَنٌ" لكنْ إذا توقَّفْنا عند هذا الحدّ، نكون قد فوَّتنا ما تقوله لنا هذه العقيدة حقًّا.

ارجعْ وانظرْ إلى القصَّة كلِّها ثانيةً. في سفر التكوين ١، قيل لنا إنَّ خلْقَ البشر كان مختلفًا عن بقيَّة المخلوقات. فبخلاف الحيوانات، خُلِقَ البشر– أي أنت وأنا– ليعكسوا سماتِ الله ومجده.

> "وقالَ اللهُ: نَعمَلُ الإنسانَ علَى صورَتِنا كشَبَهِنا، فيَتَسَلَّطونَ..."
> (تكوين ١: ٢٦).

لقد خُلِقَتْ حياتُنا والغرض منها هو أن تصوِّرَ مجد الله أو تعكسَه. لهذا السبب نحن موجودون. في الواقع، تدور كلُّ الأحداث من السقوط، وإعطاء الناموس، ومملكة داوُد، وسبي الشعب القديم، ومجيء المسيح– حول هذه القصَّة الخاصَّة، والتي جرى تلخيصها في رؤيا ٤. كلُّ الحياة وكلُّ التاريخ هو عن تمجيد الله. والسبب أنَّنا ما زلنا نتنفَّس اليوم هو تمجيد الله.

عندما أبني لاهوتيَ النظاميَّ على لاهوتٍ كتابيٍّ أشمل، فإنِّي أكتشفُ أنَّ العدد في رؤيا ٤: ١١ هو أكثر بكثيرٍ ممَّا أرنِّمه صباح الأحد أو ما سأرنِّمه في الأبديَّة. كلُّ شيء يتعمَّق ويتوسَّع، ويدمجُ كلَّ التاريخ وكلَّ حياتك وحياتي. هل يسيء إليك أنَّنا وكلَّ المخلوقات موجودون جميعًا لمجد الله؟ إنَّه بالتأكيد يتعارض مع كلِّ ما فينا.

لكنْ عندما نفهم أنَّ الله خلقنا لمجده دون مقابل، فإنَّنا ندرك أخيرًا أنَّ قصَّة الخلق هي في الأساس قصَّة حبّ. لم يكنْ على الله أن يخلقَنا، لكنَّه فعل. لم يكن عليه أن يخلقنا لنكونَ حاملين

9Marks Online PDF

لصورته، لكنَّه فعل أيضًا. وبقيامه بذلك، أعطانا قدرةً فريدةً على التمتُّع بالفرح في مجده، وهو أسمى وأجمل شيءٍ مرغوبٍ فيه يمكن تصوُّره. فالله نفسُه لا يحبُّ شيئًا أكثر من مجده. لا يوجد أمرٌ أفضلُ أو أسمى ليُحبَّ، وليس ثمَّة شيءٌ أجملُ للوقوع في حبِّه.

والمدهش أنَّ الله خلقَنا من هذه المحبَّة ذاتها، للمشاركة في مجده بصفتنا حاملين لصورته. وقِصصُنا جميعًا محمولةٌ بفعلِ قصَّة الحبِّ الأعظم تلك التي لن يُرى لها مثيل- قصَّة مجد الله الذي لا ينتهي والذي لا نظيرَ له.

٤. الخليقةُ باطلةٌ ومُحبطة من جهة غايتها، وهي خاضعةٌ للموت.

هناك موضوعٌ أخيرٌ أودُّ أن نلاحظه في قصَّة الخلق. إذا أرَدْنا أن نفهمَ هذه القصَّة، فعلينا أن نفهمَ تأثيرَ عصياننا فيها.

١. **بسبب الخطيَّة، باتَتِ الخليقةُ باطلةً ومحبطةً من جهة غايتها لإظهار مجد الله.** يقول بولس الرسول في رومية ٨: ٢٠:

> "إذ أُخضِعَتِ الخَليقَةُ للبُطلِ -ليس طَوْعًا، بل مِنْ أجلِ الّذي أخضَعَها- علَى الرَّجاءِ".

مَن أخضعَ الخليقة؟ الله هو مَن أخضعَها. ردًّا على خطيَّةِ آدمَ وحوَّاء، لم تَعُدِ الخليقة هي الحالةَ النقيَّة لمجد الله، بل صارت قصَّة الخلق هي سياق دينونتنا، كما صارت أحيانًا الوسيط لسخطِ الله علينا. لقد صارَ العالمُ مكانًا للشَّوك والحسك والكدِّ واليأس، وهو صورةٌ بعيدةٌ كلَّ البُعدِ من أن يكونَ امتدادًا لجنَّة عَدْن.

لكنَّ لعنة الله على الخليقة تتجاوز يأسَها من جهةِ تحقيق غايتها.

٢. **بسبب الخطيَّة، صارَتِ الخليقة معرَّضَةً للموت أيضًا.** وهذا بالضبط هو الحُكم الذي أصدرَه الله.

9Marks Online PDF

"...لأَنَّكَ تُرابٌ، وإِلَى تُرابٍ تعودُ" (تكوين ٣: ١٩).

ويعبِّر بولس الرسول عن هذا بالقَول:

"مِنْ أجلِ ذلكَ كأَنَّما بإنسانٍ واحِدٍ دَخَلَتِ الخَطيَّةُ إِلَى العالَمِ، وبالخَطيَّةِ الموتُ، وهكذا اجتازَ الموتُ إِلَى جميعِ النَّاس، إذ أخطأ الجميعُ" (رومية ٥: ١٢).

ليس عالَمَنا كما يُفترَض به أن يكونَ. لقد خلقَه الله ليكون مكانًا للفرح، لكنَّه صارَ مصدرًا للبُطلِ واليأس وخيبة الأمل. خلقَه الله ليكون مَوطِنًا للحياة، لكنَّه صارَ بَوتقةً يجتمعُ فيها الموت. خلقه الله ليكونَ بيتَنا، لكنَّه صارَ في الواقع قبرَنا.

نحن أمواتٌ روحيًّا، وسنموت جسديًّا. ولا يمكننا فعلُ أيِّ شيءٍ لتغيير ذلك. وليس ثمَّة مَن يقع عليه اللَّومُ سوانا. وهكذا كانت كلُّ هذه الأخبار السيِّئة مستترةً في تكوين الأصحاح ٣، بل ربَّما كانت أخبارًا صريحةً.

وبعد ذلك، تتطوَّرُ أحداث القصَّة متمحوِرةً حول موضوعات اليأس والموت مِرارًا وتَكرارًا فيما تمضي القصَّة قُدُمًا:

- يقتلُ قايينُ هابيلَ في تكوين ٤.
- يَهلِكُ العالم الذي كان في أيَّام نوح في تكوين ٦- ٨.
- يؤدِّي برج بابل إلى انقسامٍ وتشتُّتٍ في سفر تكوين ١١، وتدور العجلة على هذه الشاكلة.

في بعض النواحي، تركِّزُ قصَّة العهد القديم بمجملها على شرحِ خطيَّةِ الإنسانيَّة وعدم جدوى أيِّ حلٍّ لاحتضارِ الخليقة وخطيَّة البشريَّة، سواء كان الحلُّ أبراجًا أم أممًا قويَّة أم انضباطًا صارمًا للذَّات.

ونستخلصُ من كلِّ هذا استنتاجاتٍ للاهوتنا. إنَّه يساعدنا على فَهْمِ الطبيعة البشريَّة، وعدم جدوى العمل، ولا حتَّى التأثير الفاسد للسُّلطة. يمكننا التوصُّل إلى عقيدة الخطيَّة ببساطةٍ بالاطِّلاع على رومية ٣: ٢٣: "إذِ الجميع أخطأوا...". أليس هذا هو بيت القصيد والنتيجة الختاميَّة؟

9Marks Online PDF

تذكَّرِ الآنَ ما قلتُه في البداية عن حقيقة أنَّ الكتاب المقدَّس يمنحُنا فرصةً للسَّير جنبًا إلى جنبٍ مع الله والبشريَّة، لكي نتمكَّن من تعلُّم الماهيَّة التي يكون عليها الله، والماهيَّة التي نحن عليها؟ اقرأْ سِفرَ العدد وضَعْ نفسَك مكانَ الله بينما يشكو بنو إسرائيل مِرارًا وتَكرارًا ولا يثقون بالله عندما يُثبِتُ على الدَّوام أنَّه جديرٌ بالثقة. اقرأ التاريخ في سِفرَيِ الملوك الأوَّل والملوك الثاني، وشاهِدِ الأمَّة تنحرفُ مبتعدةً عن الله مِرارًا وتَكرارًا، في حين يرسل الله بمحبَّةٍ نبيًّا بعد آخر لتحذيرهم. إنَّ اتِّباعَ سَيرِ أحداث القصَّة على هذا النحو يعمِّق النتيجة النهائيَّة للاهوتك ويوسِّعها؛ لأنَّه يعمِّق فهمَك لله ولنفسك وللعالم حيث تعيش الآن. سترى الأنماط تبرزُ وتتكرَّر مِرارًا وتَكرارًا، وستغيِّر هذه الأنماطُ طريقةَ تفكيرك والطريقة التي ترى الأمور بها.

لذلك عندما يبلغ طفلك سنَّ الثانية، ويبدأ برَمْي الأشياء غضبًا عندما لا ينالُ ما يريده، قد تفكِّرُ في رومية ٣: ٢٣. لكنَّك ستفكِّر أيضًا في سفر العدد وآلاف السنين من تاريخ الشعب القديم، وستعرف ما وراء رومية ٣: ٢٣ وما يفعله طفلك بالضَّبط. إنَّه يمارسُ بصورةٍ ما عبادة الأوثان. وليس اسمُ الوثن "البعل"، لكنَّه قد يكون كذلك. دون شكّ، هذا مفيدٌ ليس فقط لشَرْحِ ما في داخل قلبِ طفلك ذي السنتَين، بل مفيدٌ أيضًا لشَرْحِ ما في داخل قلبك.

في الوقت نفسه، يقدِّم إلينا العهد القديم وعدًا بشأن الذي سيأتي ويحرِّر الخليقة من أسْرِ العبوديَّة. لقد وعَدَنا بوقتٍ يرعى فيه الذئب مع الحمل، والأسد مع العجل. ووعد بمَلكٍ سيأتي ليدخلَ هذه الخليقة الجديدة. كيف سيُحقِّقُ الملكُ هذا الخلاصَ العظيم؟

بسبب الخطيَّة، يموت الخالقُ بدلَ خليقته. بالنظر إلى الحجم الهائل للمشكلة، ليس مستغرَبًا أن يكون الملك المنتظَر هو الخالقَ نفسَه. واللافت للنَّظر أنَّ الملكَ الخالقَ يأتي ويموت ليأتيَ بالخليقة الجديدة.

ألم يكُنْ موتُه متوقَّعًا بتاتًا؟ ليس إذا كنتَ تقرأ كتابَك المقدَّس وفي ذهنك دراسة الرموز والأنماط. الفكرةُ قائمةٌ منذ البداية:

- ذبحَ الله الحيوانات ليستُرَ (يكفِّرَ عن) عُري آدم وحوَّاء.
- دعا الله إبراهيم للتضحية بابنه، لكنَّه يقدِّمُ كبشًا بعد ذلك.

9Marks Online PDF

- تركَ الله يوسفَ للموت، واستُخدِمَتْ "تضحيته" لخلاصِ العالم حينها.
- قُدِّمَ حمل الفصح لخلاصِ أبكار العبرانيِّين.
- قُدِّمت الذبائح بحسب سِفر اللاويِّين مِرارًا وتَكرارًا لمغفرة الخطايا.

كانت فكرة الاستبدال حاضرةً منذ البداية. والتطوُّر المذهلُ غير المتوقَّع في القصَّة هو أنَّ البديلَ الأخيرَ هو الخالقُ نفسُه. ما كُنَّا لنختلقَ مثلَ هذه الفكرة مهما حاوَلْنا.

يمكنني تقديم أمثلةٍ أكثر. لقد كان الله طَوالَ القصَّة، يعلِّمُ عن ذاته، وعنَّا، وعن الكيفيَّة التي سيتحقَّقُ بها الخلاص. كان في وُسعه أن يعطيَنا خلاصةَ القول لكنَّه لم يفعلْ؛ لأنَّه أراد أن يعطيَنا أكثر من ذلك بكثير– أراد أن يمنحَنا ذاتَه.

الخلاصة: هدفُ الخلق

كما قلتُ سابقًا، قصَّة الخلق هي حقًّا قصَّةُ حبّ. قصَّةُ العريس الذي لن يوقِفَه أيُّ شيء، حتَّى أن يبذلَ حياتَه للفوز بعروسه، وتقديمها لنفسه بهيَّةً ناصعةً طاهرة. تنتهي القصَّة مع العريس الذي يُعِدُّ منزلًا جديدًا للزوجَين الجديدَين– سماءً جديدةً وأرضًا جديدة. وبخلاف آدم مع عروسه، يَعِدُ هذا العريس بأنَّه سيستبعدُ من هذا المنزل الجديد أيَّ شيءٍ قد يُفسِد حبَّهما أو ينتقصُ منه.

في ذلك المكان، لن يكونَ هناك حزنٌ أو دموعٌ أو ألم؛ لأنَّه لن يكونَ شرٌّ أو خطيَّة. ستكون هناك المحبَّة فحسب، حيث يُظهِرُ المسيحُ وعروسُه مجدَ نعمة الله المخلِّصة، فيما يراقبُ الملائكةُ المشهدَ برهبة.

لم نصل إلى هناك بعدُ، لكنَّنا سنصل. هل تعيش من أجل هذا اليوم؟ هل ستُضَمَّن قصَّتك في تلك القصَّة؟ يمكن تضمينها فعلًا؛ فنعمة الله كافية، ودعوة محبَّته لا تُقاوم. صلُّوا لكي تكون لكم آذانٌ صاغيةٌ لسَماعِ صَوتِ محبَّة الله في المسيح. أيُّها القسّ، صلِّ أن تكون لشعبك آذانٌ صاغيةٌ لا تستريحُ إلى أن تتيقَّن بأنَّ الصوتَ الوحيدَ الذي يسمعونه من على منبرك هو هذا الصوتُ الفريد، صوتُ المحبَّة الذي لا يُقاوَمُ ولا مثيل له.

9Marks Online PDF

الفصل السابع

قصّة السقوط

لنفترضْ أنَّ صديقًا أو عضوًا في الكنيسة طرحَ عليك أسئلةً مثل:

ما الخلل في هذا العالم حتَّى إنَّ ابنةَ أخي مصابةٌ بالسرطان؟
لماذا يرتكبُ الناس أفعالًا سيِّئة، كالإرهابيينَ الذين نقرأ عنهم في الصحف؟
هل الناس في الأصل صالحون أم سيِّئون؟ أشعرُ بأنِّي صالحة، لكنِّي أمارسُ أحيانًا أفعالًا أندمُ عليها.
لمَ يموت البشر؟ أمِّي تُحتَضَر.
لماذا يبدو أنَّ ثمَّة القليل جدًّا من العدل الحقيقيِّ في هذا العالم؟ قرأتُ للتوِّ عن كلِّ هؤلاء الناس الذين يتضوَّرون جوعًا في بلدٍ أفريقيٍّ بسبب وجودِ حكومةٍ ظالمةٍ في السُّلطة.
هل يمكنني الوثوق بالله الذي تدَّعي أنَّه يحكمُ العالم؟

لاحِظْ أنَّ هذا الشخصَ يطرحُ أسئلةَ الإيمان، الأسئلة التي تساعده على معرفة ما نؤمن به بشأن الحياة هنا والآن. إنَّه لا يسألك فقط عمَّا يقوله الكتاب المقدَّس، بل يطلبُ إليك أن تتفاعلَ مع حياتِه، مع ما يهمُّه حقًّا. كيف نَصل ممَّا يقوله الكتاب المقدَّس إلى حيث تُعاش الحياة؟

9Marks Online PDF

يجيب الكتاب المقدَّس عن هذا النوع من الأسئلة بعباراتٍ واضحةٍ فيه هنا وهناك. لكنَّه يجيب في معظم الأحيان عن هذه الأسئلة بالتاريخ والنثر والشِّعر والنبوَّات، وغير ذلك. بكلماتٍ أخرى، لا يقدِّم إجاباتٍ فحسب، بل يقدِّمُ منظورًا جديدًا تمامًا إلى العالم. وهو يفعل كلَّ هذا بسَرْدِ قصَّة السقوط. ربَّما يكون الأمر مألوفًا لك، لكنْ فلأخبرْكَ به مرَّةً أخرى.

قصَّة السقوط

تبدأ قصَّة السقوط في جنَّة عَدْن. خلق الله آدم وحوَّاء، ووضعهما في عالمٍ مثاليٍّ ليكونا انعكاسًا لمجده. قدَّم إليهما كلَّ ما احتاجا إليه. أعطاهما عملًا هادفًا ممتعًا مشبِعًا، كما أعطاهما بعضهما بعضًا، وجعلهما حاكمَين على كلِّ الخليقة. كان هناك حدٌّ واحدٌ فقط على حرِّيَّتهما وسلطتهما: كان ثمَّة شجرةٌ واحدةٌ في جنَّة عَدْن لم يُسمَح لهما بالأكل منها: شجرة معرفة الخير والشرّ.

حينها دخلَ الشيطان في المشهد، وأغراهما ليفعلا الأمرَ الوحيد- الأمر الوحيد حقًّا- الذي لا ينبغي لهما فعلُه. وما حدثَ على نحوٍ لا يُصدَّق أنَّهما سقطا في حبائل مؤامرته. اختارا أن يعصيا الله. وبذلك، سقطا من حالةِ البراءة الأخلاقيَّة إلى حالة من الخزي والعار والدينونة.

يومَ تأكلُ منها...

تغيَّر كلُّ شيءٍ في الحال. بسبب قرارهما بالعصيان، أصدرَ الله حكمَه على آدم وحوَّاء. سيعمُّ الحياةَ الألمُ والكدُّ والحزن، فضلًا عن أنَّهما طُرِدا من الجنَّة ونُفِيا من منزلهما. ووُضِعَ ملاكٌ يحمل سيفًا ملتهِبًا عند مدخل الجنَّة للتيقُّن بعدم عودتهما حيَّينِ إليها. لكنَّ طردهما الفعليَّ هو ليس سوى مقدِّمةٍ إلى نفيٍ أعمقَ بكثيرٍ أثَّر ليس فقط فيهما، بل في كلِّ نسلهما. الآن أولئك الذين خُلقوا ليعيشوا إلى الأبد، والذين صُمِّموا للأبديَّة، كما علَّقَ توماس وولف تعليقَه المشهور، يخضعون للموت- المنفى الذي لا نهاية له أبدًا.

9Marks Online PDF

...موتًا تموت

مع استمرار أحداث القصَّة، نجد أنَّ عواقب عصيان آدم وحوَّاء أعمقُ ممَّا بدَتْ عليه في البداية. يولَد الأطفال، لكنَّهم لا يولَدون في حالة البراءة. كانت طبيعة آدم وحواء نفسها فاسدةً ملتوية. وصفها القدِّيس أغسطينوس بأنَّها "انقلابٌ على ذاتها"، بحيث لم تعُدْ طبيعتهما الآن تعكس مجدَ الله، بل صارت مشوَّهةً فاسدة. وهكذا انتقلَتْ هذه الطبيعة، مع ما يرافقها من ذنب، إلى نسلهما.

وبهذا لم يحدُثِ السقوط ببساطةٍ مرَّةً، ومضَتِ القصَّة قُدُمًا بعد ذلك. بل ما حدثَ هو أنَّ السقوطَ تعمَّقَ وتجذَّرَ فيما تستسلم الخليقةُ للموت والانحلال. وراحَتِ الأمور تتداعى، ولم يصمدِ المركَز.

تمكَّنَ الشيطان من قتلِ نفسَيْ آدم وحوَّاء.
قتل قايين فعليًّا أخاه هابيل.
تمكَّنَ الشيطان من دقِّ إسفينٍ ما بين آدم وحوَّاء.
تخلَّى لامك عن الاتِّحاد الزوجيِّ، واتَّخذ لنفسه زوجتَين.
قتل قايين أخاه بدافع الغَيرة.
قتل لامك لمجرَّد أنَّ شخصًا آخَر خدشَه.

واستمرَّتِ الحال على هذا المنوال، إلى أنَّ كثُرَ شرُّ الإنسان جدًّا حتَّى إنَّ "كُلَّ تصَوُّرِ أفكارِ قَلبِهِ إنَّما هو شِرِّيرٌ كُلَّ يوم" (تكوين ٦: ٥). وفي نهاية النطاق قرَّرَ الله أنَّه لا بدَّ من إدانة البشر الذين خلقَهم على صورته.

وتدورُ العجلة...

أرسلَ الله الطوفانَ لإهلاك البشريَّة، ولم يبقَ سوى نوحٍ وعائلته. ثمَّ نالَ العالمُ بدايةً جديدة. يبدو أنَّ نوحًا هو آدم الجديد. والمشكلة الوحيدة هي أنَّ الطبيعة الساقطةَ الموروثة ظلَّتْ في نوحٍ وعائلته. ومن جديدٍ ظهرتِ الخطيَّة من حيث توقَّفت وراحَ انتشارها يتسارَع. في نهاية المطاف،

9Marks Online PDF

عادَتِ البشرية من حيث بدأت تقريبًا. لقد عُدْنا إلى ليلةِ وقوع الطوفان. فهنا حَكَمَ الله على البشريَّة ليس بتدميرها كلِّها، بل ببَلْبَلَةِ ألسنة البشر في بابل بحسب تكوين ١١. وهكذا تشتَّتَ البشر على وجه المسكونة بعد أن انقسَموا بعضهم عن بعض، وتعمَّقتْ حالةُ نفيِ البشريَّة واغترابها. في هذا السياق، يدعو الله لنفسه شعبًا خاصًّا. بدءًا من إبراهيم، يفصل الله مجموعةً بشريَّةً لتكون شعبَه الخاصّ. كان عليهم أن يطيعوه ويعرفوه على أنَّه إلههم، لكنْ حتَّى هنا، ما يزال السقوط ملموسًا. اختار لوطُ وعائلتُه شرَّ سدوم وعمورة على المجتمع الإلهيِّ لإبراهيم. واختارَ عيسو وسائلَ الراحة في هذا العالم على وعود الله. أخيرًا، فإنَّ شعبَ العهد القديم تخلَّى عن الله وعبد الأوثان، حتَّى بعد أن خلَّصَه الله من العبوديَّة في مصر، ووعد بجلبِه إلى أرض الميعاد. لم يتمكَّنوا من الانتظار حتَّى نزول موسى من الجبل

وراحوا يمارسونَ عبادةَ الأوثان.

عُدْنا إلى جنَّة عَدْن من جديد. فلمَّا نزل موسى ورأى عبادة الأوثان، دعا اللاويِّين إلى جانبه عند باب المحلَّة. كانَ يجب أن تكون محلَّةُ بني إسرائيل مكانًا مقدَّسًا، جنَّةَ عَدْن حقيقيَّةً متنقِّلة. غير أنَّ الخطيَّة غزَتِ المحلَّة، تمامًا كما دخلَتِ الخطيَّة جنَّةَ عَدْن. وفي إشارة إلى السيف الملتهب في تكوين ٣، طلبَ موسى إلى إخوتِه اللاويِّين أن يجرِّدوا سيوفهم، وينطلِقوا في أرجاءِ المحلَّة وينفِّذوا دينونةَ الله.

وربَّما تظنُّ بعد هذا أنَّ شعبَ الله تعلَّم من تلك الحادثة. أو من الحادثة التي لم يُسمَح بها لأيٍّ من هذا الجيل بدخولِ أرض الميعاد، بل ماتوا في البرِّيَّة، لكنَّهم لم يتعلَّموا. وفي الأجيال اللاحقة، بدا أحيانًا كما لو أنَّ كلَّ جيلٍ جديدٍ يتنافس في الشرِّ مع الأجيال السابقة ليتجاوزَ شرَّها. ردًّا على ذلك، سُبِيَ الشعبُ أخيرًا من أرض الموعد، تمامًا كما نُفِيَ آدم وحوَّاء من الجنَّة منذ وقتٍ طويل.

بعد سبعين سنة، عادَتْ مملكة يهوذا (المملكة الجنوبيَّة) من السبي. ورغم أنَّ سبيَهمُ الجسديَّ قد انتهى، فمن الواضح أن سبيَهم الروحيَّ ظلَّ مستمرًّا. فلم يعُدِ الله يسكنُ في الهيكل، وظلَّ قدسُ الأقداس فارغًا. في النهاية، حتَّى الأنبياء صمتوا، وفي نهاية العهد القديم، بدا أنَّ شعبَ الله لم يكُنْ في حالٍ أفضلَ من الأمم. اليهود والأمم على حدٍّ سواء تحت تهديد دينونة الله. في الواقع، كانت الكلمات الأخيرة في العهد القديم صدًى لسفر التكوين ٣، محذِّرةً من أنَّ الله سيأتي ويضرب الأرضَ بلعنة.

9Marks Online PDF

نهاية السقوط

مع مطلع العهد الجديد، ظهرَ على الساحة نبيٌّ جديدٌ هو يوحنَّا المعمدان، وبدأ من حيث توقَّفَ ملاخي، محذِّرًا الناس من الدينونة الآتية. لكنْ بدا أنْ لا أحدَ يُصغي. أرسل الله ابنه، يسوع، الذي سارَ في حياةٍ من المحبَّة والطاعة الكاملتَين، حياةٍ لم تُسِئ إلى أحد. غير أنَّ البشريَّة صارت شرِّيرةً حتَّى إنَّ اليهود والوثنيِّين تآمروا معًا على قَتْلِ الإنسان الوحيد الذي لم يستحقَّ الموت. سمَّروه على الصليب، وأعلنوا أنَّ ملكَهم الوحيدَ هو قيصر.

حدث هذا قبل نحو ألفَي عام. ومنذ ذلك الحين، توسَّعَ فسادُ البشريَّة وشرُّها توسُّعًا أكبر وبكفاءةٍ أعظم. لكنْ لم يتغيَّرْ أيُّ شيء على أرض الواقع. كلُّ الحروب، بما في ذلك تلك الجارية اليوم، وكلُّ الاعتداءات والقتل، والعبوديَّة، والإبادة الجماعيَّة التي ميَّزت القرن الماضي، وإساءة معاملة النساء والأطفال لأغراض الإشباع الجنسيّ، وحتَّى عدم المبالاة القاسية التي يفرضُها الأغنياء على الفقراء– كلُّ ذلك كان امتدادًا على أوَّلِ عصيانٍ للاستقلال عن الله.

ماذا ستكون نهاية السقوط؟ ما نهاية هذه القصَّة؟ في سفر الرؤيا ١٨ نرى نهاية السقوط. إنَّه يومٌ في المستقبل سيخضعُ فيه هذا العالم للحكم النهائيِّ لله، ولن يخرجَ عنه ثانيةً إلى الأبد. أولئك الذين اختاروا عبادة الأوثان بدلَ عبادةِ الله، سيُتركون خارج السماء، وسيستمرُّ الألم المعذِّب لـمَنفاهم في الجحيم إلى الأبد.

الأنماط في الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة

هذه هي قصَّة السقوط كما يرويها الكتاب المقدَّس، وهي قصَّةٌ واقعيَّة. لكنْ قبل أن نفكِّر في ما يعنيه السقوط وكيف ينطبق على حياتنا وخدمتِنا، نريد أن نفكِّرَ ثانيةً في ما يمكننا أن نتعلَّمَه من كيفيَّة سردِ القصَّة. ما الأنماط التي نراها في هذه القصَّة؟

أوَّلًا، توجد هنا أيضًا أنماطُ البنية السرديَّة والوعد وتحقيق الوعد والعهد ودراسة الرموز التي حدَّدتُها في قصَّة الخلق. لن أدرسَ كلَّ هذه. لكنِّي أريد أن أشيرَ إلى أنَّ السقوطَ يمثِّل أحد أهمِّ

9Marks Online PDF

الانقسامات في التاريخ، ونحن جميعًا نقف في الجانب الخاسر بعد هذا الانقسام. أشياءُ كثيرةٌ تحدثُ في الكتاب المقدَّس ليس لها تأثيرٌ عالميّ. غير أنَّ السقوط ليس بينها.

ثانيًا، نرى نمطًا من أسباب السقوط.

من جهة، جرى التحريض على السقوط بفعل حقدِ الشيطان وخداعه. منذ البداية، يوضِّح الكتاب المقدَّس أنَّ للشَّيطان عداءً قويًّا تُجاهَ الله، وكراهيةً لا تنتهي للبشريَّة، وهو لم يوقِفْ عملَه المتمثِّل في الخداع والإغواء.

من جهةٍ أخرى، اختارَ آدم وحوَّاء السقوطَ بحرِّيَّةٍ تامَّة. كان مخطَّطُ الشيطان جريئًا مثلما كان زائفًا: "بل اللهُ عالِمٌ أَنَّهُ يومَ تأكُلانِ مِنهُ تنفَتِحُ أعيُنُكُما وتَكونانِ كالله عارِفَينِ الخَيرَ والشَّرّ". لم يكتفِ آدم وحوَّاء بأن يكونا مجرَّد مخلوقَين، ولا اكتفيا بأن يكونا فقط في علاقة بالله، ما يعكس مجدَ الله، بل أرادا أن يكونا مثل الله. أرادا أن يكونا إلهَيَ نفسَيهما، ولم يكنْ هذا عصيانًا عاديًّا. مع توالي أحداث القصَّة، ندرك أنَّ رغبتَيهما هي نوعٌ من الوثنيَّة: أن يستبدلا بالخالقِ المخلوقَ ليكونَ مركزَ ولائنا وشوقنا وعبادتنا. ومع كلِّ سقوطٍ أصغر بعد ذلك، نرى الأمر نفسه. من بابل إلى العجل الذهبيّ، ومن عصيان موسى إلى سقوط داوُد، نرى الرغبة في وَضْعِ قواعدنا والوصول إلى مجدنا الذاتيّ. السقوط هو حدثٌ تاريخيّ، لكنَّه أيضًا نمطُ حياتنا.

ثالثًا، نرى نمطًا من التأثيرات جرَّاء السقوط.

التأثير ١: نحن مطرودون من محضر الله. في البداية نحن لسنا واثقين تمامًا بشأن سببِ ذلك. لكنْ مع توالي أحداث القصَّة، نعلَمُ أنَّ الله قدُّوس، ونعلمُ هذا لا سيَّما في التوراة. لا يستطيع الله أن يتسامح مع الخطيَّة في محضَره، ولا يمكنه أن يسمح للخطيَّة بأن تمرَّ دون عقاب.

التأثير ٢: نحن أيضًا فاسدون في طبيعتنا، والتي تصبح من جديدٍ أوضَحَ مع تطوُّر الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة. وقد أثبتَ قايين ذلك، وأثبتَه برج بابل، وأثبتَه شعب العهد القديم مع كلِّ البركات التي نالَها من الله. ليسَتْ مشكلةُ الخطيَّة في الأصل مشكلةَ سلوكٍ أو تدريب، بلِ الأمرُ أكثر تطرُّفًا؛ إذ إنَّ المشكلة هي قلوبنا. قال ناظم المزمور ٥١: "هأَنَذا بالإثمِ صوِّرتُ، وبالخَطيَّةِ حَبِلَتْ بي أُمِّي"

9Marks Online PDF

(مزمور ٥١: ٥). إنَّنا نَخرجُ من الرَّحِم خطاةً، ويعني هذا أنَّنا لسنا خطاةً لأنَّنا نخطئ، بل نحن نخطئ لأنَّنا خُطاةٌ بطبيعتنا!

رابعًا، نرى نمط التقدُّم في السقوط.

يتَّضح من القصَّة أنَّ السقوط لم يكنْ مجرَّدَ حدثٍ وقعَ مرَّةً واحدة. بعد الحريق الهائل في شيكاغو عام ١٨٧١م، أُعيد إعمار المدينة. لكنْ بعد آلاف السنين، ما زلنا لم نتعافَ من السقوط الذي وقع في بدايات الخليقة.

يُضاف أنَّ السقوط يسوءُ أكثر فأكثر وليس ثابتًا. لم تصرِ الأمورُ فقط من جيِّدٍ إلى سيِّئ، بل هي مستمرَّةٌ في التدهوُر. لا تظلُّ الأمور على حالها، كما أنَّها لا تتحسَّن. إنَّها أشبَهُ بمرضٍ قاتلٍ يبدأ في وقتٍ ما، غير أنَّه يتقدَّمُ بعد ذلك وينطلقُ في مساره المدمِّر على نحوٍ متزايِد.

قبل أن نجيبَ عن الأسئلة التي بدأنا بها هذا الفصل، لاحِظِ الكيفيَّة التي نبحثُ بها عن إجابات. إنَّنا ننظرُ إلى الشخصيَّات والحبكِ الدراميِّ للقصَّة، ونتفكَّر في كيفيَّة تطوُّرها. نحن نفترض الآتي: رغم أنَّ القصَّة تمتدُّ لآلاف السنين، وكتبها بشرٌ عدَّة، فهي قصَّةٌ كُبرى واحدة، مؤلِّفُها إلهيٌّ واحد. لذلك نحن نولي اهتمامًا لأنماطها ودوراتها بكلماتِ مؤلِّفين بشريِّين عدَّة. ونحن حريصون على معرفةِ موضعنا في القصَّة قبل أن نستخلصَ أيَّ استنتاجاتٍ صعبةٍ سريعة.

وضْعُ كلِّ شيء في إطارٍ نظاميّ

فلنعُدْ إلى أسئلة الصديق الافتراضيِّ في بداية هذا الفصل. سواء عرفَ هذا الصديقُ أم لم يعرفْ، فقد كان يطرحُ أسئلةً عقائديَّة. كان يسأل عمَّا يعنيه الكتاب المقدَّس لفَهْمِ العالم اليوم. هدفُنا هو مساعدتُه، ومساعَدةُ آخَرين على رؤية منظورِ الله عن الله، وعن نفسه، وعن العالم من حوله.

ويمكننا أن نجيبَ بمسؤوليَّةٍ فقط بالاهتمام بتفاصيل القصَّة كلِّها. واستنادًا إلى القصَّة والأنماط التي لاحَظْناها، سأجرِّبُ توضيح بعض الدروس الأساسيَّة التي تعطينا منظورَ الله بشأن أسئلة الصديق.

9Marks Online PDF

١. نحن لا نعيش في عالمٍ محايدٍ روحيًّا

هذا العالم وحياتنا هما ساحة معركة، وليسا ملعبًا. وحيث إنَّ الشيطانَ كذَّاب منذ البدء، فإنَّه سيخدعنا لنظنَّ أنَّه لا يوجد شيء خاطئ، على الأقلِّ لا يوجد ما لا يمكننا الاعتناء به. كان سيجعلنا نعتقد أنَّنا أفضل حالًا دون الله، وأنَّ ما يخدمُ مصالحَنا الفُضلى هو متابعة رغباتنا وتوسيع حرِّيَّتنا كلِّ ما من شأنه أن يمنعنا من تحقيق تلك الرغبات. لقد كذبَ الشيطانُ في ذلك اليوم الذي أغوى فيه آدمَ وحوَّاءَ، وما زال يكذب اليوم. ينوي الشيطان عبوديَّتنا، لا حرِّيَّتنا، كما لا ينوي تحسين حياتنا، بل يبتغي تسريعَ موتنا.

إنَّ علينا أن نحذِّرَ الناس من عدم الانجرار إلى شعورٍ زائفٍ بالسلام في هذا العالم؛ فالسلام الذي يشعرون به ليس سلامَ جنَّة عَدْن، بل سلامُ المشرحة. يجب أن تكون آذاننا مشبَّعة بالكتاب المقدَّس، وأن تُشكَّلَ عقولنا بالمنظور الذي أسَّسَه الكتاب المقدَّس، حتَّى نميِّزَ الكذبة عندما تهمس بهدوء وعذوبةٍ في آذاننا.

٢. ليس الله مسؤولًا أخلاقيًّا عن هذا العالم الساقط، بل نحن مسؤولون عنه.

يميل الكثيرون إلى إلقاء اللوم على الله بسبب الفوضى التي يسير فيها هذا العالم. أفهمُ هذا الشعور، لكنَّ علينا أن نعرف أنَّ هذا ليس سوى كذبةٍ أخرى من أكاذيب الشيطان الخفيَّة، وَفقًا للكتاب المقدَّس. خُلِقَ آدم وحوَّاء بطريقةٍ تمكِّنهما من قول لا للخطيَّة وتجربة الشيطان، وكانت لديهما المساعدة الطبيعيَّة، وكلُّ المساعدة التي يمكن أن يطلبَها أيٌّ منَّا. لقد كانا في جنَّة عَدْن، وكانا بعضهما لبعض. كان لديهما أمرٌ واضحٌ سهلُ الفهم لا لبْسَ فيه من الله. لم يكن من الصعب أن يفهماه، واختارا أن يُخطِئا بحُرِّيَّةٍ تامَّة. هذا صحيح. الشخصان اللذان كانا يمثِّلان أرفَعَ مثالَين للجنس البشريِّ عاشا يومًا، وتسبَّبا في فوضى تامَّةٍ مطلَقة.

وينبغي أن يقودَنا هذا الإدراك إلى تواضُعٍ عميق. ليس الأمرُ سوى غَطْرسةٍ تهمسُ في القلب: "لو كنتُ هناك، لتصرَّفتُ على نحوٍ أفضلَ منهما. لاتَّخذتُ خِيارًا مختلفًا". لا، بالتأكيد لن تكونَ أفضلَ منهما. نحن في هذه الفوضى؛ لأنَّنا وضَعْنا أنفسنا هناك. وهكذا عندما نشهد

9Marks Online PDF

خطيَّةَ شخصٍ آخَر، فإنَّنا نعرف كما قال لوثر: "لولا نعمة الله، لكنتُ مثل هذا الشخص في الموقفِ ذاته".

٣. يفعلُ الناسُ أشياءَ سيِّئة لأنَّهم يريدون أن يكونوا مكانَ الله، والله هناك ليَدينَهم.

مثل آدم وحوَّاء، تكون الغاية الحقيقيَّة لعبادتِنا في معظم الأحيان ليس كائنًا هناك في عُلاه، بل يكون كائنًا مخلوقًا بيننا هنا. في النهاية، تتمحور عبادتي الوثنيَّة حولي أنا. علاوةً على ذلك، إذا كان في وُسعي إقناعك أو التنمُّر عليك أو التلاعب بك، فإنَّ عبادة الأوثان ستشمل عبادتك لي أيضًا.

ما دُمنا نفكِّرُ في الخطيَّة على أنَّها انتهاكٌ عاديٌّ للقواعد، فلن نفهمَ بتاتًا مدى فداحتها، والإساءة التي لا تُصدَّق الموجَّهة نحو الله، كما لن نفهمَ عدالة ردِّه. في الأساس، ليسَتِ الخطيَّة متعلِّقةً بسلوكنا، مع أنَّها تَظهر في النهاية في أفعالنا. في الأساس، الخطيَّة مرتبطةٌ بقلوبنا؛ لأنَّ رغبتَنا المسيطرة علينا، نحن المخلوقات الساقطة، هي إزاحةُ الله عن عرشه، والجلوس على العرش بدلًا منه.

لو لم يكن الأمر مدمِّرًا حقًّا، لكانَ مثيرًا للضحك، مثل طفل يلعب لعبة ارتداء الملابس في خزانة والده. لو لم يكن الأمر شرِّيرًا، لكانَ مثيرًا للشَّفقة، غير أنَّ عبادة الأوثان ليسَتْ مضحكةً ولا مثيرة للشفقة؛ لأنَّ آثارها مدمِّرة، والمسار الذي تسلكُه مسارٌ مرعِب. ليسَتِ الخطيَّة مسألةً تافهة، ولا توجد كذبةٌ أكثر فتكًا من هذه يريدك الشيطان أن تصدِّقها.

٤. الله قدُّوس، ولا علاقة له بالخطيَّة

لن يحظى الناس بالمساعدة إذا كان وعظنا وكنائسنا تسمح للنَّاس بالتفكير في الله بحسب رغبتهم. على الناس أن يفكِّروا في الله وَفقَ حقيقته: إلهٌ قدُّوس يَدينُ الخطيَّة بالعدل. هذا هو السبب في أنَّ العهد الجديد يأخذ على محمَلِ الجِدِّ سِمةَ شركتِنا في الكنيسة المحلِّيَّة. يسأل بولس الرسول في ٢كورنثوس ٦: ١٤: "...أيَّةُ خُلطَةٍ للبِرِّ والإثمِ؟ وأيَّةُ شَرِكَةٍ للنُّورِ مع الظُّلمَةِ؟". ليسَتِ المسألة أنَّ بولس الرسول لم يرغبْ في أن يتحدَّث المؤمنون إلى غير المؤمنين، بل على العكس تمامًا.

9Marks Online PDF

في كلِّ محادَثة، وفي كلِّ تفاعلٍ ولقاء، أراد غير المؤمنين أن يرَوا الفرقَ ما بين الكنيسة والعالم، حتَّى تكونَ شخصيَّة الله معروفةً مبيَّنةً بدقَّة. تتمثَّل إحدى نقاط التطبيق الواضحة هنا في توخِّي الحذر في ممارسات عضويَّتنا. عندما نعترف بشخصٍ ما في الكنيسة لا يقدِّم سوى القليل من الأدلَّة على أنَّه نال التجديد، أو عندما نسمح لشخص ما بالاستمرار في العضويَّة رغم الخطيَّة المستمرَّة التي لا يتوبُ عنها، فإنَّنا نطمس الخطَّ الفاصلَ ما بين العالم والكنيسة، ويبهتُ مجد الله في محاولتنا أن نُبيِّنَه.

٥. لا يوجد جانبٌ في حياتنا لا يتأثَّر بالخطيَّة؛ فنحن مستعبَدون لها

لا يعني هذا أنَّ الكتاب المقدَّس يعلِّمُنا أنَّنا أشخاصٌ غايةٌ في السوء. بل يعني أنَّه لا يوجد أيُّ جانبٍ في حياتنا، أو جانبٍ في تفكيرنا ورغباتنا، أو سلوكنا لم تلطِّخْه الخطيَّة. حتَّى أفضل أعمالنا، كما يقول إشعياء، هي كالخِرَقِ الباليةِ القذرة؛ لأنَّها تأتي من قلوبٍ مكرَّسةٌ لمجدِنا بدلَ مجدِ الله (إشعياء ٦٤: ٦).

يساعدنا هذا أيضًا على فَهْمِ ما يعنيه الكتاب المقدَّس عندما يقول إنَّنا عبيدٌ للخطيَّة، وهي صورة يستخدمها بولس الرسول في رسالة رومية، الأصحاحَين ٦ و٧. بعض الناس مولَعون بمناقشةِ ما إذا كانت لدينا إرادةٌ حرَّةٌ أم لا. وجواب الكتاب المقدَّس هو أنَّه يعتمد على معنى كلمة "حرَّة". إذا عنيْتَ بها أنَّنا نفعل ما نريد فعلَه، وأنْ لا شيء يُجبرُنا على الإيمان أو التصرُّف بخلاف إرادتنا، فإنَّ إجابة الكتاب المقدَّس هي "نعم". وإرادتنا حرَّةٌ دائمًا في التصرُّف وَفقًا لطبيعتها. ولكنْ إذا قصدْتَ بكلمةِ "حرَّة" أنَّ إرادتنا محايدةٌ أخلاقيًّا نوعًا ما، وتتسامى على النزاعات، وأنَّها قادرةٌ على الاختيار ما بين الخير والشرِّ على أساس سماتها، بغضِّ النظر عن الاستعداد أو الدافع، فإنَّ الإجابة هي "لا" بوضوحٍ لا لبْسَ فيه. طبيعتنا فاسدة، وكما يقول بولس الرسول، إنَّنا مَبيعون عبيدًا للخطيَّة، ولا يمكننا أن نختار ألَّا نكونَ خُطاةً أكثر ممَّا في وُسع السمكة أن تختار ألَّا تسبح. إنَّها طبيعتنا.

9Marks Online PDF

ولهذه العقيدة من عبوديَّة الإرادة (أو فساد البشريَّة) آثارٌ هائلةٌ في كرازتنا. فبخلاف ما يعتقده كثير من الناس، فإنَّه لا يودي بنا إلى التخلِّي عن الكرازة. بل يقودنا إلى التخلِّي عن ممارسات التلاعُب من أجل استثارةِ قرارِ أَحَدِهِم بأن يؤمن. إنَّه يشجِّعنا على مشاركة الأخبار السارَّة، ومن ثَمَّ الصلاة أن يغيِّر الله القلب بالوعظ بكلمته بقوَّة روحه. في نهاية المطاف، فهمُ عدم قدرتنا على اختيار الله إلَّا إذا اختارنا الله أوَّلًا يحرِّر الكارزَ لينطلقَ للكرازة، ويترك لله مسألةَ اهتداءِ البشر (تحوُّلهم إلى الإيمان).

لا يمكننا تخليصُ أنفسنا، بل نحن نحتاج إلى مخلِّص.

نحتاجُ إلى أكثر من برنامجٍ للمساعدة الذاتيَّة، وإلى شيء راديكاليَّ أكثر بكثيرٍ من بعض التغيير الذي يساعدنا على تقويم حياتنا. تجعل برامجُ المساعدة الذاتيَّة وعمليَّات التجديد العبيدَ أجمل وأكثر أناقة. وما نحتاج إليه هو الحرِّيَّة. نحتاجُ إلى طبيعةٍ جديدةٍ تتحرَّرُ من فسادِ الخطيَّة وعبوديَّتها. ولا يمكننا أن نصلح أنفسَنا أكثر ممَّا يستطيع العبد أن يحرِّر ذاتَه. لا بدَّ أن يُحَرَّرَ العبد لينالَ حريَّتَه، وينسحبُ الأمرُ ذاته علينا.

ولهذا تطبيقٌ على كلِّ شيءٍ من الكرازة والوعظ، إلى فَهْمِنا للحياة المسيحيَّة. ويعني هذا أنَّ الاهتداءَ وقبول الإيمان هو عملُ الروح القدس الذي يغيِّر طبيعتنا، وليس نتيجةً لباحثٍ يتَّخذ قرارًا. أي أنَّ المؤمنين الحقيقيِّين بالمسيح لديهم طبيعةٌ جديدةٌ وحياةٌ جديدةٌ تبدو مختلفة عن العالم من حولهم، وهي طبيعة تقول "لا" للخطيَّة. ومعنى ذلك أيضًا أنَّ الحياة المسيحيَّة هي حياةُ صراع، والطبيعة الجديدة تحارب القديمة.

ويُسمِّي الكتاب المقدَّس هاتَين الطبيعتَين "الإنسان العتيق" و"الإنسان الجديد"، وهما في صراعٍ مميت بعضهما في مواجهة بعض. وأعتقد أنَّنا غالبًا ما نشعر بالإحباط من استمرار هذه الحرب، لكنَّ ما علينا فهمُه هو أنَّ رَحى هذه الحرب لا تدور في قلبِ شخصٍ لم يولدْ ولادةً جديدة؛ فالصراع مع الخطيَّة هو أحد أفضل الأدلَّة على أنَّ شخصًا ما قد نالَ حياةً روحيَّة. هذه هي وجهة نظر بولس الرسول في رومية الأصحاح ٧.

9Marks Online PDF

فبدلَ التظاهُر بعدمِ وجودِ نزاع، يجب أن تكون كنائسُنا أماكنَ تشجِّع أن يكون هناك اختلاف. وبدلَ إطلاق النار على الجرحى، يجب أن تكون كنائسنا أماكنَ تضمِّدُ جراح المصابين جرَّاء القتال. والأهمُّ أن تكونَ كنائسُنا جماعاتٍ تحملُ رجاءَ المسيح، الذي يستطيع وحدَه أن يحرِّرنا من جسد الموت هذا.

سيستردُّ الله العدلَ إلى الكون بدينونةِ الخطيَّة

يقول يسوع المسيح إنَّ يوم الدينونة موضوعٌ في ذهنِ الله. وتوصَفُ رؤيا ذلك اليوم التي أُعلِنَتْ في رؤيا ١٨ بأنَّها رهيبة. ولا ينتهي السقوط بإعادة التأهيل أو الإصلاح المتدرِّج حيث تتحسَّن الأمور ببطء في رؤيةٍ لا تنتهي للتقدُّم. لا، سيأتي السقوط إلى الدينونةِ الأخيرة. وإذ تُصوِّرُ الخليقة الخاطئة على أنَّها مدينةٌ عظيمة، فإنَّها تقعُ تحت دينونةِ الله، ولن تقومَ يومًا.

> "ورَفَعَ مَلاكٌ واحِدٌ قَويٌّ حَجَرًا كرَحًى عظيمَةٍ، ورَماهُ في البحرِ قائلًا: «هكذا بدَفعٍ سترُمَى بابِلُ المدينةُ العظيمَةُ، ولَنْ توجَدَ في ما بَعدُ. وصوتُ الضَّارِبينَ بالقيثارَةِ والمغَنِّينَ والمزَمِّرينَ والنَّافِخينَ بالبوقِ، لن يُسمَعَ فيكِ في ما بَعدُ. وكُلُّ صانِعٍ صِناعَةً لن يوجَدَ فيكِ في ما بَعدُ. وصوتُ رَحًى لن يُسمَعَ فيكِ في ما بَعدُ. ونورُ سِراجٍ لن يُضيءَ فيكِ في ما بَعدُ. وصوتُ عَريسٍ وعَروسٍ لن يُسمَعَ فيكِ في ما بَعدُ. لأنَّ تُجَّارَكِ كانوا عُظَماءَ الأرضِ. إذ بسِحرِكِ ضَلَّتْ جميعُ الأُمَم»" (رؤيا ١٨: ٢١– ٢٣).

وستكون هذه الدينونة ليس فقط نهائيَّة، بل ستكون عادلةً أيضًا. ويخبِرُنا الأصحاح نفسُه أنَّ الله سيذكرُ جرائمَ هذا العالم الوثنيّ، وسيحاسبُه على جرائمه. سيعطي كلًّا منَّا ما يستحقُّه تمامًا.

فكيف نجيب صديقنا الذي تساءَلَ عن السرطان والموت والإرهاب؟ كيف نردُّ على الصديق الذي يشعر بالقلق جرَّاء التدهور البيئيِّ أو الانهيار الاقتصاديّ؟ ماذا نقول عندما يسألنا الناس عن سبب عدم وجودِ عدالةٍ في العالم؟

9Marks Online PDF

إذا أرَدْنا أن نتجنَّبَ الأمرَ ونَروغ منه، بينما نبدو صادقين فكريًّا، فإنَّنا نسلك الطريقَ المفتوحَ للإيمان بالألوهيَّة: ندَّعي أنَّ الله لم يقصدْ أن يكونَ الوضع هكذا، وأنَّه لم يكنْ يعرفُ أنَّه سيحدث بهذه الطريقة. إذا أرَدْنا تجنُّب المسؤوليَّة تمامًا، فإنَّنا نُلقي باللوم كلِّه على شخصٍ أو شيءٍ آخر: الشيطان، الرأسماليَّة، الشيوعيَّة، الحركة النسويَّة، الأبويَّة، الجمهوريِّين، الديمقراطيِّين...إلخ.

لكنْ إذا أرَدْنا أن نكونَ مُنصِفين للكتاب المقدَّس، وصادقين مع صديقنا، فسنقول الأمورَ كما هي (دون تجميل). لم يخلقِ الله العالم ليُخرَبَ بأشياءَ كالسرطان والإرهاب، لَكنَّه لَعنَ العالمَ الحَسَنَ الذي صنعَه. لماذا يفعل شيئًا كهذا؟ لماذا يقضي بوجودِ أمورٍ كالسرطان، والأمَّهات اللاتي يمُتْنَ في سنٍّ باكرة؟ لماذا يلعن الأرض، بحيث تذبل المحاصيل، وتدمِّر الزلازل المدن؟ لقد فعل ذلك بسبب خطيَّتنا. ولا يعني هذا أنَّ السرطان هو دينونةٌ محدَّدةٌ بسبب خطيَّةٍ معيَّنة. بل هو أن نعترف بأنَّنا جميعًا نصَّبْنا أنفسنا كآلهةٍ بدلَ الله، وبذلك نكون قد جلَبْنا على أنفسنا غضبَه العادل. لقد لعن الله هذا العالم بسببنا، ليس ثمَّة مَن نلومه سوى أنفسِنا.

لكنَّ هذا ليس كلَّ ما لدينا لنقولَه ردًّا على مثل هذه الأسئلة. ثمَّة جانبٌ واحدٌ مهمٌّ للقصَّة لم نفكِّر فيه بعد، وهذا الجانب هو ما يسمح لنا بشَرْح أسباب إمكانيَّة الثقة بالله الذي نخضع لحُكمه، في خِضَمِّ عالمٍ ساقط.

الخلاصة: علاجُ السقوط

عندما نفهم قصَّة السقوط (وليس قبل ذلك)، نفهم سبب كونِ الرسالة المسيحيَّة هي أخبارًا سارَّة. في بشارة الإنجيل، حقَّق الله إنجازًا بعلاجٍ للسُّقوط، خلاصٍ من هذا الانحدار المرعب المتسارع إلى الجحيم.

وهذا العلاج هو يسوع. في متَّى ٤، نرى شيئًا خارجًا تمامًا عن المألوف. لقد أصبح ابنُ الله إنسانًا. ومثل آدم قبل السقوط، لم يولَدْ يسوع في الخطيَّة، بل حُبِلَ به بواسطة الروح القدس. وكما هي الحال مع آدم قبل السقوط، كان يسوع مدعوًّا إلى طاعة الله في مواجهة تجرِبةٍ شيطانيَّةٍ غير اعتياديَّة. لكنْ هنا تنتهي أوجُهُ التشابُهِ مع آدم. فبينما وقفَ آدم في جنَّةِ عدْن شبعانًا، وقف يسوع

9Marks Online PDF

في البرِّيَّة التي طُرِدْنا إليها جائعًا بعد صومٍ دام أربعين يومًا. وفي حين نالَ آدم مساعدةً من زوجة، وقفَ يسوع وحده. وفي حين كانت لآدم وصيَّةٌ واحدةٌ فقط ليُطيعَها، كان لدى يسوع الناموس كلُّه ليحفظَه ويُكمِّلَه.

بدءًا من هناك في البرِّيَّة، مرورًا بطول الطريق قبل الوصول إلى الجلجثة، فعلَ يسوع ما فشل آدم في تحقيقه. لقد قاومَ إغواء الشيطان بتمجيد نفسه بشروطه الخاصَّة، سواء كان ذلك بتحويل الحجارة إلى خبزٍ أم بالنُّزول عن الصليب. اختارَ يسوع بحرِّيَّةٍ أن يطيعَ الله، حتَّى الموت (يوحنَّا ١٠: ١٨). قال: "لتكُنْ لا إِرادَتي بَلْ إِرادَتُكَ".

بخلاف آدم، لم يسعَ يسوع وراء مجده، بل وضعَ ذلك جانبًا من أجل تمجيد أبيه. المفارَقة عميقةٌ غنيَّة؛ لأنَّ يسوع كان الله في جوهره، بخلافِ آدم. كان ليسوعَ كلُّ الحقِّ في السعي وراء مجده. لكنْ كما نقرأ في رسالة فيلبِّي ٢: ٦– ٧، فإنَّ يسوع "...لم يَحسِبْ خُلسَةً أنْ يكونَ مُعادِلًا لله. لكنَّهُ أخلَى نَفسَهُ، آخِذًا صورَةَ عَبدٍ، صائرًا في شِبهِ النَّاس". ثمَّ حملَ خطايانا وعانى دينونةَ الله بفعلِ ذلك. لم يكنْ يستحقُّ تلك الدينونة، غير أنَّه عانى ذلك نيابةً عن الذين استحقُّوها.

لقد واجهَ يسوع على الصليب سيفَ الله الملتهب الذي كان يحرسُ طريق العودة إلى جنَّةِ عَدْن ومحضر الله، وسارَ في كلِّ ذلك باذلًا حياتَه ثمنًا. لقد فعل ذلك حتَّى يجدَ أيُّ تائبٍ عن عبادة الأوثان يقبلُ الإيمانَ بالمسيح مغفرةَ الخطايا والمصالَحة مع الله. فعل ذلك حتَّى يستطيع أن يرحِّبَ بنا في بيتنا السماويّ.

يقول بولس الرسول في رومية ٥: ١٥: "...إنْ كانَ بخَطيَّةِ واحِدٍ ماتَ الكَثيرونَ، فبالأولَى كثيرًا نِعمَةُ الله، والعَطيَّةُ بالنِّعمَةِ التي بالإنسانِ الواحِدِ يَسوعَ المَسيحِ، قد ازدادَتْ للكَثيرينَ". هذه الهبة هي مقابل اللعنة: الغفران بدلَ الدينونة، والحياة بدلَ الموت، والمصالحة بدلَ الطردِ من محضرِ الله.

هنا هو الجواب عن الطريقة التي يمكننا بها أن نثقَ بالله في مواجهة الكثير من الشرِّ والمعاناة في هذا العالم. هنا الجواب عن الطريقة التي يمكننا بها أن نثقَ بالله الذي لعنَنا بسبب خطايانا. إنَّه الإله ذاته الذي عانى لأجلنا ليهزمَ الشرَّ والخطيَّة، وهو الإله ذاته الذي حملَ اللعنة من أجلنا، لنعرفَ بركتَه.

9Marks Online PDF

فكِّرْ في مدى روعة هذا. لم يكُنِ الصليبُ هو "الخُطَّةَ البديلة" لله. بل كانَ الخُطَّةَ الأساسيَّة منذ البداية.

في اليوم الذي أعلن فيه الله أنَّ دينونةَ الخطيَّة هي الموت، ووضعَ فيه السيفَ الملتهِب، استبقَ الحكمَ الذي يجب أن يواجهَه كلٌّ منَّا- في ذلك اليوم، كان ابن الله هناك يشارك في اتِّخاذِ القرار. كان قرار الثالوث هو إقصاءَ آدمَ وحوَّاءَ من الجنَّة، وكان ذاك حقًّا أحَدَ أعمال الدينونة، لكنَّه كان أيضًا أحَدَ أعمال الرحمة. فبقاءُ الخاطئ في محضر الله يعني الموت. غير أنَّ إقصاءهما أوقفَ تنفيذ ذلك الحُكم. وقضى حُكمُ الثالوث بحرمان البشريَّة الساقطة من شجرة الحياة. من جديد، كان ذاك حقًّا أحَدَ أعمال الدينونة، لكنَّه كان أيضًا أحَدَ أعمال الرحمة. إنَّ عَيْشَ الخاطئِ إلى الأبد دون خلاصٍ هو بالتأكيد تعريفُ الجحيم. وجرى ثانيةً إيقافُ تنفيذ تلك الدينونة النهائيَّة. لماذا؟

لم يكُنِ الله ينوي الوصولَ بهذه القصَّة إلى نتيجةٍ سابقة لأوانها. إذا كانت قصَّةُ السقوط تعلنُ عن خطايانا وشعورنا بالذَّنب، فالمؤكَّد أنَّها تكشفُ أيضًا عن الأعماق المذهلة لمحبَّة الله ورحمته. كان ابن الله هو الذي وضعَ السيفَ عند مدخل جنَّةِ عَدْن. ولم يفعل ذلك فقط لإبعاد آدم، بل فعلَه ليتمكَّن، في الزمان المناسب، من السَّير في مكاننا، ليُرضيَ غضبَ الله العادل، ويفتح الطريقَ لنا للدُّخول من جديد عبر البوَّابة، لنأكلَ من شجرة الحياة، ونعيش إلى الأبد في محضر الله المجيد.

هذا هو الجواب عن الطريقة التي يمكننا بها أن نثقَ بالله في عالمٍ ساقط. إنَّ يسوع هو "الحمل الذي ذُبِحَ منذ تأسيس العالم" لأجل خطاةٍ مثلي.

9Marks Online PDF

الفصل الثامن

قصّةُ المحبّة

أرعى كنيسةً فيها عازبون كثيرون في العشرينيَّات والثلاثينيَّات من العمر، وهكذا يبرزُ سؤالُ الحبِّ في أحيانٍ كثيرة. كيف تعرف أنَّ شخصًا ما يحبُّك؟ سؤالٌ لا يفارقُ أذهانهم. يعرف الطفل أنَّ والدَيه يحبَّانه عندما يهتمَّان به. وأنت تعرفَ أنَّ أصدقاءَك يحبُّونك عندما يدافعون عنك في مواجهة منتقديك. لكن كيف تعرف ما إذا كان هذا الشخص الخاصُّ تحديدًا يحبُّك أم لا؟

الحقيقة هي أنَّ أقوى وسيلةٍ يعرف بها معظُمنا أنَّنا محبوبون حقًّا هي الزواج. في يوم الزفاف، يقول رجلٌ لامرأةٍ وامرأة لرجل، من بين كلِّ الاحتمالات والخِيارات: "أنا أختارك". تحبُّنا عائلاتُنا أحيانًا من باب الواجب، ويعودُ أصدقاؤنا كلٌّ إلى منزله في نهاية اليوم، أمَّا الأزواج فمسألةٌ أخرى تمامًا. كان يمكن أن تتزوَّج زوجتي أيَّ شخصٍ آخر، أو حتَّى أن تختارَ عدم الزواج، بدلَ الزواج بي. لكنَّها اختارَتْني حتَّى يفرِّق الموت بيننا. وإذا كنتَ تعرفُني، فستعرف أنَّ هذا هو الحبُّ الحقيقيّ.

في أعماق النفس البشريَّة، نتوق جميعًا إلى أن يقعَ اختيارُ الحبِّ علينا. هذا مؤلم، لأنَّنا نعرف أنَّنا لا نستحقُّ ذلك، لكنَّنا نريده على أيَّة حال. إنَّ هذا حقًّا هو ما يعطي القوَّة لأفضل قصص الحبّ. سواء كان ذلك في كوميديا الخيارات المشوَّشة في مسرحيَّة شيكسبير "لغطٌ كثير دون داعٍ" (Much Ado About Nothing)، أم في رثاء خِيارٍ محكومٍ عليه بالفشل في مسرحيَّة "روميو وجولييت" (Romeo and Juliet)، فإنَّ القوَّة تأتي من مدى نجاح اختيار الحبِّ ومدى غموض هذا الاختيار. كما قال باسكال: "للحبِّ منطقٌ لا يستطيع المنطق فهمه".

9Marks Online PDF

بالتأكيد أعظمُ قصَّةِ حبٍّ هي قصَّة المحبَّةِ الإلهيَّة، وهي قصَّةٌ متَّسعة كقصَّة الخلق، ودراميَّة مثل أيِّ شيءٍ فكَّر فيه شيكسبير يومًا، وكما أنَّها شخصيَّةٌ مثلي ومثلك. فقصصُ حبِّنا هي في الواقع أصداءٌ حقيقيَّةٌ لقصَّةٍ أعظمَ بكثيرٍ هي قصَّة محبَّة الله للعالم.

هذا هو سبب أهمِّيَّةِ أن يكون عندنا لاهوتُنا الكتابيُّ الصحيح عن المحبَّة. نريد أن نعرف ما يجب أن نؤمن به عن محبَّة الله لنا، والمحبَّة التي يجب أن نكنَّها للآخرين. بعد كلِّ شيء، يمكننا جميعًا أن نأخذَ النصَّ المفضَّل من الكتاب المقدَّس لنُثبِتَ به منظورَنا عن الحبّ، ونستخدمَه لنقول: "هذا ما يعينه مفهوم الحبّ"، أو "هذا ما يعنيه شخص الله".

يرى بعض الأشخاص أنَّ يوحنَّا ٣: ١٦ هو أحدُ تلك النصوص المفضَّلة: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتَّى بذلَ ابنه الوحيد..." . وما يقصدونه عادةً هو أنَّ "الله يحبُّ الجميع على قدم المساواة؛ فهو لا يختار للخلاص بعضَ الأشخاص ويستبعد آخَرين". تعني المحبَّة تكافؤ الفرص.

وربَّما يكون أحد أكثر النصوص الكتابيَّة شيوعًا لإثباتِ المنظور إلى المحبَّة هو ١ يوحنَّا ٤: ١٦: "الله محبَّة". لماذا يحظى هذا النصُّ بشعبيَّةٍ كبيرة؟ يمكننا استخدامه لقول ما نريد عن محبَّة الله.

لاحظَ اللاهوتيُّ كيفن فانهوزر أنَّ موضوع الحبّ، حالُه حال أيِّ موضوعٍ آخر، عرضةٌ لإغواء إبراز رغباتنا عن الله.[1] لكنْ ماذا يعني الكتاب المقدَّس عندما يقول: "الله محبَّة"؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا النظر ليس في عددٍ واحد، بل في قصَّة المحبَّة بمجملها كما يعلنها الله في الكتاب المقدَّس.

قصَّة المحبَّة

قصَّةُ محبَّة الله هي قصَّةٌ يسيرةٌ نوعًا ما، مثل قصَّةِ رجلٍ يختار امرأةً واحدةً لتكونَ عروسه. إنَّها قصَّة الله الذي اختار أن يحبَّ شعبَه، ويتكرَّرُ هذا الاختيار ويتَّضحُ مع تطوُّر التاريخ.

في البداية، يُظهر الله محبَّته للبشريَّة جَمْعاء بتوفيرِ عالمٍ مثاليٍّ جميلٍ لنا. الجمال ليس ضروريًّا للوظيفة، لكنَّ محبَّة الله تجاوزَتِ المنافعَ البراغماتيَّة. لقد صنع عالمًا جميلًا، ثمَّ خلَقَنا لننجذبَ إلى هذا

1) Kevin Vanhoozer, *Nothing Greater, Nothing Better: Theological Essays on the Love of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 2n1.

9Marks Online PDF

الجمال. كان آدم وحوَّاء يحبَّان بعضهما بعضًا، لكنَّهما خُلِقا في النهاية لينجَذِبا إلى الله، أجمل شخص في تجرِبتهما.

غير أنَّ آدَم وحوَّاء رفَضا على نحوٍ لا يُصدَّق محبَّة الله عندما قرَّرا رَفْضَ كلمته. وما لا يُصدَّق حقًّا هو أنَّ رفضَهما محبَّةَ الله لا يُنهي القصَّة؛ فقد أقصاهما الله من الجنَّة، لكنَّه ظلَّ يحبُّهما. فوضعَ عداوةً بينهما وبين عدوِّهما الأكبر، الحيَّة التي خدعتهما (تكوين ٣: ١٥). وجمعَ شملَهُما تحت مظلَّة الحبّ. من الناحية العمليَّة، أظهرَ محبَّته لهما بعملٍ بسيطٍ تمثَّل في تغطية عُريِهما المخزي بثيابٍ جلديَّة.

هكذا استمرَّ الله في محبَّة مَن رفضاه أوَّلًا. ورغم أنَّ الله رفضَ قايين ونسلَه، فإنَّه أحبَّ شيثًا وبنيه من بعده، جيلًا بعد جيل وصولًا إلى نوح. وفي حين أنَّ كراهية البشريَّة الشرِّيرة لله بلغَتْ ذروَتَها أخيرًا في الطوفان، فإنَّ محبَّة الله لم تنطفئْ بتاتًا؛ إذِ اختارَ أن يخلِّصَ نوحًا وعائلتَه من الهلاك، ثمَّ بارِكَ سامًا بن نوح ونسلَه بركةً خاصَّة.

فلنلاحِظِ النمطَ هنا. أحبَّ الله الجميع بإعطائهم الحياة. لكنْ يبدو أيضًا أنَّه أحبَّ بعضَهم محبَّةً خاصَّة؛ ففضَّل شيثًا على قايين، ونوحًا على البشر الآخَرين، وسامًا على حام.

في تكوين الأصحاح ١٢، تأتي القصَّة المركَزيَّة مع دعوة الله لأبرام من عبادة الأوثان إلى صداقةٍ وعهدٍ معه. وعد أبرامَ أنَّه اختاره، وأنَّ نسلَه سيصبح أمَّةً عظيمة، وقد حقَّقَ الله هذا الوعد. أحبَّ إسحاقَ ثمَّ يعقوب، كما أحبَّ نسل يعقوب، أمَّة إسرائيل. خلَّصهم من عبوديَّتهم في مصر وميَّزهم، كما قطعَ لهم عهدًا ودعاهم لأنْ يكونوا بركةً وتعبيرًا عن المحبَّة للعالم بأسره. وعند جبل سيناء، خطبَ الله تلك الأمَّة لنفسه ليكونوا شعبَه الخاصَّ المحبوب الفريد.

من جديدٍ يمكنُ ملاحَظةُ النمط: يُقطَعُ العهد لأولئك الذين أحبَّهم محبَّةً خاصَّة.

وكما فعلَ آدم، تمرَّدَ الشعبُ على الله باللجوء إلى عشَّاقٍ آخرين، أوثانٍ من صُنْعِ أيديهم. واستجابَ الله بإدانة الشعب. ورغم تلك الدينونة، فقد ظلَّ الله يحبُّ شعبَه. ولعلَّ أفضل صورةٍ للمصالحة وطول الأناة والمحبَّة الغافرة تُرى في سِفرِ هوشع. حيث أمرَ الله النبيَّ هوشع بأن يأخذَ لنفسِه امرأةً اسمُها جومر، وكانَتْ زانية. وعندما عادَتْ إلى زناها بعد وقتٍ قصيرٍ

9Marks Online PDF

من زواجها، طلب الله إلى هوشع أن يذهبَ ويُصالحها، ثمَّ أعلنَ الربُّ أنَّ هذا يُشبِه محبَّته لشعبه ويجسِّدُه.

غير أنَّ شعبَ الله ظلَّ على نحوٍ لا يُصدَّقُ يرفض محبَّةَ الله، مفضِّلين على تلك المحبَّة أوثانهم. وهكذا تركَهم الله، ورفضَ العيش في البيت نفسه معهم ومع عشَّاقهم، مثل زوج يغارُ على زوجته الضالَّة. وقد أُعطِيَ حزقيال رؤيا لهذا الحدث البائس، إذ غادرَ الله الهيكل. وعند نهايات العهد القديم، ظلَّ الهيكل فارغًا، وصمتَ الأنبياء، وظلَّ العرش شاغرًا. وفي مطلَع العهد الجديد، اختفَتْ تقريبًا كلُّ رموزِ محبَّة الله.

وإذ بدا في المشهد أنَّ المحبَّة تلاشَتْ، أتى أعظم تجسيدٍ للمحبَّة التي لم يشهَدْها العالم بتاتًا حينما أرسل الله يسوع، ابنَه الذي أحبَّه منذ الأزل.

عاشَ يسوع أمام الله حياةَ المحبَّة والطاعة التي كان ينبغي أن نعيشها نحن لكنَّنا لم نفعل. ثمَّ أخذَ على عاتقه، بموته على الصليب، العقابَ الذي نستحقُّه لرَفْضنا محبَّة الله، ووصفَ هذا بأنَّه عهدٌ جديد بدمه. والعجيب أنَّ الموت لم يستطعْ أن يمسكَه؛ لأنَّ "المحبَّة قويَّةٌ كالموت" (نشيد ٨: ٦). في المحبَّة قام يسوع المخلِّص من بين الأموات، فصار كلُّ مَن يتوب عن خطيَّته ويضع إيمانه في هذا المخلِّص ينالُ غفران خطاياه، ويُقبَل ثانيةً في أحضان محبَّة الله. وبواسطة يسوع، أثبتَ الله محبَّته الأمينة لشعبه غير الأمين، وصار ثمَّة عهدٌ جديدٌ لشعب الله.

وما يثير الاهتمام أنَّ العهد الجديد، لا سيَّما إنجيل يوحنَّا، يتيحُ لنا إلقاءَ نظرةٍ خاطفةٍ على القصَّة ما وراء القصَّة. إذ لا تبدأ قصَّة محبَّة الله بالخلق، بل بالمحبَّة الأبديَّة التي لدى الله الآب لله الابن، والتي لدى الله الابن لله الآب. يقول يسوع في يوحنَّا ٥: "لأنَّ الآبَ يُحِبُّ الِابنَ ويُرِيهِ جميعَ ما هو يَعمَلُه"، وفي يوحنَّا ١٧: "والآنَ مَجِّدني أنتَ أيُّها الآبُ عِندَ ذاتِكَ بالمجدِ الذي كانَ لي عِندَكَ قَبلَ كونِ العالَمِ". واتَّضحَ أنَّ محبَّة الله لشعبه الخاصِّ مغلَّفةٌ بمحبَّته لابنه. واليوم ما تزال هذه المحبَّة تغيِّر الناسَ غير المحبوبين، الخطاة مثلي ومثلك، لنصيرَ عروس المسيح الجميلة البهيَّة، أيِ الكنيسة. الآن ننتظر على رجاء إظهار رجوع محبَّة الله من جديد. في ذلك اليوم، سيأخذ يسوع عروسه إلى سماء جديدة وأرض جديدة، في عالم محبَّةٍ حقًّا.

9Marks Online PDF

هذه هي قصَّة محبَّة الله. فما الذي تُعلِّمنا إيَّاه عن الذين يحبُّهم الله؟ وكيف يحبُّهم؟ ولماذا يحبُّهم؟ فلنفكِّر في بعض أنماط هذه القصَّة.

أنماط الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة

كانت القصَّة عن الزواج

لاحَظْنا من قبل الكيفيَّة التي يبدأ بها الكتاب المقدَّس بعُرسٍ وينتهي بعرس. في سفر التكوين، نرى آدم وحوَّاء يدخلان في علاقةٍ زوجيَّة، ثمَّ في تاريخ الشعب القديم، نسمع الله يصف علاقته بالأمَّة على أنَّها عهدُ زواج. وتُستخدَم المصطلحات نفسها للمسيح والكنيسة: أيُّها الرجال، أحبُّوا نساءَكم كما أحبَّ المسيح الكنيسة، وتوصف السماء نفسها بأنَّها وليمةُ عرس.

وقبل أن نصل إلى تطبيقنا النظاميّ، إليكَ نقطةً أساسيَّة ذات أهمِّيَّة معاصِرة. الزواج، صورة الحبِّ ما بين رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدة، هو في صميم القصَّة الكتابيَّة لمحبَّة الله. لذلك، فإنَّ الزواج مهمٌّ لأسبابٍ عدَّة. والزواج مهمٌّ لأنَّ الله وضعَه، وليس المجتمع، ومن ثَمَّ فإنَّ الله– الله وحدَه– هو الذي يعرِّف الزواج ويحدِّده. والزواج مهمٌّ لأنَّه صورةٌ لمحبَّةِ الله في بشارة الإنجيل، الراسخة بقوَّةٍ في الخليقة. عدِّلِ الزواج أو أَعِدْ تعريفه، تكُنْ قد قطعْتَ شوطًا طويلًا نحو تشويه أحد أهمِّ المؤشِّرات إلى النعمة العامَّة لمحبَّة الله في المسيح وإخفاء ذلك المؤشِّر.

لذا فيما نريد الدفاع عن الزواج لجميع الأسباب التقليدية التي تُسمَع في الأوساط المسيحيَّة المحافظة– السلامة، ورعاية الأطفال، والإنجاب، واستقرار المجتمع، وغيرها– لعلَّ السببَ الأهمَّ هو الآتي: الزواج هو إحدى الصور الأساسيَّة لبشارة الإنجيل. قصَّة محبَّة الله هي قصَّةٌ عن الزواج.

العهود هي ما وضعَ بنية القصَّة

بالنظر إلى أنَّ القصَّة كانت عن الزواج، فلا يُستغرَب أن نرى أنَّ العهود هي ما شكَّلَه. الزواج في حدِّ ذاته هو اتِّفاق، وتُصوِّرُ محبَّة الله على أنَّها محبَّة خِطبة، حيث قطع الله للشعب القديم عهدًا، وقطعَ المسيح عهدًا للكنيسة.

9Marks Online PDF

ما الذي يُعلِّمُنا إيَّاه هذا عن محبَّة الله؟ من جديد، لم نستخلصْ بعدُ استنتاجاتنا النظاميَّة، لكنَّ حفلات العرس والعهود تتحدَّث بشأن محبَّةٍ خاصَّةٍ مميَّزة، أليس كذلك؟ من جهة، يجب أن أُحبَّ قريبي كما أُحبُّ نفسي، ما يعني أنَّ هناك إحساسًا بأنِّي أحبُّ جميع الناس، بما في ذلك النساء جميعهنّ. من جهةٍ أخرى، لقد تعاهدْتُ مع زوجتي لأنِّي أحبُّها بطريقةٍ متميَّزة عن الأُخرَيات، وهي محبَّةٌ خاصَّةٌ بها وحدَها.

نرى التميُّز يبدأ من تكوين ٣، عندما وضعَ الله عداوةً بين نسل المرأة ونسل الحيَّة- ما بين العالم وشعب الله. ثمَّ يظهر هذا التميُّز في تكوين ٤، عندما يرفض الله نسلَ قايين، ويُظهِرُ محبَّته لنسل شيث. ونرى ذلك من جديدٍ مع أبناء نوح، عندما يرفض الله نسلَ حام ويختار أن يبارك نسلَ سام. في النهاية، نرى ذلك في اختيار الله لإبراهيم وذرِّيَّته في تكوين ١٢. لكنْ حتَّى في ذلك الحين، لم يخترِ الله بالمحبَّةِ كلَّ نسلِ إبراهيم؛ إذ رفضَ إسماعيلَ بن إبراهيم من الجارية هاجر، واختار إسحاقَ بن إبراهيم من سارة. ورفض عيسو بن إسحاق، واختار يعقوب بن إسحاق، الشقيق التوأم لعيسو. رُفِضَ الملك شاول، واختيرَ الملك داوُد. ولاحقًا، رُفِضَتِ المملكة الشماليَّة، ووقعَ الاختيار على المملكة الجنوبيَّة.

في كلِّ مرَّة يختار الله فيها، رافقَتْ بركاتُ محبَّته المحبوبَ حصريًّا مقارَنةً بالآخرين. قد لا نحبُّ هذا النمط، لكنَّه نمطٌ واضح.

كان في القصَّة استمراريَّة وفجوات (انقطاع)

تحمل قصَّة المحبَّة في الكتاب المقدَّس أيضًا عناصرَ من الاستمراريَّة والفجوات (الانقطاع) في أثناء انتقالنا من حِقبةٍ إلى أخرى. ولإحدى أهمِّ الفجوات في قصَّة محبَّة الله علاقةٌ بهذا النمط من المحبَّة المميَّزة. تستمرُّ محبَّة الله المميَّزة ضمن القصَّة كلِّها، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، لكنْ تتوقَّفُ محبَّته لأُمةٍ من عِرقٍ واحد. في نهاية المطاف، تمتَّع بتلك المحبَّة المؤمنون من كلِّ أمَّةٍ وزمان. يقول بولس الرسول في أفسس ١:

9Marks Online PDF

"مُبارَكٌ الله أبو رَبِّنا يَسوعَ المَسيح، الذي بارَكَنا بكُلِّ بَرَكَةٍ روحيَّةٍ في السماويَّاتِ في المَسيح، كما اختارَنا فيهِ قَبلَ تأسيسِ العالَم، لنَكونَ قِدِّيسينَ وبلا لومٍ قُدَّامَهُ في المَحَبَّة، إذ سبَقَ فعَيَّنَنا للتَّبَنِّي بيَسوعَ المَسيحِ لنَفسِه، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشيئَتِه" (أفسس ١: ٣- ٥).

ويسلِّط هذا التغيير الضَّوء على الحركة على مرِّ العهود من المادِّيَّة إلى الروحيَّة، ومن الخارج إلى الداخل. يجب أن يُعرَف شعبُ الله على مرِّ العهود بقداستهم، أنَّهم مُفرَزون مخصَّصون لله. في العهد القديم، تميَّز هذا بصورةٍ خاصَّة بعِرقهم المميَّز، وثيابهم المميَّزة، وطعامهم المميَّز. وبموجب العهد الجديد، لا تتميَّز القداسة بالطعام الذي نأكله، بل بالحياة التي نعيشها بتميُّز عن العالم من حولنا.

القصَّة ملآنة بالأنماط (الرموز)

تعتمدُ كلُّ هذه الملاحظات التي نضعُها على الأنماط التي نراها. وهذا ما يُسمَّى دراسة الرموز. في الجنَّة، نجد رمزًا إلى الزواج. ثمَّ يتكرَّر هذا الرمز، لكنْ هذه المرَّة ما بين الله وجماعةٍ من البشر- شعب العهد القديم. ثمَّ عندما يحلُّ العهد الجديد ويستخدم هذه اللغة نفسها حول محبَّة المسيح للكنيسة، يكون لدينا في الحال مقدارٌ هائلٌ من البيانات التاريخيَّة لمساعدتنا على فَهْم ما تعنيه هذه المحبَّة. ما معنى أنَّ المسيح أحبَّ الكنيسة بوصفه عريسَها؟ ارجعْ إلى رموز العهد القديم. انظرْ إلى ما يُقالُ عن الزواج في سفر التكوين، وحتَّى في نشيد الأنشاد. ثمَّ انظُرْ إلى محبَّة الله الخاصَّة لشعبه في العهد القديم. كلُّ هذا سيوضِّح ما يعنيه أنَّ المسيح أحبَّ الكنيسة.

وينطبق الأمر نفسه على عباراتٍ في العهد الجديد مثل: "الله محبَّة". ما الذي يعنيه هذا؟ ارجعْ وانظُرْ إلى القصَّة كلِّها. مَن الذين أحبَّهم الله؟ كيف أحبَّهم؟ ولماذا؟ إنَّ الإجابات التي نجدها في العهد القديم- مقروءة من خلال عدسة المسيح- ستخبرنا بما نتوق إلى معرفته.

9Marks Online PDF

وضْعُ كلِّ شيء في إطارٍ نظاميّ

عندما نلاحظ كلَّ هذه الأمور، يمكننا أن نرى أنَّ موضوع المحبَّة قد لا يكون سهلًا كما نتعامَلُ معه في أحيانٍ كثيرة. هو في الواقع معقَّدٌ جدًّا، ويبدو أنَّ الله يحبُّ الناس بصورٍ وأساليبَ مختلفة. هذا هو السبب في أنَّ دي. إيه. كارسون ألَّف بالفعل كتابًا بعنوان "العقيدة الصعبة عن محبَّة الله" (The Difficult Doctrine of the Love of God) والذي تناوَلَ فيه المحبَّة الإلهيَّة.[٢]

الله محبَّة. لكنْ ما معنى ذلك؟ فلنبدأ بدراستنا النظاميَّة بتنظيم عقائدنا تحت الأسئلة الثلاثة التي سبقَ أنْ طَرَحْناها: مَنِ الذين يحبُّهم الله؟ كيف يحبُّهم؟ ولماذا؟

مَنِ الذين يحبُّهم الله؟

الله الآبُ يحبُّ الله الابن

لا يمكننا أن نشرح ما يعنيه أنَّ "الله محبَّة" حتَّى نفهمَ التطبيق النظاميَّ لقصَّة المحبَّةِ الكتابيَّة كلِّها. لكنَّ الصحيح أيضًا أنَّه لا يمكننا البدء باستكشاف القصَّة دون تفسيرٍ جزئيٍّ على الأقلِّ لِما يعنيه أنَّ الله محبَة. لماذا هذه المعضِلة؟ لسببٍ بسيط: أنَّه ما كانَ ثمَّة وقتٌ لم يكن يُعبِّرُ فيه الله عن المحبَّة تُجاه الآخر، ويتلقَّى المحبَّة من الآخر. يحبُّ الآبُ الابن، ويحبُّ الابنُ الآب. المحبَّةُ مرتبطةٌ بطبيعةِ الثالوث، ولا يمكن أن يكونَ الله دون محبَّة؛ لأنَّ الله محبَّة.

ليس الأمرُ أنَّ إحدى صفات الله هي المحبَّة. مثلًا الله غاضب من الخطيَّة، لكنَّ الكتاب المقدَّس لا يقول بتاتًا إنَّ الله غَضَبٌ؛ لأنَّ غضبَه يشير إلى شيء خارجٍ عن ذاته، وهو خطيَّتنا. كان ثمَّة زمنٌ في الماضي الأزليِّ لم يكنْ لغضبِ الله أيُّ تعبير. لكنْ لم يكن ثمَّة زمنٌ لم يكن فيه الله محبَّة؛ لأنَّ محبَّة الآب للابن والابن للآب سرمديَّة.

في غياب الخطيَّة، كان يمكن أن يظلَّ الله دون غضب. وفي غيابها، كان يمكن أن يظلَّ الله دون رحمة. وفي غيابها أيضًا، كان يمكن أن يظلَّ الله دون طول أناة. لكنْ لا يمكن أن يكون الله دون

2) D. A. Carson, *The Difficult Doctrine of the Love of God* (Wheaton, IL: Crossway, 2000).

9Marks Online PDF

محبَّة؛ لأنَّ الله محبَّة، ولم تكنْ هناك لحظة، ولن تكون، فيها يكون دون محبَّة. أهذه الفكرة جديدةٌ، ووردتْ فقط في العهد الجديد؟ نعم، لكنَّ العهد القديم يُعِدُّنا لهذه الفكرة، بل يعلِّمنا إيَّاها بواسطة محبَّةِ الله لداود. انظر إلى المزامير ٢، ٢٠، ١١٠، وغيرها أيضًا. يعطي الله عهدَ محبَّةٍ خاصًّا لداود، ما يساعدنا على فهْمِ عهد المحبَّة ما بين الله الآب والله الابن عندما يُعلَن عنه لاحقًا في العهد الجديد.

ما الفرق الذي يُحدِثه هذا للخدمة؟ بدايةً، إنَّه أمرٌ متواضعٌ جدًّا ومُطمئِنٌ على نحوٍ لا يُصدَّق.

يرى بعضُنا أنَّ من السهل التفكير في أنَّ الله ومحبَّته يجب أن يدورا حَولي وحول مشكلاتي، ونُقيِّم محبَّتَه بناءً على شعورِنا بتلك المحبَّة. لكنَّ محبَّة الله كانت مثاليَّة قبل حتَّى أن ندخُلَ المشهد، وستظلُّ مثاليَّةً حتَّى بعد أن نغادرَ المشهدَ. المحبَّة الأبديَّة، ومن ثَمَّ السابقة، للآب والابن بعضهما لبعض تُذكِّرنا بأنَّ الحياةَ والمحبَّة لا يتعلَّقان بي في نهاية الأمر. مع أنَّ محبَّة الله حقيقيَّةٌ عندي، فهي منبثقةٌ أيضًا، أي أنَّها فَيْضٌ من هذا المحبَّةِ الأساسيَّة داخل الثالوث نفسه. وسيُحدِثُ هذا فرقًا كبيرًا في وعظنا وتعليمنا.

وهذا مطمئنٌ أيضًا؛ إذ ينظرُ بعضنا من حوله، ويتساءل عمَّا إذا كان يوحنَّا قد أصابَ حينما قال: "الله محبَّة" في مواجهة مآسي هذا العالم. لم يُعثَر على إجابةِ السؤال بالبحث عن أدلَّةٍ في العالم. الجوابُ هو بالنظر إلى الله، وإعلان محبَّته لابنه، يسوع المسيح. إذا وجَدْنا المحبَّة راسخةً بقوَّةٍ في طبيعة الله، فهناك رجاء، ورغم كلِّ ما نواجهه، ففي النهاية تظلُّ الحقيقة المطلَقة للكون هي الله، والله محبَّة.

يحبُّ الله العالم

ثانيًا، يحبُّ الله العالم بطريقتَين.

أوَّلًا، يحبُّ الخليقةَ، عملَ يدَيه. ويُخبرنا سفر الأمثال ٨ بأنَّ الله مسرورٌ بكلِّ جزءٍ من الخليقة. ويُخبرُنا يسوع بأنَّ العصفور لا يسقط دون محبَّة الله وأنَّه يُلبِس الزهور الجمال (متَّى ٦).

9Marks Online PDF

ثانيًا، يحبُّ الله البشريَّة العاصية المتمرِّدة. حتَّى في غضبه الذي لا يتزعزع في مواجهة الخطيَّة، يحبُّ الله هذا العالم، وإنْ كان العالم يُبغِضُ الله. لذلك يقول حزقيال: "قُلْ لهُمْ: حَيٌّ أنا، يقولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، «إنِّي لا أُسَرُّ بموتِ الشِّرِّيرِ، بل بأنْ يَرجِعَ الشِّرّيرُ عن طريقِهِ ويَحيا. ارجِعوا، ارجِعوا عن طُرُقِكُمُ الرَّديئَةِ! فلماذا تموتونَ يا بَيتَ إسرائيلَ؟»" (حزقيال ٣٣: ١١). ونقرأ في إنجيل يوحنَّا الدليلَ على محبَّة الله للعالم: "لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالَمَ حتَّى بَذَلَ ابنَهُ الوَحيدَ، لكَيْ لا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يؤمِنُ بِهِ، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة" (يوحنَّا ٣: ١٦).

يسوع هو إعلانُ محبَّة الله وإظهارها للخطاة. إذا أرادَ أحَدٌ أن يعرفَ محبَّة الله، فعليه أن يعرفَ يسوع.

ما الآثار المترتِّبة على ذلك للخدمة؟ ثمَّة أمورٌ عدَّة، منها أن نتعلَّمُ أن نطرحَ السؤال: "هل أُحبُّ العالمَ بالطريقة التي يحبُّه بها الله، أم أُحبُّ العالمَ بالطريقة التي يريد العالم بها أن يكون محبوبًا؟". ما بين السؤالَين فرقٌ حاسم. يؤدِّي واحدٌ إلى خلاص العالم، والآخر إلى هلاكه.

يحبُّ الله شعبَه محبَّةً متميِّزة

يحبُّ الله العالم، كما أنَّه يحبُّ شعبَه أيضًا. في قصَّةِ محبَّة الله، يُميِّز الله ما بين البشر ثمَّ يحبُّ الأشخاصَ الذين اختارَهم.

اللغة الكتابيَّة لمحبَّة الله لشعبه هي لغةُ الاختيار. يتردَّدُ الناس أحيانًا في قبول هذه الكلمة؛ لأنَّها تبدو كما لو كانت تجعل الله لئيمًا متعصِّبًا غير محبّ. لكنَّ الكتاب المقدَّس، يعني أن يُختارَ أحَدٌ أن يكون محبوبًا من الله، بالطريقة نفسها التي يحبُّ بها الرجلُ المرأةَ باختياره إيَّاها.

في سفر التثنية ٧، وقفَ الشعبُ القديم على حدود أرض الميعاد، فقال لهم النبيُّ موسى: إنَّ الله يعطيهم الأرض، كما يحذِّرهم أنَّ عليهم أن يظلُّوا أُمَناءَ لله. ثمَّ يقولُ لهم في الأعداد ٦ – ٨:

> "لأنَّكَ أنتَ شَعبٌ مُقَدَّسٌ [مُفرَزٌ مخصَّصٌ] للرَّبِّ إلهِكَ. إيَّاكَ قد اختارَ الرَّبُّ إلهُكَ لتكونَ لهُ شَعبًا أخَصَّ مِنْ جميعِ الشُّعوبِ الّذينَ علَى وجهِ الأرضِ، ليس

9Marks Online PDF

> مِنْ كونِكُمْ أكثَرَ مِنْ سائرِ الشُّعوبِ، التَصَقَ الرَّبُّ بكُمْ واختارَكُمْ، لأنَّكُمْ أقَلُّ مِنْ سائرِ الشُّعوبِ. بل مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إيَّاكُمْ، وحِفظِهِ القَسَمَ الّذي أقسَمَ لآبائكُمْ، أخرَجَكُمُ الرَّبُّ بيَدٍ شَديدَةٍ وفَداكُمْ مِنْ بَيتِ العُبوديَّةِ مِنْ يَدِ فِرعَوْنَ مَلِكِ مِصرَ" (تثنية ٧: ٦- ٨).

لماذا اختار الله بني إسرائيل؟ هل اختارهم لأنَّهم كانوا أفضل من الآخرين؟ ألأنَّهم كانوا أعظم من الآخَرين؟ ألأنهم كانوا أكثر عدلًا من الآخَرين؟ كلَّا، بتاتًا. اختارهم الله ببساطةٍ لأنَّه أحبَّهم، وقد أحبَّهم ببساطةٍ لأنَّه أحبَّهم.

يحبُّ الله الخطاة

يدفعُنا كلُّ هذا إلى رؤية أنَّ الله يحبُّ الخطاة. يقول بولس الرسول في رسالة تيطس ٣: ٤- ٥: "ولكنْ حينَ ظَهَرَ لُطفُ مُخَلِّصِنا الله وإحسانُهُ- لا بأعمالٍ في برٍّ عَمِلناها نَحنُ، بل بمُقتَضَى رَحمَتِهِ...". خلاص الله واختيار المحبَّة ليسا فقط غير مستحقَّين، بل يُقدَّمان رغم كلِّ الأسباب التي تشير إلى خلافِ ذلك. نحن نستحقُّ العكس تمامًا- نستحقُّ غضب الله. "ولكن الله بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لنا، لأنَّهُ ونَحنُ بَعدُ خُطاةٌ ماتَ المَسيحُ لأجلِنا" (رومية ٥: ٨).

ليس الله مثلنا. نحن نحبُّ الأشخاصَ الذين يستحقُّون أن يكونوا محبوبين. لكنَّ الربَّ يحبُّنا مجَّانًا بنعمته. إنَّ محبَّته غير مشروطة ولا يمكننا أن نكسِبَها باستحقاق، بل نحصل عليها فقط بالإيمان بالمسيح يسوع.

أيُّها الخدَّام، هذا بلسمٌ للرُّوح المضطربة القَلِقة. وهذا هو القبول الحقيقيُّ الذي يجب أن نقدِّمه إلى الخطاة. ليس لشعورهم بالحاجة إلى الأهمِّيَّة أو السلام أو السعادة، بل لحاجتهم الحقيقيَّة إلى المغفرة. إنَّ محبَّة الله في المسيح أعرضُ جدًّا من الخطيَّة التي ارتكَبْتَها في حقِّ الله. إنَّها أطوَلُ بما يكفي للعودة إلى ماضيك والمضِيِّ قُدُمًا إلى المستقبل الأبديّ. وهي عاليةٌ بما يكفي لتوصِلَك إلى الله.

9Marks Online PDF

كما أنَّها عميقةٌ جدًّا، ولن تنضبَ أبدًا (انظرْ أفسس ٣: ١٨). في المسيح، يحبُّ الله الخطاة.

كيف يحبُّ الله؟

إذا كان هؤلاء مَن يحبُّهم الله، فعلينا أنْ نفكِّر بعنايةٍ أكبرَ في الكيفيَّة التي يحبُّهم الله بها.

يحبُّ الله محبَّةً مدبِّرة

في البداية، يحبُّ الله الجميع محبَّةً مدبِّرة. وهو يُبيِّن ذلك بتسديد احتياجات الجميع. يقول يسوع في إنجيل متَّى: "يُشرِقُ شَمسَهُ علَى الأشرارِ والصَّالحِينَ، ويُمطِرُ علَى الأبرارِ والظالِمِينَ". إنَّ محبَّته الإلهيَّة المدبِّرة سخيَّةٌ ولا تميِّز بين أحَدٍ وآخر (انظرْ متَّى ٥: ٤٥– ٤٨). من الواضح أنَّ هذه فكرةُ استمراريَّة ما بين العهدَين القديم والجديد.

إذا أرَدْنا أن نفهمَ المعاناة في هذه الحياة، يجب أن نفهمَها في سياقِ محبَّةِ الله المدبِّرة. ليس هذا العالم مزحةً سَمِجة، بل إنَّ الله ينظِّمُ حياتَنا حتَّى نتعلَّمَ إمَّا أن نقدِّرَه أكثر من هذا العالم، وإمَّا أن نُترَك بلا عُذْرٍ لعدم إيماننا. إنَّ المعاناة في هذه الحياة هي على الأقلِّ جزئيًّا تحذيرٌ لنا، وتذوُّقٌ مسبَّقٌ للمعاناة الأبديَّة التي نستحقُّها بعيدًا عن المسيح.

يحبُّ الله محبَّةً مضحِّية

يحبُّ الله أيضًا محبَّةً مضحِّية. نرى هذا بصورةٍ نمطيَّة في العهد القديم (إبراهيم وإسحاق، وذبائح اللاويِّين، وما شابَه). لكنَّ كلَّ هذه الصور تقودُنا إلى أغلى محبَّةٍ شهدَها هذا الكون يومًا، وتُعلِّمنا عنها. على الصليب خارج أسوار أورشليم، سكبَ الله غضبه العادل على الابن الذي أحبَّه منذ الأزل. أصبح المسيح بديلًا لدَفْع ثمنِ خطايانا. ولماذا فعل الله هذا؟ فعلَه من أجل أعدائه! فعل ذلك من أجل البشر الذين يكرهونه، ومن أجل خطاةٍ فاسقين مثلي ومثلك.

نتقابَلُ، نحن البشرَ، بوضوحٍ مع محبَّة الله المدهشة في تضحية المسيح النيابيَّة البدليَّة

9Marks Online PDF

الاسترضائيَّة. وحدَها المحبَّة المضحِّية هي ما يخلِّصنا؛ لأنَّها وحدَها تكفِّر عن خطايانا. كما أنَّها أيضًا وحدَها تطمئنُنا؛ فلأنَّنا لم نستحقَّها، لا نستطيعُ أن نخسرَها.

كم هي بعيدةٌ هذه المحبَّة عن الطريقة التي يظنُّ الناس أنَّ الله يحبُّ بها الخطاة! يتصوَّرون أنَّه يحبُّ رومانسيًّا رومانسيًّا ولحظيًّا. هذا أبعدُ ما يكون عن الحقيقة، كما أنَّه لا يليق بتاتًا بالله الذي أحبَّ الخطاة باذلًا تكلفة لا تُقدَّرُ بثمنٍ بدم ابنه.

يحبُّ الله محبَّةً كاملة

أخيرًا، يحبُّنا الله محبَّة كاملة. يصفُ الكتاب المقدَّس الله بوصفه أبًا كاملًا تبنَّانا في المسيح بالمحبَّة، ثمَّ أحبَّ أولادَه المتبنَّين دائمًا وَفقَ ما يحتاجون إليه تمامًا، وهكذا فإنَّ محبَّته تكمِّلهم. ويصفُ الرسول يوحنَّا هذا بالقول:

> "انظُروا أيَّةَ مَحَبَّةٍ أعطانا الآبُ حتَّى نُدعَى أولادَ الله! مِنْ أجلِ هذا لا يَعرِفُنا العالَمُ، لأنَّهُ لا يَعرِفُهُ. أيُّها الأحِبّاءُ، الآنَ نَحنُ أولادُ الله، ولَمْ يُظهَرْ بَعدُ ماذا سنَكونُ. ولكن نَعلَمُ أنَّهُ إذا أُظهِرَ نَكونُ مِثلهُ، لأنَّنا سنَراهُ كما هو. وكُلُّ مَنْ عِندَهُ هذا الرَّجاءُ بهِ، يُطَهِّرُ نَفسَهُ كما هو طاهِرٌ" (١يوحنَّا ٣: ١ – ٣).

إنَّ محبَّة الله في المسيح تغيِّرنا لنكونَ مشابِهين للمسيح. في أحيانٍ كثيرة، يميل الأشخاص الذين نخدمهم بالمشورة إلى التشكيك في حكمةِ محبَّةِ الله بناءً على أحوال حياتهم. لو أنَّ الله يحبُّني، لَما تركَ زوجي يهجرُني. لو كان الله يحبُّني، لما سمحَ بأنْ يتورَّط ابني مع رُفقاء السوء في المدرسة. لو أنَّ الله يحبُّني، لَما تركَني في هذا العمل الذي لا يمكن أن يتحسَّن.

غير أنَّ كمالَ محبَّةِ الله لا يُقاس لنا بمدى نجاحه في إدارة أجندة حياتنا، بل يُرى هذا الكمال في الهدف الذي حدَّده لحياتنا، وليس هذا الهدف أقلَّ من مشابَهةِ صورةِ ابنه الحبيب.

9Marks Online PDF

لماذا يحبُّ الله؟

لماذا يحبُّ الله بشرًا مثلنا بهذه الطريقة غير الاعتياديَّة؟ ليس من الصعب العثور على الجواب. لكنْ قد يكون مستغرَبًا؛ لأنَّه في النهاية لا علاقةَ لنا بالأمر.

لأنَّ الله يختارُ أن يُحبّ

للإجابة عن هذا السؤال، من الواضح أنَّ بولس الرسول استفادَ من أدواتِ دراسة الرموز في الكتاب المقدَّس. في رومية ٩، يشير إلى مثال يعقوب وعيسو، الأخوَين التوأمَين، ويَذكُرُ الآتي:

"لأَنَّهُ وهُما لم يولَدا بَعدُ، ولا فعَلا خَيرًا أو شَرًّا، لكَيْ يَثبُتَ قَصدُ الله حَسَبَ الِاختيارِ، ليس مِنَ الأعمالِ بل مِنَ الذي يَدعو، قيلَ لها: «إنَّ الكَبيرَ يُستَعبَدُ للصَّغير». كما هو مَكتوبٌ: «أحبَبتُ يعقوبَ وأبغَضتُ عيسوَ»" (رومية ٩: ١١- ١٣).

لماذا اختار الله أن يحبَّ يعقوب وليس عيسو؟ للسبب نفسِه الذي به اختارَ الله أن يحبَّ أيَّ شخص. ليس لأنَّه يرى شيئًا مقدَّمًا جميلًا وجذَّابًا. وليس لأنَّ ثمَّة أيَّ شيء يخصُّنا يمكن أن يطلب محبَّته أو يفرضَها. يحبُّ الله شعبَه لأنَّه اختارَ ذلك. وفي هذا الاختيار الحرِّ غيرِ المشروط، تظهرُ أمجادُ محبَّة الله التي تختار.

لأنَّ الله يحبُّ ابنَه

في رسالة أفسس ١، يقول بولس الرسول إنَّ سبب كون الله يختار بعض الأشخاص للتَّبنِّي هو "لمَدحِ مَجدِ نِعمَتِهِ التي أنعَمَ بها علَينا في المحبوب". هذا تصريحٌ مدهشٌ حقًّا. يحبُّنا الله؛ لأنَّه يحبُّ ابنَه في نهاية المطاف. لا شيءَ يرغبُ فيه الله أكثر من إظهار مجده في ابنه وبواسطته، والذي يتحقَّقُ في خلاصنا.

9Marks Online PDF

الخلاصة: الله محبَّة

ما الذي يعنيه الكتاب المقدَّس عندما يقول إنَّ الله محبَّة؟ للإجابة عن هذا السؤال، علينا قراءة قصَّة المحبَّةِ في الكتاب المقدَّس. ونحن نرى في تلك القصَّة أنَّ الله القدُّوس اختارَ أن يحبَّ شعبًا غير مقدَّس بتكلفةٍ لا تُقدَّر بثمنٍ هي حياة ابن الله المحبوب منذ الأزل. لقد فعل ذلك لكي يجعلَ من شعبٍ غيرِ محبوبٍ عروسًا جميلةً بهيجةً لذلك الابن.

ولا يتعلَّق خلاصنا بنا في النهاية، بل يتمحوَرُ خلاصُنا أخيرًا حول إظهارِ مجدِ الله في هذه المحبَّة الأبديةَّ للآب نحو الابن والابن نحو الآب، حيث يحاول كلٌّ منهما التفوُّق على الآخر في المحبَّة. ومن أجل فرحنا الأبديِّ وسرورنا، فإنَّ الخبرَ السارَّ هو أنَّ حياتنا يمكن أن تقعَ في قصَّة المحبَّةِ المذهلة هذه.

كيف تتطرَّق هذه القصَّة إلى قصَّةِ حياتنا؟ لاحَظْنا في وقتٍ سابقٍ أنَّ الكتاب المقدَّس يبدأ بعرسٍ وينتهي بآخَر. لكنْ إذا أرَدْنا حقًّا أن نفهمَ محبَّة الله لنا، فعلينا أن نلاحظَ فرقًا مهمًّا ما بين هذين العرسَين: أنَّ الزواجَ الأوَّل في الكتاب المقدَّس تقليديٌّ مرتَّب؛ إذ لم يكن لدى آدم خِيار في هذا الشأن، حيث قدَّم الله إلى آدَمَ زوجتَه حوَّاء، في حين أنَّ العرسَ الأخيرَ مختلف؛ فهو زواجٌ ما بين المسيح وشعبه. وكما رأينا، جرى اختيارنا من قَبْلِ تأسيس العالم. فالعرسُ الأخير في الكتاب المقدَّس هو الأخير في كلِّ التاريخ، وهو ليس زواجًا تقليديًّا مرتَّبًا، بل زواجٌ مبنيٌّ على الحبّ. إذا كنتَ مؤمنًا بالمسيح، فأنت محبوب. قد لا يحبُّك شريكُ زواجك، وقد لا يكون لديك شريكُ زواجٍ حتَّى. قد يكون أصدقاؤك متقلِّبين، وقد تكون عائلتك مؤذية. قد تشعر بأنْ ليس مَن يحبُّك، لكنَّك محبوبُ المسيح، الذي اختارَك.

لأنَّ الله محبَّة.

9Marks Online PDF

الفصل التاسع

قصّة الذبيحة

بوصفي قسًّا أو شيخَ كنيستنا، فإنَّ إحدى مسؤوليَّاتي الاعتياديَّة هي مقابلة الناس لعضويَّة كنيستنا. ربَّما أهمُّ جزءٍ في تلك المقابلة هو أن أطلبَ إلى الفردِ أن يشرح لي بشارة الإنجيل بإيجاز. وأطلبُ ذلك لسببَين: أوَّلًا، أريد أن أعرفَ ما إذا كان يفهمُ رسالةَ الإنجيل ويؤمن بها؛ فهذا أمرٌ أساسيٌّ للانضمام إلى الكنيسة. إذا كان العضو المحتمَل يضعُ ثقتَه في أمرٍ آخر غير الإنجيل، مثل "أنَّ أعمالَه حَسَنةٌ جدًّا"، فأريد أن أعرف هذا بتصريحٍ واضح. إنَّه يجعلني أعرف أنَّ الخطوةَ المقبِلة ليسَتِ العضويَّة، بل دروسٌ من الكتاب المقدَّس عن مفهوم رسالة الإنجيل.

ثانيًا، أريد أن أتيقَّنَ بأنَّ كلَّ عضوٍ في الكنيسة يعرفُ كيفيَّة شَرْحِ رسالة الإنجيل حتَّى يتمكَّنَ من مشاركة الأخبار السارَّة مع الآخرين. يبدو أحيانًا أنَّ الأعضاءَ يضَعون ثقتَهم في الإنجيل، رغم أنَّهم لا يستطيعون شرْحَ ما يجعل الإنجيل أخبارًا سارَّة. يتحدَّثون بشأن "الإيمان بيسوع" أو "مغفرة الخطايا"، لكنَّهم يُفوِّتون ما فعله يسوع لإتمام غفران خطايانا. لذلك يكون عليَّ أن أقاطعَ المتحدِّث بسؤال: "ما علاقة الصليب بالمغفرة التي يعرضُها يسوع علينا؟".

يبدو أنَّ الكثير من الإنجيليِّين هذه الأيَّام، يكون عندهم الصليب إمَّا مفترَضًا (ما يؤدِّي إلى تجاهُلِه إلى حدٍّ كبير)، وإمَّا يُعادُ تعريفه بعباراتٍ لا تُثير الحساسيَّات الحديثة. إنَّنا نتكلَّمُ عن يسوع كأنَّه صديقٌ ومساعدٌ لنا. نتكلَّمُ عن انتصاره على الخطيَّة والموت، وعن مصالحتنا مع الله. نتحدَّث بشأن الشفاء والمعنى الذي يأتي به المسيح إلى حياتنا، لكنَّنا لا نتحدَّث كثيرًا بشأن كيفيَّة قيامه بكلِّ

9Marks Online PDF

هذه الأمور من أجلنا. للقيام بذلك، علينا أن نتحدَّثَ بشأن الصليب الدمويّ. وإذا كانت مقابلات العضويَّة التي أُجريها هي مقابلاتٍ يمكن أن تُجريَها أنت، فمن المرجَّح أن ترى صليبًا معلَّقًا بقلادة أو وشمًا على ذراعٍ أكثر ممَّا تسمع عنه في عظة.

كم يختلف هذا عن الخدمة الرسوليَّة! استمعْ إلى وعظِ الرُّسُل بطرس وبولس ويوحنَّا وكاتب العبرانيِّين:

- "فليَعلَمْ يَقينًا جميعُ بَيتِ إسرائيلَ أنَّ اللهَ جَعَلَ يَسوعَ هذا، الذي صَلَبتُموهُ أنتُمْ، رَبًّا ومَسيحًا" (أعمال ٢: ٣٦).
- "لأنَّ اليَهودَ يَسألونَ آيَةً واليونانيِّينَ يَطلُبونَ حِكمَةً، ولكنَّنا نَحنُ نَكرِزُ بالمسيحِ مَصلوبًا..." (١كورِنثوس ١: ٢٢– ٢٣).
- "لأنِّي لم أعزِمْ أنْ أعرِفَ شَيئًا بَينَكُمْ إلَّا يَسوعَ المسيحَ وإيَّاهُ مَصلوبًا" (١كورِنثوس ٢: ٢).
- "أنتُمُ الذينَ أمامَ عُيونِكُمْ قد رُسِمَ يَسوعُ المَسيحُ بَينَكُمْ مَصلوبًا" (غلاطِيَّة ٣: ١).
- "ناظِرينَ إلَى رَئيسِ الإيمانِ ومُكَمِّلِهِ يَسوعَ، الذي مِنْ أجلِ السُّرورِ الموضوعِ أمامَهُ، احتَمَلَ الصَّليبَ مُستَهينًا بالخِزي، فجَلَسَ في يَمينِ عَرشِ الله" (عبرانيِّين ١٢: ٢).
- "الذي حَمَلَ هو نَفسُهُ خطايانا في جَسَدِهِ علَى الخَشَبَةِ، لكَيْ نَموتَ عن الخطايا فنَحيا للبِرّ. الذي بجَلدَتِهِ شُفيتُمْ" (١بطرس ٢: ٢٤).
- "في هذا هي المحَبَّةُ: ليس أنَّنا نَحنُ أحبَبنا الله، بل أنَّهُ هو أحَبَّنا، وأرسَلَ ابنَهُ كفَّارَةً لخطايانا" (١يوحنَّا ٤: ١٠).

كان صليب يسوع المسيح في جوهَرِ وعظ الرُّسُلِ لبشارة الإنجيل.[١]

١) من أجل دفاعٍ قويٍّ عن هذا التصريح، انظُرْ:

Leon Morris, The Apostolic Preaching of the Cross, 3rd rev. ed. (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1965, repr. 2001).

9Marks Online PDF

ما الذي حقَّقتْه ذبيحةُ المسيح؟ ماذا كان يفعل على الصليب؟ الإجابات عن هذه الأسئلة هي في قلبِ المسيحيَّة، وهكذا يمكنك أن تكونَ على يقين بأنَّ عقيدةَ كفَّارة المسيح هي الهدفُ الأوَّل للشيطان. يمكنك أيضًا التحقُّق من أنَّ كلَّ أشكال الخلافات ستحيط بمعنى هذا الحدث المركَزيِّ في المسيحيَّة.

في الواقع، ثمَّة إجاباتٌ عدَّة قويَّةٌ عن السؤال: "ماذا كان يفعل المسيح على الصليب؟"، وستكون إجاباتٍ مقنعةً صادقة، لكنَّها لن تعطيَ الحقيقةَ الكاملة. مثلًا، هل مات المسيح لإظهار محبَّة الله لنا؟ نعم، لكنْ أهذا كلُّ ما في الأمر؟

إذا أرَدْنا أن نكرزَ ببشارة الإنجيل ونعلِّمَها في كنائسنا، الإنجيل الذي يخلِّص الخطاة، وليس أيَّ إنجيل آخر؛ وإذا أرَدْنا تدريبَ أعضائنا على مشاركة الإنجيل بأمانة، وإذا أرَدْنا أن نضمَّ إلى العضويَّة أشخاصًا يضعون ثقتَهم في رسالة الإنجيل، وليس في أيِّ أمرٍ آخر– فإنَّ علينا أن نفهمَ ما كان يسوع يفعله على الصليب. فالصليب يجعل الإنجيل خبرًا سارًّا. ولفَهْم الصليب، علينا فهمُ قصَّة الذبيحة في الكتاب المقدَّس. ورغم أنَّ ذبيحةَ المسيح كانت الذبيحةَ الأهمَّ دون منازع، فهي لم تكُنِ الأولى في الكتاب المقدَّس. والذبائح التي جاءت قبل ذلك أُعطِيَتْ لنتمكَّن من فَهْمِ ما حدث في الجلجثة.

قصَّة الذبيحة

عندما نفكِّر في الذبيحة، فغالبًا ما نفكِّر في سياق إنكار الذات. ومن المفارَقات أنَّ القصَّة الكتابيَّة للذبيحة تبدأ بفَشَلٍ فادحٍ في إنكار الذات.

عندما انغمسَ آدم وحوَّاء في رغبتهما أن يكونا متساوِيَيْنِ مع الله، أغرقانا جميعًا في عالم يئنُّ تحت لعنة الله– عالم تصبح فيه الذبيحة هي النظامَ اليوميّ. ستحتاج البشريَّة ليس فقط إلى تبنِّي نظامِ الذبيحة عن الذات البشريَّة، بل نظام الذبيحة القضائيَّة، وهي ذبيحةٌ من شأنها إصلاح الانتهاك في علاقتنا بالله الذي نشبَ عن الخطيَّة. وبينما يتكشَّفُ سردُ الكتاب المقدَّس، يجري الإعلان بتدرُّجٍ عن الحاجة إلى الذبيحة وطبيعة تلك الذبيحة وآثارها. وهنا سأقسِّم القصَّة إلى ستِّة أجزاء.

9Marks Online PDF

١. يرفعُ قايين وهابيل الذبيحة الأولى في سفر التكوين ٤. ولا يوجد ذِكْرٌ للخطيَّة أو الدم مع هذه الذبيحة. ويُسمِّيها الكتاب المقدَّس تقدِمةً أو قربانًا، والفكرة هي إحدى التحيَّات الموجَّهة إلى ملكٍ عظيمٍ والخضوع لسيادته. هنا في الأصحاح الرابع من الكتاب المقدَّس، يُعلنُ الله لنا ما قد يكون الفكرةَ الأساسيَّة المتعلِّقة بالذبيحة: في الذبيحة نقدِّم إلى الله ما هو حقٌّ له بالفعل.

٢. ونرى الذبيحة التالية مسجَّلة في تكوين ٨. بعد الطُّوفان، يرفعُ نوح مجموعةً متنوِّعةً من الحيوانات الطاهرة لتكونَ ذبائحَ محرَقات. والسياق هو الشكر، وحقيقة أنَّها تقدِمات تُحرَق بالكامل لإيصالِ فكرة التقدِمة لتقديمِ الحيوانِ كلِّه إلى الله. يقول الكتاب المقدَّس إنَّ هذه التقدِمة تركَتْ أثرًا طيِّبًا عند الله. إذ يُخبرُنا الكتاب المقدَّس بأنَّ الربَّ تنسَّمَ رائحةَ الرِّضى وقالَ في قلبه: "لا أعودُ ألعَنُ الأرضَ أيضًا مِنْ أجلِ الإنسان، لأنَّ تصَوُّرَ قَلبِ الإنسانِ شِرِّيرٌ منذُ حَداثَتِه. ولا أعودُ أيضًا أُميتُ كُلَّ حَيٍّ كما فعَلتُ" (تك ٨: ٢١).

وظلَّتِ الخطيَّة التي دفعَتْ دينونةَ الله في قلوب نوح وأولاده، لكنَّ الله وعدَ بعدمِ تدمير البشريَّة جَمْعاء مرَّةً أخرى بتاتًا. هنا في الأصحاح ٨، نرى شيئًا جديدًا في قصَّة الذبيحة: بعض الذبائح تترُكُ أثرًا طيِّبًا عند الله وموقفه تُجاهَنا.

٣. ومع أنَّنا نسمع هنا عن مذبحٍ بُنِيَ في هذه المناسَبة، فإنَّ الكتاب المقدَّس لا يُسجِّل أيَّة ذبيحةٍ أخرى قبل تكوين ٢٢: ٢، عندما يتحدَّثُ الله بهذه الكلمات المروِّعة عن نسلِ إبراهيم، الذي به وعدَ بمباركةِ جميع الأمم:

> "خُذِ ابنَكَ وحيدَكَ، الّذي تُحِبُّهُ، إسحاقَ، واذهَبْ إلَى أرضِ المُريّا، وأصعِدهُ هناكَ مُحرَقَةً علَى أحَدِ الجِبالِ الّذي أقولُ لكَ".

كم يبدو الأمر فظيعًا! يبدو أنَّ الفكرةَ هي فكرةُ الهديَّة رفيعة المستوى لملكٍ عظيم ولسيادته. كلُّ شيء هو مُلكٌ لله، ولديه الحقُّ في استعادته، حتَّى لو كان ابنَك الوحيد. في اللحظة الأخيرة، أوقَفَ الله إبراهيم، لكنَّه أمَّنَ كبشًا للمحرَقة. لقد انتهى امتحانُ

9Marks Online PDF

ولاءِ إبراهيم، لكنْ لم ينتهِ أمرُ الذبيحة. جرَتِ التضحية بالكبش، وافتُدِيَتْ حياةُ إسحاق. وهكذا تطوَّرتْ قصَّةُ الذبيحة أكثر، إذِ اتَّضحَ أنَّ الله يمكن أن يقبلَ بديلًا عن الحياة التي حكمَ بموتها، كما قال إنَّه سيؤمِّنُ هو هذا البديل.

٤. تستمرُّ قصَّةُ عائلة إبراهيم، لكنَّ الذبيحة تنتقلُ إلى كواليس مسرح الأحداث من جديد حتَّى نجدَ أنفسَنا في مصر، مع حَفَدةِ إبراهيم العبيد المُضطَهَدين. رفضَ فِرْعَونُ إطلاقَ الشعب، لذلك حذَّره الله بأنَّه سيرسل ملاكَ الموت الذي سيضرب الذَّكَرَ البِكرَ في كلِّ بيوت مصر. وهناك قُدِّمَتْ ذبيحةٌ جديدة: حَمَلُ عيد الفصح. في سفر الخروج ١٢، يَعِدُ الربُّ بتجنيبِ البكرِ في العائلات العبرانيَّة مصيرَ الموت إذا أخذَتْ كلُّ عائلةٍ حملًا عمره سنة يكون دون عيب، وذبحَتْه، ووضعَتْ دمه على قائمتَي باب منزلها وعتبته العُليا. يقول الله إنَّ الملاك سيرى دم الذبيحة ويعبُر عنهم، ويُعفيهم من الدينونة التي واجهَها المصريُّون القدماء.

علاوة على ذلك، قال الله إنَّ ذلك العشاء سيكون علامةً تميِّزهم، حيث ميَّز الله ما بين الشعب القديم وبقيَّة أمم العالم، وكرَّسَهم لنفسه شعبًا خاصًّا. في تلك الليلة، نالَ الشعبُ الخلاص بسبب ذبيحة الفصح. وأخرجَ موسى الشعبَ من مصر إلى جبل سيناء حيث تعهَّد الله أن يكونَ إلهَهم ويعطيَهم شريعتَه ليكونوا شعبًا مقدَّسًا. وهنا تطوُّر آخَرُ في القصَّة؛ إذ إنَّ أولئك الذين نجَوا بفضلِ الذبيحة البدليَّة باتَتْ حياتُهم مرهونةً لله، مكرَّسين له ومن أجله.

٥. حتَّى هذه المرحلة، كان ثمَّة حالاتُ ذبائح بعدد أصابع اليدَين سجَّلها الكتاب المقدَّس. ولم يبدُ أنَّ هذا موضوعٌ أساسيٌّ فيه. غير أنَّ هذا تغيَّر مع إعطاء الناموس. سِفرٌ كاملٌ من الكتاب المقدَّس، أي سِفر اللاويِّين، يعطي تفاصيل موسَّعة عن مختلف الذبائح التي يجب أن يرفعَها بنو إسرائيل إلى الله. ثمَّة تقدِمات ومحرقات (قرابين تُحرَق بالكامل)، والتي سبق أن رأيناها. ثمَّ دخلَ أيضًا أكثر من ذلك، وأهمُّها ذبائح الكفَّارة والإثم. وراحَتْ تجتمع معًا كلُّ القطع التي جرى الإعلان عنها.

9Marks Online PDF

- وكان يُقدَّم فقط الحيوانات الطاهرة الخالية من العيوب.
- كلُّ عبرانيٍّ بِكرٍ، يمثِّل الأمَّة كلَّها، يجب أن يُفتدى بذبيحةٍ بدليَّة.
- والأمر البارز هو ذَبْحُ تقدِمةٍ بريئةٍ وإراقة دمها.
- فكرة الاستبدال هي أيضًا بارزة. نعلمُ من سِفر اللاويِّين أنَّه إذا أحضرَ أيُّ شخصٍ ذبيحة، "ويَضَعُ يَدَهُ علَى رأسِ المُحرَقَةِ، فيُرضَى علَيهِ للتَّكفيرِ عنهُ" (لاويِّين ١ : ٤). إنَّها طريقةٌ لقَول: "تقفُ هذه الذبيحة هنا من أجلي. ما هو على وشك أن يحدثَ لها كان يجب أن يحدثَ لي".
- يبدأ كلُّ يومٍ بذبائحَ وينتهي بذبائحَ في الهيكل. وكان الكهنة هم مَن يُقدِّمون تلك الذبائح ويعملون عمل الوسيط ما بين الله القدُّوس وشعبِه الخاطئ.
- وكان ثمَّة ذبائحُ إضافيَّةٌ تُقدَّم على رؤوس الأسابيع والشهور والفصول.
- وفي ذروة نظام الذبائح هذا كلِّه، يتربَّع يوم الكفَّارة على عرشَ تلك الذروة. يأخذُ رئيس الكهنة وحدَه دمَ الذبيحة إلى قدس الأقداس، ويرشُّ الدمَ على كرسيِّ الرحمة، العرش الرمزيِّ لله، للتَّكفير عن خطاياه وخطايا الشعب.

في هذه المرحلة من تاريخ الفداء، يتوقَّفُ تطوُّر قصَّة الذبيحة، أو بالأَحرى يتباطَأ. قرنٌ يَلي قرنًا، ولا يتغيَّر شيء. لم تُقدَّم أيَّةُ ذبائحَ جديدة، بل يجري تَكرار النظام المعروف للذبائح القديمة إلى ما لا نهاية، ويومًا بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع، وعامًا بعد عام. وتكمنُ المشكلة هنا في أنَّهم لم يتخلَّصوا من الخطيَّة. في الواقع، صاروا تذكيرًا مقزِّزًا على نحوٍ متزايدٍ بأنَّ البشرَ يظلُّون خُطاةً. بواسطة الأنبياء، شجبَ الله الأداءَ السطحيَّ المتكرِّرَ لهذه الذبائحَ؛ فما أرادَه الله هو التوبة وليس الطقوس. أمَّا الحالُ للشَّعبِ القديم، فإنَّ التوبة تلاشَتْ، رغمَ أنَّ الطقوسَ ظلَّتْ على حالها. وهكذا تعرَّضَتِ الأمَّة للسبي. ودون الهيكل، لا يمكن أن تكون هناك ذبائح. لعلَّ الناس عندها يعرفون أنَّ ما يريده الله هو التوبة.

9Marks Online PDF

عندما أعادَهم الله من سبيِ بابل، وأُعيدَ بناء الهيكل، استؤنفَتِ الذبائح. غير أنَّ الشعبَ لم يتغيَّروا، مع أنَّ أمورًا عدَّة أخرى تغيَّرت. قدسُ الأقداس فارغ، ولا يوجد كرسيٌّ رحمة لرئيس الكهنة ليقفَ أمامَه ويطلبَ الغفران. هناك فقط حجرةٌ فارغة. وهنا يقول ملاخي، آخِرُ أنبياء العهد القديم: "مَنْ فيكُم يُغلِقُ البابَ! بل لا توقِدونَ علَى مَذبَحي مجَّانًا. لَيسَتْ لي مَسَرَّةٌ بكُمْ، قالَ رَبُّ الجُنودِ، ولا أقبَلُ تقدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ" (ملاخي ١: ١٠). هذه كلماتٌ تقشعِرُّ لها الأبدان. إذا لم تكنْ هناك ذبيحةٌ يقبلها الله، فإنَّ شعبَ الله يتعرَّضُ لدينونةِ الله كما كانَتِ الدينونة في مِصرَ ليلةَ الفصح، أو كما كانَ إسحاق مُقيَّدًا على ذلك المذبح.

٦. ثمَّ يحدثُ أمرٌ لا يصدَّق: تبرزُ ذبيحةٌ سادسةٌ، وهي ذبيحةٌ لم يسبقْ لها مثيل، ومن شأنها أن تجعلَ كلَّ الذبائح المستقبليَّة غير ضروريَّة. فالله صادقٌ في كلامه لإبراهيم. لن يقبلَ ذبيحةً من أيدي شعبِه الخاطئ، لذا فهو يقدِّمُ ذبيحةً بدلَ ذلك. يرسل ابنه، الذي يأخذ جسدَ بشريَّتنا، ثمَّ يبذلُ حياتَه ويسفكُ دمَه ذبيحةً مقبولةً بدلًا من شعبه- الشعب الذي ينتمي ليس فقط إلى أمَّةٍ واحدة، بل إلى كلِّ الأمم.

هناك في الجلجثة، حقَّقَ المسيحُ كلَّ ما عنَتْه ذبائح العهد القديم، وأنجزَ ما لم يتمكَّنوا من إنجازه. بواسطة دمه، كفَّر عن خطايا شعبه وصالحَهم مع الله. ولإثباتِ أنَّ الله قَبِلَ تلك الذبيحة، أقامَ يسوعَ من بين الأموات، بحيث يصيرُ النظام من تلك اللحظةِ فصاعدًا إلى الأبديَّة أنَّ كلَّ مَن يتوبُ عن خطاياه ويضعُ إيمانه في ذبيحة المسيح، يُفتدى من العبوديَّة إلى الحرِّيَّة، ويصيرُ حرًّا في أن يعيشَ حياةَ الولاء والحمدِ لله.

أنماط الخطّ الزمنيّ للقصَّة

هذه هي قصَّة الذبيحة. فما الأنماط التي نراها؟ وماذا نتعلَّم عن ذبيحةِ المسيح من طريقةِ سرْدِ قصَّة الذبيحة؟

9Marks Online PDF

دراسة رموز الذبائح

النمطُ الأوَّل الذي يجب ملاحظتُه هو النمط نفسه- نمط الذبيحة. مرَّةً أُخرى، نحن ننظر إلى دراسة الرموز. هناك رمزٌ من شيء، ثمَّ شيءٍ آخَرَ، ثمَّ آخَرَ. يقول الله لنا أن نركِّزَ انتباهَنا على هذا. إنَّ سَفْكَ الدم ليس شيئًا نفكِّر فيه كثيرًا اليوم، لكنَّ من الواضح أنَّ الكتاب المقدَّس مهتمٌّ به. لماذا؟ ما الذي يقوله هذا؟

أيضًا، لاحَظْنا اتِّجاهًا تصاعديًّا مع هذه الرموز. حملَتْ ذبيحة هابيل معاني الشكر، وكانت ذبيحةُ نوح شكرًا واسترضاءً للرَّبّ. وتضمَّن جزءُ إبراهيم وإسحاق كلَّ هذا، علاوةً على أفكار التكريس المطلَق وظهور البديل. وقدَّمَتْ ذبيحة الفصح فكرةَ الحمل الطاهر، والابن البكر بكونه ممثِّلًا للشعب، وفكرة تمييز شعبٍ ما. ثمَّ شدَّدَتِ الذبائحُ في سِفر اللاويِّين على مفهوم التكفير عن الخطيَّة.

لذلك، يجري تَكرار نمطٍ أو رمزٍ ما. لكنَّ هناك نسقًا تصاعديًّا في النمط.

الفجوات (الانقطاع) في النمط

غير أنَّ الأمرَ يتضمَّن ليس فقط التصاعديَّة والاستمراريَّة، بل هناك انقطاع، لا سيَّما عند الوصول إلى المسيح. وقد تكرَّرتِ الذبائح الواردة في سِفرِ اللاويِّين باستمرار، أمَّا ذبيحة المسيح فكانت مرَّةً واحدة. كانت ذبائح اللاويِّين لأمَّةٍ من عِرقٍ واحد، أمَّا ذبيحة المسيح فلِجَميع الأمم.

الوعد وتحقيقه

أحد الأنماط الأخرى التي يجب أن نلاحظها في هذه القصَّة هو الوعد وتحقيقه. هناك الكثير من الوعود التي يمكن أن أسلِّط الضَّوء عليها، مثل وعد الله لنوح. ولأُشِرْ إلى اثنَين منها.

أوَّلًا، هناك علاقةٌ ما بين وعد الله بمعاقبة الخطيَّة بواسطة الموت، أي وعد الله بخلاص شعبه من الحيَّة، وتأسيس مفهوم الذبيحة. تقدِّمُ الذبائح تحقيقًا بدليًّا لوعد الله بمعاقبة الخطيَّة (يُختبَر بوجود آخَر). لكنْ لأنَّ الذبائحَ غير مباشرة، فهي تُنجِزُ الخلاصَ الموعود، على الأقلِّ موَقَّتًا. وهكذا، تربطُ الذبيحةَ في الواقع ما بين وعودٍ عدَّة في الكتاب المقدَّس.

9Marks Online PDF

ثانيًا، ثمَّة علاقةٌ ما بين وعد الله لإبراهيم- بأنَّ نسله سيكون بركةً لجميع الأمم- وذبيحة المسيح؛ فقد حقَّق المسيح هذا الوعد لإبراهيم ليس فقط بنسلِ إبراهيم وخدمة ذلك النسل، بل بواسطة ذبيحتِه. وهكذا، فإنَّ صليب المسيح، وليس مجرَّدَ شخصه، هو بركةٌ لجميع الأمم، وهو في جوهرِ الأخبار السارَّة للإنجيل.

وضْعُ كلِّ شيء في إطارٍ نظاميّ

ما الغرض من الإشارة إلى هذه الأنماط؟ إنَّها مفيدة في مساعدتنا على فَهْم مَن يكون يسوع، وما حقَّقتْه ذبيحتُه، وحاجتنا إلى ذبيحته. تشيرُ كلُّ هذه الأنماط إلى يسوع، وتساعدنا على فَهْمه. لقد وضَعتْ تلك الأنماطُ السياقَ لمجيئه، وهي تُقدِّم إلينا "تفسيرًا مسبَّقًا"، إذا صحَّ التعبير.

على مرِّ السنين، اقترحَ بعضُ الدارسين أنَّ المسيح ماتَ في المقام الأوَّل ليكونَ مثالًا لنا، لإلهامنا بمزيدٍ من المحبَّة لله. واقترحَ آخرون أنَّ موت المسيح كان مجرَّد دليلٍ على مدى كراهية الله للخطيَّة. أمَّا آخرون فقالوا إنَّه كان دليلًا على رحمةِ يسوعَ وتماهيهِ (اتِّحاده) مع الخطاة.

في هذه الأيَّام، يقول بعض الناس إنَّ يسوعَ مات ببساطةٍ لإعلان الانتصار على الخطيَّة والموت ولإظهار سيادته. ويمكننا أن نشير إلى أعدادٍ في العهد الجديد تذكُرُ كلَّ هذه الأمور- أنَّ يسوع مات ليكونَ مثالًا- ولإظهار كراهية الله للخطيَّة، وإعلان النصر على الخطيَّة والموت. وتؤدِّي كلُّ هذه دورًا لأجله مات يسوع، وهي تمثِّلُ دورَ خطيَّتي وخطيَّتك؛ فنحن نحتاجُ إلى شخصٍ ما ليكونَ مثالًا يُحتَذى، ونحتاجُ إلى شخصٍ يتَّحدُ معنا في الضعف، وإلى شخصٍ يهزمُ الموت. لكنْ هل هذا كلُّ ما نحتاج إليه؟

9Marks Online PDF

علاوةً على ذلك، عددٌ متزايدٌ من الناس الذين يدَّعون أنَّهم إنجيليُّون يقولون مثل هذه الأشياء، كما أنَّهم يُنكِرون أيضًا أمورًا أخرى عن الصليب. إنَّهم يُنكِرون أنَّ يسوع ماتَ بديلًا، أيْ مات ليحملَ خطايانا ويأخُذَ عقابَنا، كما يُنكِرون وجودَ جانبٍ عقابيٍّ للصليب أصلًا.[٢]

لكنْ بالنظر إلى القصَّة والأنماط التي لاحَظْناها، فإنَّ مثل هذه التفسيرات ليسَتْ أمينةً للكتاب المقدَّس، كما أنَّها تُقوِّضُ الأخبار السارَّة للإنجيل نفسه. والآتي، في اعتقادي، هو تقديمٌ أكثرُ إخلاصًا لما يقوله الكتاب المقدَّس عن صليب يسوع المسيح.

١. المشكلة الأساسيَّة للبشريَّة: الخطيَّة والذَّنْب الذي تجلبُه

ليسَتْ مشكلتُنا الأساسيَّة هي الموت، وليسَتِ العلاقةَ المقطوعة، كما أنَّها ليست حاجتَنا إلى المحبَّة أو مثالِ المحبَّة، بل المشكلة الأساسيَّة مع العالم والبشريَّة هي الخطيَّةُ والذَّنْبُ وغضبُ الله الذي جلبَتْه الخطيَّة.

أتحدَّث هنا بشأن الحاجة إلى الذبيحة. قبل السقوط، لم يكُنْ آدم وحوَّاء يحتاجان إلى قَتْلِ حيوانٍ وتقديمه إلى الله. كانا في علاقةٍ صحيحةٍ بالله الصالح القدُّوس. لكنْ في اللحظة التي دخلت فيها الخطيَّة، صارتْ حياةُ آدم وحوَّاء خاسرةً بسبب الخطيَّة والذَّنْب. ونقرأ في رومية ٦: ٢٣، ترديدَ كلمات الله لآدم في تكوين ٢، أنَّ أجرة الخطيَّة هي الموت. أتَتِ الخطيَّةُ أوَّلًا، ثمَّ أتى الموت.

هذه هي المشكلة التي تهدف الذبيحة الكتابيَّة إلى حلِّها. لا نحتاج في المقام الأوَّل إلى مثالٍ ملهمٍ للمحبَّة، أو الانتصار على قوى الظلام، أو الانتصار على الموت، بل إنَّ الله الأزليَّ القدُّوسَ غاضبٌ منَّا بالعدل بسبب عصياننا، ونحن نحتاج إلى طريقةٍ للهروب من عقوبة عدالته؛ لأنَّنا لا نستطيع تحمُّلَ هذه العقوبة بأنفسنا. ونحن نحتاج إلى ذبيحةٍ وَفْقًا للكتاب المقدَّس.

---

٢) يمكن الرجوع إلى معالجَةٍ شاملةٍ لهذه الانتقادات في:

Steve Jeffery, et al, *Pierced for Our Transgressions: Rediscovering the Glory of Penal Substitution* (Nottingham, UK: Inter-Varsity Press, 2007; Wheaton, IL: Crossway, 2007).

وللاطِّلاع على ردٍّ مطوَّل باستخدام التفسير التحقيقيّ، انظرْ:

Mark Dever and Michael Lawrence, *It Is Well: A Series of Expositional Sermons on Substitutionary Atonement* (Wheaton, IL: Crossway, 2010).

9Marks Online PDF

٢. جاء المسيح ليموت بديلًا

تكون الذبيحة الفعَّالة بوجود بديل. رأينا كبشًا يُذبَح بدلَ إسحاق، ورأينا حملَ الفصح يُذبَح بدلَ المولود البِكر، ونرى النمطَ نفسَه من البدليَّة في سِفر اللاويِّين- وتبرز هذه الفكرة عندما يضع الشخص يده على الحيوان (الذي سيُذبحَ بديلًا). وبالطريقة نفسها، قدَّم يسوع ذبيحةً فعَّالةً لنا بتقديم نفسه إلى الله بديلًا.

٣. جاء المسيح ليموتَ بمنظور البدليَّة العقابيَّة

تتلقَّى الذبيحةُ العقوبةَ التي يستحقُّها الخاطئ. وهكذا يموت البديل، كما يأخُذُ قضائيًّا الحكم الذي كان يجب أن يُنفَّذَ في الخاطئ.

يُعلِّم العهدان القديم والجديد بوضوحٍ أنَّ المسيحَ ماتَ على الصليب من منظور البدليَّة العقابيَّة، آخذًا العقابَ الذي يستحقُّه شعبه. وهذا ما تنبَّأ عنه النبيُّ إشعياء. ففي حديثٍ بشأن المسيَّا المنتظَر، يقول إشعياء:

> "لكنَّ أحزانَنا حَمَلها، وأوجاعَنا تحَمَّلها. ونَحنُ حَسِبناهُ مُصابًا مَضروبًا مِنَ الله ومَذلولًا. وهو مَجروحٌ لأجلِ مَعاصينا، مَسحوقٌ لأجلِ آثامِنا. تأديبُ سلامِنا علَيهِ، وبحُبُرِهِ شُفينا. كُلُّنا كغَنَمٍ ضَلَلنا. مِلنا كُلُّ واحِدٍ إلَى طريقِهِ، والرَّبُّ وضَعَ علَيهِ إثمَ جميعِنا" (إشعياء ٥٣: ٤- ٦).

وقد قال يسوع الأمر نفسَه عن ذاته: "أنا هو الرَّاعي الصَّالِحُ، والرَّاعي الصَّالِحُ يَبذِلُ نَفسَهُ عن الخِراف" (يوحنَّا ١٠: ١١). لم يرَ يسوع موتَه على أنَّه مثال، أو إطارٌ تمثيليّ، أو حتَّى بصفةِ مَوتٍ عامٍّ مفتوح لا يُشيرُ إلى أيِّ شخصٍ بالتحديد، لا، بل بذلَ يسوع حياتَه ليكونَ ذبيحةً فعَّالة، من منظورِ بدليَّةٍ عقابيَّةٍ عن خرافه.

ويؤكِّد بولس الرسول الفكرة ذاتها: "الذي قَدَّمَهُ الله كفَّارَةً بالإيمانِ بدَمِهِ، لإظهارِ برِّهِ، مِنْ أجلِ الصَّفحِ عن الخطايا السَّالِفَةِ بإمهالِ الله، لإظهارِ برِّهِ في الزَّمانِ الحاضِرِ، ليكونَ بارًّا ويُبَرِّرَ مَنْ هو مِنَ الإيمانِ بيَسوع" (رومية ٣: ٢٥- ٢٦). ويأخُذُنا هذا إلى الدرس المقبِل.

9Marks Online PDF

٤. جاء المسيح ليموتَ بمنظور البدليَّة العقابيَّة لاسترضاء غضب الله

تسترضي ذبيحة المسيح سخطَ الله. ما الذي أعنيه بذلك؟ أعني ببساطة أنَّ الذبيحةَ الفعَّالةَ تلبِّي في الواقع مطالبَ العدل، بتحمُّلها العقوبة التي تستحقُّها خطايانا، وتزيلُ هذه الذبيحة السببَ الحقيقيَّ لغضب الله من الخاطئ. إذا فكَّرتَ من جديدٍ في قصَّة الذبيحة، لعلَّك تذكرُ أنَّنا رأينا مفهوم الاسترضاء في ذبيحة نوح. كانت ذبيحة نوح مُرضِية للرَّبّ. ونرى هذا أيضًا في إشارات متكرِّرة في كلِّ أرجاء سفر اللاويِّين أنَّ رائحةَ ذبيحةِ المحرَقة كانت "رائحةَ سرورٍ للرَّبّ".

٥. جاء المسيح ليموت من منظور البدليَّة العقابيَّة لاسترضاء غضب الله والتكفير عن شعبه

حينما يُشيح الله بنظره عن غضبه، فإنَّ ذلك يقودُنا إلى تأثيرٍ آخَرَ للذبيحة: أنَّ الذبيحةَ الفعَّالة تكفِّر عن الخطيَّة. لقد رأينا بالفعل أنَّ ذورة السنة اليهوديَّة كانت يومَ الكفَّارة. فما معنى الكفَّارة بالضَّبط؟ الكلمة العبريَّة للكفَّارة تعني "الغطاء". لذا يمكن القول إنَّ الكفَّارة تغطِّي خطايانا وتجعلنا "واحدًا" مع الله. بعد أن هدَّأَتِ الذبيحةُ غضبَ الله، تنالُ مغفرة الخطيَّة التي تسبَّبت في غضب الله، وتزيل الذَّنْبَ الذي أحدَثَتْه الخطيَّة.

٦. جاء المسيح ليموت بمنظور البدليَّة العقابيَّة الفعَّالة لاسترضاء غضب الله والتكفير عن شعبه مرَّةً وإلى الأبد

في حين تكرَّرتِ الذبائح والمحرَقات بحسب سِفر اللاويِّين مرَّاتٍ ومرَّات، فإنَّ سفرَ العبرانيِّين يلفتُ انتباهنا إلى حقيقةِ أنَّ المسيح بذلَ نفسَه ذبيحةً مرَّةً واحدة.

> "...لأَنَّهُ فعَلَ هذا مَرَّةً واحِدَةً، إذ قَدَّمَ نَفسَهُ" (عبرانيِّين ٧: ٢٧).
>
> "...دَخَلَ مَرَّةً واحِدَةً إلَى الأقداس، فوَجَدَ فِداءً أبديًّا" (عبرانيِّين ٩: ١٢).
>
> "...لكنَّهُ الآنَ قد أُظهِرَ مَرَّةً عِندَ انقِضاءِ الدُّهورِ ليُبطِلَ الخَطيَّةَ بذَبيحَةِ نَفسِهِ" (عبرانيِّين ٩: ٢٦).

9Marks Online PDF

كان نظام الذبائح كلُّه مجرَّدَ صورة، وسيلةً تعليميَّةً، موضوعةً، كما يقول بولس الرسول في غلاطيَّة، لتقودنا إلى المسيح، والتعرُّف إليه عند ظهوره. وحيث إنَّ المسيح ظهرَ بيننا، لم تَعُدْ ثمَّة حاجةٌ إلى الصورة. فموت يسوع المسيح على الصليب قد نحَّى غضب الله جانبًا واسترضاه. وكما يقول كاتب العبرانيِّين: "لأَنَّهُ لا يُمكِنُ أَنَّ دَمَ ثيرانٍ وتُيوسٍ يَرفَعُ خطايا" (عبرانيِّين ١٠: ٤)، كما يقول أيضًا: "... نَحنُ مُقَدَّسونَ بتقديمِ جَسَدِ يَسوعَ المَسيحِ مَرَّةً واحِدَة" (عبرانيِّين ١٠: ١٠).

والخبر السارُّ في المسيحيَّة هو أنَّ يسوع المسيح على الصليب قد أتمَّ الخلاص. لقد هدَّأ غضبَ الله، وكفَّرَ عن الخطيَّة.

السؤال المهمُّ هو: هل فعلَ هذا من أجلك؟ قال يسوع إنَّه بذلَ حياته فديةً عن كثيرين. هل أنت من بين الكثيرين؟ قال يسوع إنَّه يضع حياتَه من أجل خرافه. ومَن خرافه؟ إنَّهم أولئك الذين يسمعون صوته ويتبعونه مُلَبِّينَ دعوَتَه. نقرأ في يوحنَّا ٣: ١٨: "الذي يؤمِنُ بِهِ لا يُدانُ، والذي لا يؤمِنُ قد دينَ، لأَنَّهُ لم يؤمِنْ باسمِ ابنِ الله الوَحيد".

لقد أنجز يسوع المسيح الفداء لكلِّ مَن يسمع صوتَه ويتبَعُه بتوبةٍ وإيمان. نحن لا نكرزُ بإمكانيَّات أو احتمالات، ونحن بالتَّأكيد لا نعظ بكفَّارةٍ يجب أن تكتمل بتجاوُبِنا، بل نعِظُ بالخلاص الذي أُنجِزَ على الصليب، وندعو البشرَ في كلِّ مكانٍ إلى الاتِّكالِ تمامًا على يسوع بالتوبة والإيمان.

ويقودنا هذا إلى نهاية الذبيحة في الكتاب المقدَّس. في قصَّةٍ مشبَّعةٍ بدماء الذبيحة التي سُفِكَتْ مِرارًا وتَكرارًا، من اليسير ملاحظةُ أنَّ الذبيحة انتهَتْ في الصليب. لا توجد ذبيحةٌ أخرى يمكن أن يقدِّمها البشر لدَفْع ثمن خطاياهم أمام إلهٍ قدُّوس.

٧. إنَّنا ننالُ الخلاصَ بالإيمان وحده

هذا هو السبب في أنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث بضرورةِ الإيمان الشخصيِّ في المسيح المصلوب والقائم لنَيلِ الخلاص. ليس الأمرُ أنَّ الإيمانَ نفسَه يخلِّص. الإيمان هو الوسيلة التي تعترف بها بأنَّ المسيح بديلٌ لك. مثل شعبِ العهد القديم الذين وضعوا أيديهم على الحيوانات قبل ذبحها، هكذا يتكِّلُ الإيمان على المسيح ويثق بأنَّه كان يموتُ بدلًا منه ومن أجله بموته على الصليب. لا يكفي أن

9Marks Online PDF

تولَد في عائلةٍ مسيحيَّة، أو أن تعتمدَ، أو أن تذهب إلى الكنيسة، أو ما شابَه. كلَّا، بالإيمان يجب أن تؤمنَ بأنَّ المسيح ذُبِحَ من أجلك.

٨. إنَّنا ننالُ الخلاص بالإيمان وحده، بالمسيح وحده

ليس فقط أنَّ المسيح هو أفضل مثال على البديل، بل هو أيضًا البديل الوحيد؛ إذ لم يَعِشْ أيُّ شخصٍ آخرَ حياةً مثاليَّة. ليس الأمرُ أنَّ موتَه اقتربَ إلى مستوى الدينونة التي نستحقُّها، بل إنَّ المسيح احتملَ على الصليب غضبَ الله من خطايانا واستنفدَه. إنَّه الذبيحة الأخيرة؛ لأنَّه الذبيحةُ الحقيقيَّة الأولى والذبيحة الفعَّالة الوحيدة التي قُدِّمَتْ أو ستُقدَّم يومًا.

إنَّ تفرُّدَ هذه الذبيحة أمرٌ مهمّ. فلن تكون هناك فرصةٌ ثانيةٌ بعد الموت، ولا توجد وسيلةٌ بديلةٌ للوصول إلى السماء. هناك ذبيحةٌ واحدةٌ فقط تصالحُ الخطاة مع الله، ومن ثَمَّ اسمٌ واحدٌ فقط تحت السماء به ينبغي أن نخلص. نحن جميعًا نحتاج إلى الذبيحة. والخبر السارُّ في المسيحيَّة هو أنَّ الله نفسَه قدَّم تلك الذبيحة. اسمُه يسوع، وبكلِّ فرحٍ أبديٍّ نكرزُ به مصلوبًا.

الخلاصة: ذبيحةٌ واحدةٌ إضافيَّة؟

مع كلِّ ما قيل، فإنَّ ثمَّة ذبيحةً أخرى في الكتاب المقدَّس يجب مراعاتها. وهي ليسَتْ ذبيحةً ينالُ بها المرءُ الخلاص، ولا هي تُضيفُ شيئًا إلى الخلاص، بل هي ذبيحةٌ تتبع الخلاص. عندما يدعو يسوعُ شخصًا ما، فإنَّه يدعوه إلى حَمْلِ صليبه واتِّباعه. ويستخدم بولسُ لغةً مماثلةً عندما يقول في رومية ١٢: ١ إنَّ على المؤمنين بالمسيح أن يقدِّموا أجسادَهم "ذبيحة حيَّة". فما الذي يعنيه بولس بذلك؟

قبل السقوط، كان آدم وحوَّاء مخلوقَين على صورة الله. وكانت حياتهُما تهدفان لأنْ تكونا إكرامًا وتقدِمةَ تسبيحٍ لله. في النهاية، فإنَّ غايةَ ذبيحة المسيح أو غرضَها هو أن نقدِّم حياتَنا ثانيةً إلى الله ذبيحةً، وليس ثمنًا للخطيَّة، بل ذبيحةُ تسبيحٍ حيَّة له على نعمته المجيدة.

أعتقد أنَّ معظمَنا يصارع مع مفهوم الذبيحة المضحِّية. فمن الصعب أن يُضحِّي المرء بحياته من أجل الآخرين، وأن يحبَّ أعداءه، ويردَّ على الإساءة باللُّطف، ويتركَ غنى هذا العالم من أجل

9Marks Online PDF

كنزٍ في السماء. فإذا حاوَلْنا تقديم هذه الذبائحِ جزءًا من ثمن الخطيَّة لأجل استرضاء الله ولأجل مسرَّته، فسوف نفشل حتمًا. أمَّا عندما نعلِّم أنفسَنا وخِرافَنا بأمانةٍ أنَّ الله لم يَعُدْ غاضبًا لأنَّ المسيح دفعَ ثمنَ العقوبة، فإنَّ أمرًا ما يتغيَّر. والآن لا تُقدَّمُ هذه الذبائح الحيَّة في خوف، بل في محبَّة. بكلماتٍ أخرى، هي ليست ذبائحَ بتاتًا، بل ببساطةٍ دليلٌ على أنَّنا محبوبون في المسيح، ونحن نشابه صورةَ المسيح مثل ذبيحةٍ حيَّةٍ تسبيحًا لله.

إحدى أكثر الصور المذهلة للذبيحة في الكتاب المقدَّس موجودة في رؤيا يوحنَّا ٥. نتعلَّم هنا أنَّ يسوع المسيح، الذي وضعَ الله خُطَّةَ موته قبل تأسيس العالم، سيحمل إلى الأبد علاماتِ تضحِيَته. وفوق هذا، ستكون هذه العلامات موضوعَ دهشتِنا وعبادتِنا وتسبيحنا إلى الأبد؛ لأنَّها علاماتُ خلاصنا. الخروف المذبوح هو الصورة التي نشابهها. إنَّه المصير الذي نتَّجه إليه. بسبب ذبيحة المسيح، سنكون ذبيحةَ تسبيحٍ حيَّة إلى الأبد لِمَن يستحقُّ التسبيحَ وحدَه، المسيح فصحنا، الحمل المذبوح، الذي كان ميِّتًا، لكنَّه حيٌّ الآن إلى الأبد.

9Marks Online PDF

الفصل العاشر

قصّة الوعد

بعضُ أصعب المواقف التي أتعامل معها بوصفي قسًّا تتضمَّن الوعود التي يقطعها الناس. من وعودٍ كبيرةٍ مثل "حتَّى يفرِّق بيننا الأجل (الموت)" إلى الوعود الصغيرة مثل "سأكون في المنزل بحلول الساعة السابعة". ليس فقط أنَّ الناسَ يقطعونَها، بل هم أيضًا يعتمدون عليها ويبنون حياتَهم حولها. لكنْ يبدو أنَّ الناس لا يَفون بالوعود التي قطعوها. ويُنتِج هذا العلاقات المحطَّمة، والعواطف التي اجتاحَها الأذى، والتبادُل الغاضب للاتِّهامات. ويأتي إلى مكتبي عددٌ ليس بقليلٍ من الذين لم تُوَفَّ وعودُهم، يطلبون المساعدة لوضع الأمور في نِصابِها الصحيح من جديد.

عادة ما نبني حياتنا على الوعود. من القروض والرهون العقاريَّة إلى عهود الزواج، ومن الوعود التي تقطعها قنوات نتفلكس إلى وعودِ حلف شمال الأطلسيّ، بُنيَ عالمُنا كلُّه بوسائل متنوِّعة على فكرةِ أنَّ الوعودَ يجري تحقيقها والوفاء بها. وخزَ مارتن لوثر كِنغ الابن ضميرَ أميركا عندما قال: "لقد حان الوقت لتقديم وعودٍ حقيقيَّةٍ للديمقراطيَّة"، وغرسَ الجنرال ماك آرثر غرس الرجاء في الآلاف عندما وعد: "سأعود".

لماذا نقطع الوعود؟ كتبَتْ حنَّة أرندت أفكارًا ثاقبةً في هذا الشأن، حيث تقول: "الوعود هي الوسيلة الإنسانيَّة الفريدة لترتيب المستقبل، ما يجعلُه قابلًا للتوقُّع وموثوقًا به إلى الحدِّ الذي يكون

9Marks Online PDF

فيه هذا ممكنًا من الناحية الإنسانيَّة".[1] تربطُنا الوعودُ بعضنا ببعض، كما تربطُنا بالتزامٍ مشترَك للمستقبل. وكما يقول الصحفي الأميركيُّ هربرت أغار، في أحيانٍ عدَّة: "تستند الحضارة إلى مجموعة من الوعود".

يا له من أساسٍ هشٍّ لأمرٍ على هذا القدر من الأهمِّيَّة! حقيقةُ أنَّ حياتنا، فرديًّا وجماعيًّا، تعتمد على الوعود تعني أنَّ حياتنا تُمضي أوقاتًا في الانتظار والرجاء والإيمان. ثمَّة انتظارٌ ما بين الوعد وتحقيقه، ويتطلَّبُ هذا الانتظار منَّا أن نعيشَ بالإيمان.

وما يجعل هذا صعبًا جدًّا بالتأكيد هو معرفتُنا أنَّ الناس لا يتقيَّدون بالوعود المقطوعة في أحيانٍ كثيرة. عندما كنَّا أطفالًا، حَنثَ أصدقاؤنا بوعودهم لنا، وفعل آباؤنا الأمرَ ذاته. وحينما صِرنا راشدين، فعَلْنا الأمر ذاته، لكنْ بمستويات أخطَر، حيث ينهار الزواج، واتِّفاقيَّات العمل يُخَلُّ بها.

لكنَّ المدهشَ هو أنَّ مقابل كلِّ طلاقٍ أو خيانة، أو عقدٍ مُنتَهَك أو تحالُف مُقوَّض، نستيقظ في اليوم التالي ونقطعُ وعودًا جديدة. بطريقةٍ ما، قصَّة حياتِنا هي قصَّة وعودٍ قُطِعَتْ، بعضها جرى تحقيقه والوفاء به، وبعضها الآخر باتَ منتَهَكًا.

لماذا؟

في الأساس، نقطعُ وعودًا لأنَّنا نعيش في كونٍ خلقَه الله الذي يقطعُ وعودًا. إذا أرَدْنا أن نعرفَ هذا الإله، فعلينا أن نفهمَ قصَّة الوعد الكتابيَّة والله الذي قطعَ ذلك الوعد. بمعنًى عميقٍ جدًّا، قصَّة الكتاب المقدَّس هي تحديدًا قصَّة وعدٍ واحدٍ، قطعه الله نفسُه، وحقَّقه وحفظَه. عندما نفهمُ هذه القصَّة، نحن أيضًا في وضعٍ يمكِّننا من مساعدة الذين أصيبَتْ حياتُهم بألمِ الوعود غير المحفوظة.

قصَّة الوعد

ما القصَّة الكتابيَّة لوعد الله؟ تبدأ القصَّة في الأماكن الأقلِّ توقُّعًا. إذ تبدأ بكلماتِ لعنة الله بعد السقوط. لقد اختارَ آدم وحوَّاء عصيان الله، لذلك جلبَ عليهما العقاب العادلَ على

1) Hannah Arendt, *Crises of the Republic: Lying in Politics, Civil Disobedience, On Violence, Thoughts on Politics and Revolution* (New York: Houghton Mifflin Harcourt, 1972), 93–92.

9Marks Online PDF

خطيَّتهما. لكنَّ الله وعد في حكم الدينونة نفسه قائلًا: "وأَضَعُ عَداوَةً بَينَكِ وبَينَ المرأةِ، وبَينَ نَسلِكِ ونَسلِها. هو يَسحَقُ رأسَكِ، وأنتِ تسحَقينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥). وعد الله بأن يجعلَ انقسامًا وخُصومةً ما بين شعبه، أي نسل المرأة، وشعب الشيطان، أي نسل الحيَّة. وقد وعدَ الله بأنَّه سيولَد يومًا ما الابنُ الذي سيهزم الشيطانَ ويخلِّص شعبَ الله من خطيَّتهم. وقد كان هذا الوعدُ مفاجأةً صاعقة. لم يفعلْ آدم وحوَّاء أيَّ شيء لاستحقاقِ ذلك، لكنَّ الله أقرَّ بالوعد رغم عدم استحقاقهما.

لاحِظْ أنَّ للوعد جانبَين: سيحاربُ نسلُ الحيَّة نسلَ المرأة، وسينتصر نسلُ المرأة. ويُعدُّ هذا الوعدُ، وكلُّ المرَّات التي تحقَّق فيها، سِمةً مميَّزةً لتاريخ الفداء. سيجري تحدِّي هذا الوعد مِرارًا وتكرارًا، حتَّى بدا أنَّ تحقيقَه فشل، غير أنَّ الوعدَ سوف يسود.

قتلَ قايين هابيل، لكنَّ الله حفظَ نسلَ آدم بِابْنِه شيث. أمسكَتِ الخطيَّة البشريَّة كلَّها، واستحقَّ البشرُ دينونةَ الله، لكنَّ وعدَ الله يظلُّ قائمًا، ويحفظُ نوحًا وعائلته. ثمَّ يقدِّم الله وعدًا آخَر، لضمان تحقيق وعده بالخلاص، حيث يقول الوعد إنَّ الله لن يدمِّر البشريَّةَ ثانيةً بالطُّوفان.

تمضي قرون، وتظلُّ البشريَّة على حالٍ مماثلةٍ لما كانت عليه قبل الطُّوفان، غير أنَّ الله لم ينسَ وعده. وفي سفر التكوين ١٢، اختارَ الوعدَ الأصليَّ وراحَ يكشفُ تفاصيله بالتَّدريج. اختارَ أبرام، الشيخَ العقيم، ووعدَه قائلًا:

> "فأجعَلكَ أُمَّةً عظيمَةً وأُبارِكَكَ وأُعَظِّمَ اسمَكَ، وتَكونَ بَرَكَةً. وأُبارِكُ مُبارِكيكَ، ولاعِنَكَ ألعَنُهُ. وتَتَبارَكُ فيكَ جميعُ قَبائلِ الأرضِ...وظَهَرَ الرَّبُّ لأبرامَ وقالَ: «لنَسلِكَ أُعطي هذِهِ الأرضَ». فبَنَى هناكَ مَذبَحًا للرَّبِّ الّذي ظَهَرَ لهُ" (تكوين ١٢: ٢- ٣، ٧).

ومن جديد ارتفعَ تهديد الحيَّة حيث قرَّرَ أبرام أن يحقِّقَ وعدَ النسل بعمل يدَيه، فولدَ من الجارية هاجرَ ابنًا هو إسماعيل. إلَّا أنَّ الله لم يحتَجْ إلى مساعدة أبرام، وأصرَّ أن يتحقَّقَ وعدُه بالنعمة، لا بالجهد البشريّ. وجدَّد الله وعدَه وغيَّر اسمَ أبرام إلى إبراهيم، "وافتَقَدَ الرَّبُّ سارَةَ كما قالَ...

9Marks Online PDF

فحَبِلَتْ سارَةُ وولَدَتْ لإبراهيمَ ابنًا في شَيخوخَتِه...“ (تكوين ٢١: ١، ٢). وهكذا ولدَتْ سارة العاقر إسحاقَ، الطفلَ المعجزة.

بعد مرور جيل تقريبًا، نشأ تنافُسٌ ما بين ابنَي إسحاق، أي يعقوب وعيسو، حيث حاولَ عيسو إهلاك يعقوب. لكنَّ يعقوبَ هو النسلُ المختار، وقد حفظَه الرَّبّ. كان ليعقوبَ اثنا عشر ابنًا، وبدا منذ ذلك الحين أنَّ الوعدَ بأنْ يصيرَ أمَّةً عظيمةً في طريقه إلى التحقُّق.

لكنْ جرى تحدِّي وعدِ الله من جديدٍ بصراعٍ اتَّسمَ بالغَيرة ومحاوَلة اغتيال، وتمثَّلَ ذلك بعبوديَّة يوسف وسجنه، والمجاعة التي هدَّدَتْ بإهلاك العائلة كلِّها. لكنَّ الله أمين، وقد استخدمَ بسيادته معاناةَ يوسف، التي قصدَها إخوته للشَّرّ، كوسيلة للخلاص والحياة ليس فقط للعائلة المختارة، بل لكلِّ الأمم المحيطة بمصر آنذاك.

وهنا رفعَ نسلُ الحيَّة رأسَه ثانيةً حيث استُعبِدَ نسل يعقوب في مصر، وجرى ذَبْحُ جيلٍ كاملٍ من الأولاد بأمرٍ من فِرْعَون. لكنْ ظلَّ الله أمينًا وذكرَ عهدَه لإبراهيم (خروج ٦: ٥– ٨)، حيث حفظَ حياةَ موسى، ثمَّ استخدمَه لخلاصِ شعبه من عبوديَّتهم.

وعند جبل سيناء، قطعَ الله عهدًا مع الشعب القديم، تمامًا كما فعل مع آدم وحوَّاء قبل السقوط. إذا أطاعَ الناس، فسيبقون في أرض الميعاد، وإنْ تمرَّدوا، فإنَّ الله سيطردهم من محضره. وما جرى هو أنَّ عصيانهم بدأ تقريبًا في الحال. وهكذا أصدرَ الله حُكمًا على شعبه، لكنَّه ظلَّ أمينًا لوعده لإبراهيم (خروج ٣٣: ١).

ثمَّ بزغَ جيلٌ جديدٌ بقيادة يشوع، وأعطاهم الله الأرض التي وعد بها أجدادهم. ورغم كلِّ الصعاب، فقد قهرَ الشعبُ الكنعانيِّين. ورغم أنَّ الشعبَ ظلُّوا على عصيانهم واستمرَّ الله في تأديبهم، فقد أقامَ قضاة، خلَفوا موسى ويشوع، وهم من خلَّصوا الشعب وقَهَروا أعداءهم.

أخيرًا، وقعَ حدَثُ التمرُّدِ النهائيِّ يومَ رفضَ الشعبُ الله بوصفه ملكَهم، وطالبوا بملكٍ مثل الأمم الأخرى (١صموئيل ٨). وبرحمةٍ من الله، مسحَ ملكًا بحسب قلبه، وهو داوُد، الذي سيكون مثل ابنٍ لله. لكنَّ الحيَّة حاولَتْ حتَّى مطاردةَ داوُدَ وإهلاكه من داخل شعب الله أنفسهم: أوَّلًا بواسطة شاول، ثمَّ بواسطة أبشالومَ بنِ داوُد.

9Marks Online PDF

غير أنَّ الله الأمين الكريم، قطعَ وعدًا آخر لداوُدَ، وهو وعدٌ يمثِّل في الواقع امتدادًا لوعده لإبراهيم، مع إعطاء مزيدٍ من الشكل للوعد في تكوين ٣. يَعِدُ الله داوُدَ بأنَّه سيكون له دائمًا ابنٌ يجلس على عرشه، وأنَّ الابنَ سيحكم في البرّ (٢صموئيل ٧: ١١- ١٦). إنَّ النسلَ الموعودَ في سفر التكوين الأصحاحَين ٣ و١٥ هو في الواقع سيكونَ ملكًا سيخلِّص شعبَه.

في البداية بدا أنَّ الابنَ هو سليمان. لكنَّه لم يكُنْ؛ إذ ثبتَ أنَّ سليمانَ غير أمين، وتلَتِ الدينونةُ عدم أمانته. جرى تقسيم المملكة أوَّلًا، وكان ملوك المملكة الشماليَّة الأشرَّ، حتَّى أرسل الله المملكة الشماليَّة إلى السبي الذي لم يعودوا منه بتاتًا. وفي المملكة الجنوبيَّة، مملكة يهوذا، كانت ثمَّة تجديدات دوريَّة، لكنَّ التجديدات لم تكتملْ قَطُّ ولا دامَتْ. وأخيرًا، أرسلَ الله مملكة يهوذا إلى السبي، وبدا حينها أنَّ وعدَه لم يتحقَّقْ.

لكنْ حتَّى في خِضَمِّ الدينونة والسبي، كشفَ الله أنَّه لم ينسَ ولم يفشلْ بعدُ في تحقيق الوعد. وأُعطِيَتْ للأنبياء رسالةُ رجاءٍ أنَّ الله سيجعل في شعبه عهدًا جديدًا (إرميا ٣١: ٣١- ٣٤). وبعد سبعين عامًا في السبي، عاد يهوذا إلى أرض الميعاد، وأُعيدَ بناء الهيكل، وترميم أسوار أورُشَليم. لكنَّ العهد الجديد لم يكُنْ قد تحقَّقَ بعد. فمتى سيُحقِّقُ الله وعدَه أخيرًا؟

وأتى الجواب بعد سنواتٍ عدَّة. في ليلةٍ في مدينة بيت لحم، مدينة داوُد، وُلِدَ طفلٌ اسمُه يسوع. وقد حضرَتِ الملائكةُ ولادتَه، وأتى الملوك من بعيدٍ لإكرامه. هل يمكن أن يكونَ الابنَ الموعود، الملكَ الذي طالَ انتظاره والذي سيخلِّص شعبَه؟

ومن جديد، تضربُ الحيَّةُ وتقتل جيلًا كاملًا من الأولاد، لكنَّ الربَّ حفظَ يسوع. كلُّ شيءٍ عن حياةِ يسوع أوحى بأنَّه التحقيق الذي طالَ انتظاره لكلِّ وعود الله. كان لكلماته سُلطان، وما فعله في الشفاء وطَرْدِ الأرواح الشرِّيرة كان معجزاتٍ فعلًا. وهكذا بدا أنَّ الله لم ينسَ، وأنَّه بالفعل حفظَ كلمته. ثمَّ حدث ما لا يمكن تصوُّره. من جديدٍ بدا أنَّ خطيَّة الحيَّة وعصيانها كان لهما اليد الطُّولى، إذ رفض القادة الدينيُّون يسوع، وصلَبَه الرومان. وفي قبرٍ باردٍ مُظلمٍ خارجَ أورُشَليم، بدا أنَّ وعدَ الله قد اندثرَ ومات حرفيًّا.

9Marks Online PDF

لكنْ حدثَ أمرٌ لا يُصدَّق: قامَ يسوعُ من بين الأمواتِ بعد ثلاثة أيَّام، وأظهرَ بما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ الله يحقِّقَ وعوده. بالمَوتِ الكفَّاريِّ ليسوعَ على الصليب، كان قد دَحرَ قوَّةَ الشيطان وحرَّر شعبَ الله من عبوديَّةِ الخطيَّة (كولوسِّي ٢: ١٤– ١٥). وبقيامة يسوع، ضمنَ أنَّ فجرَ الحياةِ الجديدةِ لملكوت الله قد بزغَ أخيرًا (رومية ٤: ٢٥).

أنماط الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة

هذه هي قصَّة الوعد الكتابيَّة. ما الأنماط التي نراها فيها؟ كيف نتعلَّم عن الله الذي قطعَ الوعد ممَّا تسردُه القصَّة؟

النمط الأوَّل الذي يجب ملاحظته هو الوعد نفسُه. من الصفحات الأولى للكتاب المقدَّس إلى نهايته، قصَّة عمل الله في الفداء مبنيَّةٌ على وعودٍ قُطِعَتْ وأخرى تحقَّقَتْ. قد تقول حتَّى إنَّ قَطْعَ الله للوعود والوفاء بها وتحقيقها هو أداةُ الحبكِ القصصيِّ الأساسيَّة للكتاب المقدَّس. فدون وعد الله، لا توجَدُ قصَّةٌ بعد تكوين الأصحاح ٣.

لكنْ ليس الأمرُ فقط أنَّ الوعد وتحقيقه يدفعان القصَّة نحو التقدُّم، بل هناك أيضًا تأخُّرٌ واضحٌ مقصودٌ لتحقيق الله للوعود، وهذا هو ما يتسبَّبُ في توتُّر القصَّة وتطوُّرها. لم يُصلِحِ الله الأمورَ هناك في الجنَّة، ولم يُرسَل يسوع قبل الطوفان، ولم يرسلْ إلينا ثانيةً اليوم...ليس بعدُ. وما يثير الدهشة عند النظرِ إلى الله على أنَّه إلهُ الوعود، هو أنَّ حياتَنا مصمَّمةٌ أن تكونَ حياةَ انتظار. أحد الأسئلة الأساسيَّة التي يطرحها الكتاب المقدَّس، ثمَّ يجيب عنها جزئيًّا هو: "لماذا التأخُّر؟".

ثانيًا، لاحظْ أنَّ الوعودَ التي قطعها الله ليسَتْ من النوع الذي نقطعُه في حياتنا اليوميَّة: "سأكون في المنزل باكرًا" أو "سآتي إلى حفلك"؛ إذ إنَّ هذه الوعود تتَّخذَ دائمًا شكلَ عهود. ليس الأمر أنَّ الله لا يقطعُ الوعودَ البسيطةَ التي نقطعها نحن؛ فهو يفعل ذلك، وهناك أمثلةٌ على ذلك في كلِّ أرجاء الكتاب المقدَّس. غير أنَّ الوعودَ الكبرى حقًّا، تلك التي تُعطي شكلًا للقصَّة بمجملها، هي وعودٌ مختلفة. إنَّها تلزمُه أن يُجريَ عملًا مستقبليًّا، كما أنَّها بالأَحرى تربطُه بشعبٍ محدَّد.

9Marks Online PDF

ويعلِّمُنا هذا أمرًا عن الله: أنَّه ليس فقط أمينًا يحفظُ كلمتَه، بل هو أيضًا إلهٌ شخصيٌّ ويدخل في علاقاتٍ بالآخرين. كما يعلِّمُنا هذا أمرًا عن هدف الله في قَطْعِ الوعود. إنَّ قصَّة أعمال الله في التاريخ ليسَتْ مجرَّدَ قصَّةٍ عن تنفيذ الله لأجندته، بل هي قصَّةُ رحمةٍ ومحبَّة؛ لأنَّ الله يخلق ويفتدي شعبًا لنفسه.

أخيرًا، لاحِظْ أنَّ هذه القصَّة، حالُها حالُ كلِّ القصص الأخرى التي تطرَّقْنا إليها، لها استمراريَّة وفجوات (انقطاع). وعدُ الفداء بواسطةِ ابنٍ ما يزال مستمرًّا، ويستمرُّ أيضًا وعد المقاوَمة الشيطانيَّة. وما يزال وعدُ انتصار نسلٍ على الشيطان مستمرًّا، لكنْ لم يُكشَف عن الشكل الكامل لوعد الفداء ولا عن نطاقه الكامل دَفعةً واحدة.

ثمَّة أيضًا فجوات عدَّة، وبها يتكشَّف وعدُ الفداء بالتدريج. في مرحلةٍ مبكِّرة، يقتصرُ الوعد على شعبٍ من عِرقٍ معيَّن؛ فالتقسيم عِرقيٌّ في الأساس. أمَّا في المسيح، فقد جرى محوُ هذا الانقسام العرقيّ، وخرجَ الوعدُ إلى كلِّ الأمم. في البداية، بدا أنَّ الابنَ هو مجرَّد ابن. ولاحقًا، تبيَّن أنَّ الابنَ هو ملك. في النهاية، هو ليس مجرَّد ملك، بل هو الله نفسُه. وتساعدُ هذه الفجوات القصَّة ليس فقط على التطوُّر والمضِيِّ قُدُمًا، بل تكشفُ على نحوٍ متزايدٍ عمَّا قصدَه الله منذ البدء. يبدو الأمر كما لو أنَّ القصَّة تتكشَّف بالتَّدريج من المثال إلى الواقع. القصَّة بمجملها تاريخيَّة، غير أنَّ الحقيقةَ المطلَقة التي أشارت إليها لا تظهرُ حتَّى قُربِ الخاتمة.

وضْعُ كلِّ شيء في إطارٍ نظاميّ

إذا كانت هذه بعضَ أنماط القصَّة، فما التطبيق الذي تقدِّمه هذه القصَّة إلى حياتنا وخدمتنا؟ لماذا جعلَ الله التأخُّر في حياتنا وفي تعامُلاتِه معنا؟ ما الفرق الذي يُحدِثُه في حياتنا كونُ اللهِ إلهًا يقطع الوعود؟

الإنسان خاطئ

أوَّلًا، كلُّ تاريخ الفداء مبنيٌّ على ديناميكيَّةِ الوعد وتحقيقه؛ لأنَّ الإنسانَ خاطئ. يجب أن يُفتدى. وتقول بنيةُ الكتاب المقدَّس نفسِه إنَّ ثمَّة مشكلةً لا بدَّ من حلِّها.

9Marks Online PDF

غير أنَّ حقيقةَ كونِ تاريخِ الفداء مبنيًّا على ديناميكيَّةِ الوعد وتحقيقه ليست غايتُها أن تُعلِّمنا عن أنفسنا، بل عن الله. إنَّها تعلِّمنا أنَّ الله إلهُ الرحمة والعدل، إلهُ المحبَّة والغضب أيضًا.

نحن نعيش في خِضَمِّ حربٍ روحيَّة

تعلِّمُنا قصَّة الوعد أنَّنا نعيش حربًا روحيَّة. ويلخِّصُ بولس الرسول الخطَّ الزمنيَّ لأحداثِ القصَّة عندما يكتب:

> "فإنَّ مُصارَعَتَنا لَيسَتْ مع دَمٍ ولَحمٍ، بل مع الرُّؤَساءِ، مع السَّلاطينِ، مع وُلاةِ العالَمِ علَى ظُلمَةِ هذا الدَّهرِ، مع أجنادِ الشَّرِّ الرّوحيَّةِ في السماويَّات" (أفسس ٦: ١٢).

ولا أُشيرُ هنا إلى حقيقةِ الحرب الروحيَّة لتبرئة أنفسنا من ذَنْبِ الخطيَّة. لا، الأمر ببساطة هو أنَّ علينا إدراكَ أنَّ هذا العالم، وقواه وثقافاته، ليسَتْ محايدة. وقد رأينا في القصَّة مِرارًا وتَكرارًا الحيَّةَ تحاوِلُ ضَرْبَ مقاصدِ الله الصالحة. يعمل الشيطان بواسطة القوى التي تبدو بريئةً في هذا العالم، وبواسطة طبيعتنا الخاطئة أيضًا. لذلك، علينا أن نكون يَقِظينَ حَذِرين من اجتياح الدنيويَّة لقلوبنا.

الله طويل الأناة ويدعو جميع الناس إلى التوبة

إنَّنا نكافح مع ما يبدو كأنَّه تأخُّرُ الله في تحقيق وعوده. لكنَّ الحقيقة هي أنَّ التأخُّر يُظهِرُ أناةَ الله؛ لأنَّه يريد أنَّ جميعَ الناس يأتون إلى التوبة. ويقولها الرسول بطرس بهذه الطريقة:

> "ولكن لا يَخفَ علَيكُمْ هذا الشَّيءُ الواحِدُ أيُّها الأحِبّاءُ: أنَّ يومًا واحِدًا عِندَ الرَّبِّ كألفِ سنَةٍ، وألفَ سنَةٍ كيومٍ واحِدٍ. لا يتَباطأُ الرَّبُّ عن وعدِهِ كما يَحسِبُ قَوْمٌ التَّباطؤَ، لكنهُ يتأنَّى علَينا، وهو لا يَشاءُ أنْ يَهلِكَ أُناسٌ، بل أنْ يُقبِلَ الجميعُ إلَى التَّوْبَة" (٢بطرس ٣: ٨– ٩).

9Marks Online PDF

لقد مضى ٢٠٠٠ سنة، ولم يأتِ يسوع ثانيةً. قد يقول بعض الناس إنَّ المؤمنين بالمسيح سُذَّجٌ ببساطة. لكنْ كم من الوقت يستغرقُ لإثباتِ أنَّ الوعدَ باطل؟ هذه إحدى وسائل النظر إلى التأخُّر. غير أنَّ هناك طريقةً أُخرى: أنَّ الله طويلُ أناةٍ ورحيمٌ بالخطاة.

إذا نظَرْنا إلى طول أناةِ الله على الشعب القديم العاصي، فإنَّنا نرى توسُّلَ رسالة العبرانيِّين: "...اليوم، إنْ سمعتُم صوتَه، فلا تقسُّوا قلوبَكم" (عبرانيِّين ٤: ٧). يجب أن يُحفِّزَ هذا كرازتَنا. لا نعرف متى تنفدُ أناةُ الله. اليوم، في هذه اللحظة، ما يزالُ صبورًا طَويلَ الأناة. لذلك فإنَّ اليومَ، في هذه اللحظة، هو الوقت المناسب لحثِّ الناس على التوبة عن خطاياهم ووَضْعِ إيمانهم في المسيح.

الله رحيم وهو يبادِرُ بالخلاص بالنعمة

ليس الله صبورًا فحسب، بل هو رحيم. إنَّه لا يتركنا وحدَنا نكتشفُ ذلك، بل يبادرُ بالخلاص. إنَّ وعدَ الله في تكوين ٣: ١٥، علاوةً على كلِّ وعدٍ آخرَ قطعه، هو تمامًا مبادرةٌ من الله. إنَّه نعمةٌ خالصةٌ مباشرة.

هل لاحظْتَ النمطَ بينما سردتُ القصَّة؟ لقد رفضَ آدمُ وحوَّاءُ الله مع أنَّ الله أبدى صلاحًا وفيرًا. لكنَّ الله وعدَهما بخلاصهما وخلاص ذرِّيَّتهما. ماذا كان إبراهيم عندما وعد الله أن يجعله بركةً للأمم؟ كان عابدَ أوثان. وماذا كان موسى حينما أفرزَه الله وأقامَه؟ كان موسى قاتلًا فارًّا من وجه العدالة. ماذا كان داوُدُ عندما مسحَه الله ملكًا؟ كان صبيًّا راعيَ غنمٍ كبر وصارَ قاتلًا وزانيًا. ماذا كنتَ أنت حينما تكشَّفَ وعدُ الله لك برسالةِ إنجيل يسوع المسيح؟ كما يقول بولس الرسول: "الَّذينَ نَحنُ أيضًا جميعًا تصَرَّفنا قَبلًا بَينَهُمْ في شَهَواتِ جَسَدِنا، عامِلينَ مَشيئاتِ الجَسَدِ والأفكارِ، وكُنَّا بالطَّبيعَةِ أبناءَ الغَضَبِ كالباقينَ أيضًا" (أفسس ٢: ٣). ليس الله مَدينًا بخلاصنا، بلِ الوعد الذي قطعَه الله للخلاص هو وعدٌ بالنعمة الخالصة.

الله أمينٌ ويَفي بوعوده

نرى الله يفي بوعوده بأمانةٍ في العهد القديم بثلاث وسائلَ على الأقلّ. أوَّلًا، بموت يسوع المسيح وقيامته. بعيدًا عن كون الصليب مجرَّدَ عملٍ مأساويٍّ من بشرٍ أشرار، وبعيدًا عن كونه انتصارًا بدا

9Marks Online PDF

أنَّ الشيطان حقَّقه على يسوع، كان الصليب إعلانَ غلبةِ الله الكاسحة على الخطيَّة وقوَّة الشيطان. وكان هذا خلاصةَ عِظةِ الرسول بطرس في يوم الخمسين (أعمال ٢: ٣٦)، وكان أيضًا ما خلُصَ إليه بولس الرسول في رسالة كورِنثوس الثانية بقَوله: "لأنْ مَهما كانتْ مَواعيدُ الله فهو فيهِ «النَّعَمْ» وفيهِ «الآمينُ»، لمَجدِ الله، بواسِطَتِنا" (٢كورنثوس ١: ٢٠).

ثانيًا، يستمرُّ الله في الوفاء بوعده لنا بواسطة الروح القدس، الذي أرسلَه يسوع عربونًا وعلامةً أنَّ الأمورَ الصالحةَ الموعود بها صحيحةٌ وهي حاضرةٌ بالفعل. يقول بولس الرسول في ٢كورِنثوس ١: ٢١- ٢٢: "ولكنَّ الذي يُثَبِّتُنا معكُمْ في المَسيحِ، وقَدْ مَسَحَنا، هو الله. الذي خَتَمَنا أيضًا، وأعطَى عَربونَ الرُّوحِ في قُلوبنا".

كيف يفعل الروح القدس ذلك؟ إنَّه يطبِّق حياةَ السماء على حياتنا هنا على الأرض، وهو يعطينا ثمرَ الروح، الذي هو ثمر سماويّ، كما أنَّه يؤكِّدُ لنا ويشهدُ لأرواحِنا بأنَّنا أولاد الله، و"به نَصرُخُ: يا أبا الآب" (رومية ٨: ١٥).

كيف نساعد المؤمنين الذين يصارعون الشَّكّ؟ أحد الأساليب هو الإشارة إلى دليل الروح في حياتهم. ولا أتحدَّث بشأن المواهب الخارقة، بل بشأن ثمرة الروح: "...مَحَبَّةٌ، فرَحٌ، سلامٌ، طولُ أناةٍ، لُطفٌ، صَلاحٌ، إيمانٌ، وداعَةٌ، تعَفُّفٌ..." (غلاطِيَّة ٥: ٢٢- ٢٣). عندما يكون ثمرُ الروح حاضرًا على نحوٍ متزايد، فسوف يشجِّع هذا المؤمن. لأنَّ عمَلَ الروح هو أن يعطيَنا الثقة بأنَّ الله حَفِظَ وعده وما يزال يحفظُه، وبأنَّ اليوم سيأتي ليُسدِّد كاملَ الثمنِ، بعد أن دفعَ العربون.

ثالثًا، نرى الله يحفظ بأمانةٍ وعودَ العهد القديم في أنَّه ربطَ الشيطان بالفعل (انظُرْ رؤيا ٢٠: ٢). لا يمكن أن يخدعَ الشيطان مختاري الله مهما حاوَل (انظُرْ مرقس ١٣: ٢٢). ونعلم أيضًا أنَّ الله سيهزمُ في النهاية الشيطانَ وقوى هذا العالم. كما تنبَّأ الرسول يوحنَّا في سِفر الرؤيا: "وإبليسُ الذي كانَ يُضِلُّهُمْ [أيِ الأمم] طُرِحَ في بُحَيرَةِ النَّارِ والكِبريتِ، حَيثُ الوَحشُ والنَّبيُّ الكَذّابُ. وسَيُعَذَّبونَ نهارًا وليلًا إلَى أبدِ الآبِدينَ" (رؤ ٢٠: ١٠).

9Marks Online PDF

الله جديرٌ بالثقة، وسيُحقِّقُ وعودَه

نعلم أيضًا أنَّ الله جديرٌ بالثقة تمامًا. إنَّ مشكلةَ الوعود التي نطرحُها نحن أنَّها جيِّدة بمستوى نيَّاتِنا فحسب، وهي جديرةٌ بالثقة استنادًا إلى قدرتنا على تنفيذها. ويعني هذا أنَّه حتَّى أولئك الأفضل بيننا هم بطبيعتهم يحنثون الوعود، أمَّا الربُّ فلا يحنثُها. عندما يَعِدُ الربُّ، فثقْ بأنَّ الأمرَ مؤكَّد. لا يستطيع الله أن يكذب، لذا فإنَّ وعودَه لا تضلُّ أبدًا؛ فالله لا يخلف وعوده. تأمَّل كلمات يسوع في إنجيل يوحنَّا ١٠: ٢٧- ٣٠:

> "خِرافي تسمَعُ صوتي، وأنا أعرِفُها فتتبَعُني. وأنا أُعطيها حياةً أبديَّةً، ولَنْ تهلِكَ إلَى الأبدِ، ولا يَخطَفُها أحَدٌ مِنْ يَدي. أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظَمُ مِنَ الكُلِّ، ولا يَقدِرُ أحَدٌ أنْ يَخطَفَ مِنْ يَدِ أبي. أنا والآبُ واحِدٌ".

يستطيعُ أيُّ شخصٍ يتوبُ حقًّا عن الخطيَّة ويثق بالمسيح أن يكون على يقين بأنَّ الله سيحفظُه حتَّى النهاية. ولا علاقة لهذا اليقين بقوَّةِ إيمانِ المرء أو برِّ حياته، بل هو مرتبطٌ بقوَّةِ الله وأمانته. وكما يقول بولس الرسول: "واثِقًا بهذا عَينِهِ أنَّ الذي ابتَدأ فيكُم عَمَلًا صالِحًا يُكَمِّلُ إلَى يومِ يَسوعَ المسيح" (فيلبِّي ١: ٦). الله يفي بوعوده، ويمكنك دائمًا الاتِّكالُ على ذلك.

أيعني هذا أنَّ طريقةَ عَيْشِنا لا تهمّ؟ أيعني أن نتَّخذَ قرار تسليم حياتنا للمسيح ونستمرَّ على حالنا كما كنَّا قبل هذا القرار؟ كلَّا بتاتًا.

بينما نحسبُ أنَّ تاريخَ الفداء مبنيٌّ على هذا النمط من الوعد وتحقيقه، وأنَّ التاريخ يتمحور حول هذا التأخُّر ما بين الوعد وتحقيقه، فإنَّنا نتعلَّم ليس فقط عن الله، بل أيضًا عن قصده لنا، نحن المؤمنين بالمسيح. نتعلمَّ أنَّ الطريقة التي نعيش بها مهمَّة جدًّا.

يريدُ الله لشعبه أن يتنقَّوا

إنَّ إحدى الحالات المتكرِّرة باستمرار في العهد القديم هي استخدام الله للمعاناة، والتأديب أيضًا، لتطهير شعبه. ويظهر هذا في صورة الصَّهْر، حيث يُزال الخَبث (الشوائب) ليظلَّ المعدِنُ النفيس في

9Marks Online PDF

حالته النقيَّة. مثلًا، ينظر ناظِمُ المزمور إلى الوراء إلى البرِّيَّة حيث الضلالُ والأيَّام الصعبة للقضاة ويعترف قائلًا: "لأَنَّكَ جَرَّبتَنا يا الله. مَحَصتَنا كمَحصِ الفِضَّة" (مزمور ٦٦: ١٠). ويتطلَّع زكريَّا النبيُّ إلى المسيح في المستقبَل، فنقرأ قول الربِّ في سِفر زكريَّا: "وأُدخِلُ [أي يُدخِلُ الشعبَ] الثُّلثَ في النّارِ، وأمحَصُهُمْ كمَحصِ الفِضَّةِ، وأمتَحِنُهُمُ امتِحانَ الذَّهَب" (زكريَّا ١٣: ٩).

بينما نخدمُ المؤمنين بالمسيح الذين يعانون، فإنَّنا لا نُفيدهم إذا قُدْناهم إلى الاعتقاد أنَّ الله يهتمُّ أكثر الكلِّ بأن تكون حياتهم يسيرةً سعيدة. ورغم أنَّ هذا العالم يريدُ بالألم والمعاناة شرًّا لنا، فإنَّ الله يقصدُ بالألم والمعاناة في حياتنا خَيرًا. إنَّه لا يهتمُّ بخَبَثِ خطايانا، أو المعادِن عديمة القيمة لجهودنا، بل هو يرغب في الذهب الخالص لثقتنا الصافية به دون أن يختلطَ بها ما يعكِّر نقاءَها. بواسطة المعاناة يقدِّسُنا الله. وكما أنَّ المسيح "تعلَّمَ الطاعةَ مِمَّا تألَّمَ به" (عبرانيِّين ٥: ٨)؛ وكما أنَّ المسيح استأمَن نفسَه بين يدَيِ الله في تجرِبة البرِّيَّة، نتعلَّمُ نحن أيضًا أن نضعَ إيمانَنا في الله فقط بواسطة آلامنا. "...أمَّا أخيرًا فيُعطي [تأديبُ الله] الذينَ يتَدَرَّبونَ بِهِ ثَمَرَ برٍّ للسَّلام" (عبرانيِّين ١٢: ١١).

لكنَّ الله يسعى ليس فقط إلى تنقيَتِنا، بل هو متأنٍّ أيضًا في تحقيق وعده لأنَّه يريد إعادة توجيه رجائنا.

يقصدُ الله إعادة توجيه رجائنا

يُنشِدُ هذا العالم باستمرارٍ في آذاننا أغنياتِ رجاءٍ عَذْبةً خادعةً مُغوِية، ويحثُّنا على استثمار أنفسنا في العالم، والعيش من أجل هذه الحياة، لنكنزَ ما استطَعْنا من الكنوز الدنيويَّة، كي ننالَ مَديحَ البشر. إنَّها أغنيةٌ جميلة، لكنَّها كالأغنية التي أسرَتْ بها حوريَّات البحر يوليسيس في الميثولوجيا الإغريقيَّة. إنَّها أغنية ستؤول بنا إلى الدمار، والله يعلم هذا، ويريدنا أن نبلغَ هذا الإدراك ذاتَه. لذلك هو لا يأخُذُنا مباشرةً إلى السماء عندما يخلِّصنا، بل يتركُنا في العالم، جزئيًّا لنتعلَّمَ أنَّ العالم ليس وطَنَنا، ولكي نبتغي "وطَنًا أفضَلَ، أيْ سماويًّا" (عبرانيِّين ١١: ١٦). رغبته هي أن نملَّ من الأكاذيب والادِّعاءات والوعود المحنوثة التي يبيعُها هذا العالم، في المقابل نعيش مثلما عاش إبراهيم غريبًا طَوال الوقت حيث "كانَ يَنتَظِرُ المدينةَ التي لها الأساساتُ، التي صانِعُها وبارِئُها الله" (عبرانيِّين ١١: ١٠).

9Marks Online PDF

يريدُ الله لشعبه أن يجاهَدَ بمثابرةٍ حتّى النهاية

يعني وعدُ الله أنَّ أسلوب عَيشِ حياتِنا مهمّ. قال يسوع إنَّ خِرافَه تسمع صوتَه وتتبعُه. ويعني هذا أنَّ من طبيعة المؤمن بالمسيح أن يتوبَ ويتبعَ المسيح. قد يقع المؤمنون الحقيقيُّون في خطيَّةٍ حقيقيَّةٍ خَطِرة، وقد يُحزِنون الروحَ القدس، ويجرحون ضميرَهم، بل يفقدون كلَّ اختبارٍ لنعمة الله. وهذا مكانٌ فظيعٌ خَطِرٌ دون ضمان. لكنْ، بنعمة الله، لا يسقط المؤمنون الحقيقيُّون بالمسيح سقوطًا كلِّيًّا أو نهائيًّا. في النهاية هؤلاءِ المؤمنون الحقيقيُّون هم بشرٌ يتوبون ويتبعون المسيح، بنعمة الله واستنادًا إلى وعده الذي لا يُنقَضُ. يقول يسوع: "...الذي يَصبِرُ إلَى المنتَهَى فهذا يَخلُصُ" (متَّى ١٠: ٢٢).

إنَّ العلامةَ الكبرى المميِّزة للمؤمن بالمسيح، ليسَتْ أنَّه لا يخطئ، بل أنَّه يثابر حتَّى النهاية. لذلك لا ينبغي لنا أن نعلِّم شعبَنا أن يضعوا ثقتهم في بعض القرارات التي اتُّخذتْ يوم أمس أو قبل عشر سنوات. بل يجب أن نعلِّمهم، كما فعل بولس في رسالة كورِنثوس، قائلًا: "جَرِّبوا أنفُسَكُمْ، هل أنتُمْ في الإيمانِ؟ امتَحِنوا أنفُسَكُمْ..." (٢كورنثوس ١٣: ٥).

هل يوحي كلُّ هذا الحديث بشأن المثابرة بأنَّ الإيمانَ المسيحيَّ يعتمد على جهودنا؟ لا، بل يعتمدُ كلُّ هذا على الله. غير أنَّ الله عقدَ العزمَ على استخدام جهودنا، وإعادة توجيه رجائنا، وعلى نموِّنا في القداسة: "...تمِّموا خَلاصَكُمْ بخَوْفٍ ورِعدَةٍ، لأنَّ اللهَ هو العامِلُ فيكُم أنْ تُريدوا وأنْ تعمَلوا مِنْ أجلِ المسَرَّة" (فيلبِّي ٢: ١٢ – ١٣).

يريدُنا الله أن نعمل

ما تعريف القداسة؟ إنَّها ليسَتْ مجرَّد الانفصال عن الخطيَّة، بل هي أن يُفرَزَ المرءُ لمجد الله ومحبَّته وعمله. يضع بولس الرسول حياتَنا في ضَوء قصَّة وعدِ الله عندما يكتب:

> "وأمَّا الرَّبُّ فهو الرُّوحُ، وحَيثُ روحُ الرَّبِّ هناكَ حُرّيَّةٌ. ونَحنُ جميعًا ناظِرينَ مَجدَ الرَّبِّ بوَجهٍ مَكشوفٍ، كما في مِرآةٍ، نَتَغَيَّرُ إلَى تِلكَ الصُّورَةِ عَينِها، مِنْ مَجدٍ إلَى مَجدٍ، كما مِنَ الرَّبِّ الرُّوح" (٢كورِنثوس ٣: ١٧ – ١٨).

9Marks Online PDF

وما هذه الحرِّيَّة المعطاةُ لنا ؟ إنَّها ليسَتْ حرِّيَّةَ العيش كما يحلو لنا، بل حرِّيَّةُ تمجيدِ الله بِعَيشِ حياةٍ تُظهِرُ مجدَه. لقد أُعطينا عملًا لنقوم به (متَّى ٩: ٣٨)، وتلقَّينا مأموريَّة للذَّهاب (متَّى ٢٨: ١٨- ٢٠)، كما استُؤمنَّا على رسالة (٢كورِنثوس ٥: ١٤- ٢١). ونتيجة لذلك، تجد حياتنا هدفًا في تأخُّر الله:

> "فإذْ نَحنُ عامِلونَ معهُ نَطلُبُ أنْ لا تقبَلوا نِعمَةَ الله باطِلًا. لأنَّهُ يقولُ: «في وقتٍ مَقبولٍ سمِعتُكَ، وفي يومِ خَلاصٍ أعَنتُكَ». هوذا الآنَ وقتٌ مَقبولٌ. هوذا الآنَ يومُ خَلاصٍ" (٢كورِنثوس ٦: ١- ٢).

الخاتمة: نهاية التأخُّر

لقد حَفِظَ الله وعودَه في يسوع المسيح. لكنَّ ثمَّة وعدًا واحدًا ما زلنا ننتظر تحقيقه. وهو يومٌ ما زلنا نتطلَّع إليه: اليوم الذي يعود فيه المسيح وندخل في الفداء الكامل، ليس فقط لأرواحنا، بل أيضًا لأجسادنا. ومع أنَّ الله يستخدم التأخُّر لخيرنا، فما زلنا نتوقُ إلى النهاية؛ لأنَّ الله يريد أن يُعتَقَ شعبُه انعتاقًا كاملًا نهائيًّا، ليس فقط من ذَنْبِ خطاياهم ودينونتها، بل من جسد هذا الموت.

سيعود المسيح، وفي ذلك اليوم سيصدح بوق الله، وسيقوم الأموات بأجسادٍ لا تبلى، وسوف نتغيَّر. سيُلقى بالخَبَث بعيدًا، وستندثرُ الخطيَّة، وسيفتحُ التقديس والمعاناة طريقًا للتَّمجيد والفرح. وسنكون مثله في ذلك اليوم، لأنَّنا سنراه كما هو. كما يقول بولس الرسول في صيحةِ فرح: "... شُكرًا لله الذي يُعطينا الغَلَبَةَ برَبِّنا يَسوعَ المسيح" (١كورنثوس ١٥: ٥٧).

لذلك، أيُّها المؤمن بالمسيح، اثبتْ وثابِرْ. إيمانك وجهدك ليسا باطلَين. لقد حفظَ المسيح وعده، وخلَّصك من الخطيَّة وقوَّة الشيطان، كما وعدَ أن يكونَ معك إلى انقضاء الدهر. هذا وعدٌ سيحفظُه الله بالتأكيد. "الذي لم يُشفِقْ علَى ابنِهِ، بل بَذَلهُ لأجلِنا أجمَعينَ، كيفَ لا يَهَبُنا أيضًا معهُ كُلَّ شَيءٍ؟" (رومية ٨: ٣٢). ليس هناك أفضل من الله في قطعِ الوعود، وليس هناك حافظٌ أفضل منه للوعود.

9Marks Online PDF

القسم الثالث

وضعُ الأمور معًا من أجل الكنيسة

9Marks Online PDF

الفصل الحادي عشر

الوعظ والتعليم (دراسات حالة)

أمضَيْنا الفصول العشرة السابقة في النظر إلى كيفيَّة بناء لاهوتٍ كتابيٍّ (القصَّة الكاملة للكتاب المقدَّس كلِّه)، ثمَّ الكيفيَّة التي نستخلص بها دروسًا من تلك القصَّة (أي لاهوتًا يكون كتابيًّا). أمَّا الآن بعد أن بنَينا لاهوتًا كتابيًّا، ماذا يمكن أن نفعلَ به؟ أيوضَعُ على الرفِّ ويُسحَب في المرَّة المقبِلة التي نجد فيها أنفسنا بالقُرْبِ من حرَمِ كلِّيَّةِ لاهوتٍ أو حينما نودُّ إفسادَ نقاشٍ دائر؟ بالتأكيد لا أرجو ذلك!

مقدِّمة: ما علاقة اللاهوت الكتابيِّ بالكنيسة؟

كما يعلم كلُّ حِرْفِيّ، ثمَّة بعض الأدوات التي توضَع على رفوفٍ وبعضها يُعلَّق على حزام زيِّ العمل. الأدوات المتخصِّصة جدًّا والمكلِّفة توضَع على الرفّ. إنَّها مهمَّة، لكنَّك لا تستخدمها كلَّ يوم. أمَّا الأدوات التي تُعلَّق على حزام زيِّ العمل، فليسَتْ باهظةَ الثمن ولا جذَّابةً للنَّظر إليها، لكنَّك تستطيع استخدامها في كلِّ مهمَّةٍ تقريبًا. اللاهوت الكتابيُّ هو كالأداة المعلَّقة على حزام العمل. إنَّه إحدى أكثر الأدوات العمليَّة التي يمكن أن يستعين بها الخادم. في هذا الفصل والفصل الذي يليه، أودُّ أن نفكِّرَ في كيفيَّة وَضْعِ لاهوتنا الكتابيِّ حيِّز التطبيق في الكنيسة المحلِّيَّة.

في الفصل ١٢، سنفكِّر في كيفيَّة استخدام لاهوتنا الكتابيِّ في أمورٍ عدَّة، من المشورة إلى حقل الإرساليَّات، علاوةً على عددٍ من القضايا ما بينهما. لكنِّي أودُّ أوَّلًا أن نفكِّر معًا في الاستخدام الأساسيِّ للَّاهوت الكتابيِّ في الكنيسة، أي في وعظِنا وتعليمنا. وللقيام بذلك، سنَمضي باستخدام

9Marks Online PDF

سلسلةٍ من دراسات الحالة في أقسامٍ وأنواعٍ أدبيَّةٍ مختلفةٍ من الكتاب المقدَّس. وقبل البدء بذلك، أريد أن ألخِّص ما أنجزناه حتَّى الآن، ثمَّ سنُلقي نظرةً فاحصةً على المكان الذي يُخضع فيه الكلامُ النظريُّ للاختبار: التطبيق.

مراجعة سريعة لما سبق

لقد سردْتُ في الفصولِ الخمسةِ السابقة قصَّة الكتاب المقدَّس بمجملها، حيث التقطْتُ في كلِّ مرَّةٍ موضوعًا مختلفًا وحَكيتُ القصَّة من تلك الزاوية المختلفة. نظرنا في قصصِ الخلق والسقوط والمحبَّة والذبيحة والوعد. وليست هذه الموضوعات الوحيدة التي يمكن أن أستخدمها. مثلًا، كان في وُسعي أن أحكيَ قصَّة الكتاب المقدَّس باستخدام موضوع الابن/ النسل، الذي يربط تكوين ٣: ١٥ بإبراهيم، وبولادة موسى، مرورًا بداوُد، ووصولًا إلى المسيح، النسلِ الحقيقيِّ وابنِ الله الذي به ننالُ نحن أيضًا التبنِّيَ لنكونَ أولادَ الله. هذه هي الطريقة التي يروي بها بولس الرسول القصَّةَ بطريقةٍ مختصرةٍ جدًّا في رسالة غلاطِيَّة الأصحاحَين ٣ و٤.

ثمَّة موضوعاتٌ أخرى عدَّة أيضًا؛ إذ يمكن سردُ القصَّة الكاملة للكتاب المقدَّس بمجمله باستخدامِ موضوعاتٍ مثل الكهنوت، أو الملك، أو العروس، أو الجنَّة، أو الهيكل. يوجَدُ الكثير من الموضوعات، والكثير من الخيوط المنسوجة في الكتاب المقدَّس كلِّه الذي يسمح لك بسَرْدِ القصَّة بأكملها. وقد اخترتُ الموضوعات الخمسة التي تناولتُها لأنَّها تسمحُ لي مجتمعةً بالنظر في عقيدة الخلاص من عددٍ من المنظورات المختلفة.

بعد سَرْدِ القصَّة وملاحظة البنية والأنماط في القصَّة، حاولْتُ أيضًا تطبيق القصَّة على حياتنا. باستخدام اللاهوت النظاميّ، طرحْتُ الأسئلة: (١) ماذا تُعلِّمنا هذه القصَّة عن الله، وعن أنفسنا، وعن الكنيسة؟ و(٢) كيف تنطبق على الحياة الآن؟ كانت الإجابات هي النقاط التي تلامَسَتْ فيها القصَّة الكتابيَّة وتقاطعَتْ مع قصَّتنا المعاصرة. والأفضل بعدُ أنَّ الإجاباتِ أظهرَتْ لنا أساليبَ عدَّة دُمِجَتْ بها قصَّتنا في القصَّة الكتابيَّة وفُسِّرَت بحسبِها، بوصفها منظورًا شاملًا يتحدَّى المنظورَ العالميَّ الوثنيَّ في عصرنا.

9Marks Online PDF

في كلِّ مرَّةٍ سردْتُ فيها القصَّة كلَّها، كانت هناك خطوتان: (١) اللاهوت الكتابيّ- فهمُ القصَّة كلِّها بطريقةٍ صحيحة، و(٢) اللاهوت النظاميّ- تطبيق هذه القصَّة على حياتنا. وفي الحقيقة، كانت هناك في كلِّ مرَّةٍ خطوةٌ أخرى نَفَّذْتُها سابقًا لكنْ لم أتحدَّثْ بشأنها؛ إذ أعلنتُ ببساطةٍ الموضوعَ الذي كنتُ سأَتتَبَّعُه في الكتاب المقدَّس، وطلبتُ إليك أن تثقَ بأنِّي وصلتُ إلى الموضوع الأساسيِّ بطريقةٍ صحيحة. لكن كيف وصلتُ إلى هذا الموضوع أصلًا؟ وكيف توصَّلتُ إلى الموضوعات الإضافيَّة التي ذكرتُها منذ قليل؟ أليس هذا مجرَّدَ نسخةٍ أكثر تعقيدًا من الوعظ المبنيِّ على الموضوع (Topical preaching)؟ وأين هي أولويَّة تفسير المقطع الكتابيِّ بالطريقة التي بدأ منها هذا الكتاب؟

كيف نصل من هنا (أي من نصٍّ كتابيّ) إلى هناك (أي إلى لاهوت كتابيّ)؟

كما رأينا في الفصل ١، لا يبدأ اللاهوت الكتابيُّ الأمين بموضوعٍ أو قصَّة كبرى، بل بنصٍّ. وغالبًا هذا هو بالضَّبط المكان الذي تبدأ به دراستك الشخصيَّة للكتاب المقدَّس، والمكان الذي أبدأ منه كلَّ أسبوعٍ في إعداد عظاتي أو دروس الكتاب المقدَّس. تبدأ بنصٍّ وتسأل نفسك: ما الهدف من هذا النصّ؟ وبالاهتمام الدقيق للقواعد اللغويَّة والنحو والنوع الأدبيِّ والخلفيَّة التاريخيَّة، فإنَّك تحاولُ فهْمَ القصد الأصليِّ للكاتب.

لكنِ الآن أرجو أن ترى أنَّ السؤال "ما الفكرة الأساسيَّة؟" هو سؤالٌ أكبر ممَّا يبدو عليه للوهلة الأولى؛ فباستخدام أدوات التفسير، نبحث عن الفكرة في سياق المقطع الأكبر أو سياق الكتاب المقدَّس كلِّه. وباستخدام أدوات اللاهوت الكتابيّ، ننظرُ في فكرة النصِّ في ضَوء موضعِ النصِّ ضمن تاريخ الفداء. في أيِّ عصرٍ من عمل الله الفدائيِّ يقع النصّ؟ هل هناك شيءٌ جديدٌ أو متميِّزٌ يحدثُ مقارنةً بالسابق؟ هل تحقَّق وعدٌ على مستوًى ما؟ هل تطوَّر رمزٌ ما أو جرى تحديد ما يَرمزُ إليه بصورة أوضَح؟

ثمَّ باستخدام أدوات اللاهوت الكتابيِّ نفسها، نسأل أنفسنا: ما هدف النصِّ في ضَوء الأسفار المقدَّسة بمجملها، أي في ضَوءِ عملِ المسيح على الصليب ومجيئه الموعود؟ هل نرى تحقيقًا نهائيًّا لوعدٍ أو رمزٍ ما؟ هل عُرِضَتِ الفجوات (الانقطاع) التي تمثِّل تغييرًا أو تطوُّرًا أو توسُّعًا في وعدٍ سابق؟ كيف حُفِظَتِ الاستمراريَّة؟

9Marks Online PDF

في هذه المرحلة بالتحديد، تصبح الموضوعات اللاهوتيَّة الكتابيَّة ظاهرة، حيث نسأل عن كيفيَّة ارتباط الحدث أو التعليم المحدَّد بالإعلان النهائيِّ ليسوع المسيح، وعمله الخلاصيّ، وملكوته الموعود. وبمجرَّد أن نحدِّد الموضوعات الرئيسيَّة أو التي تردُ في نصِّنا؛ وبمجرَّد أن نكون واضحين بشأن موضع النصِّ ضمن تاريخ الفداء، نكون حينها في وَضْعٍ يسمح لنا بتتبُّع الموضوع في أرجاء الكتاب المقدَّس كلِّه. والنتيجة هي أنَّنا نصيرُ قادرين على تعليم النصِّ أو الوعظ منه كما هو في الحقيقة، وليس كما لو كان لؤلؤة على قلادةٍ لا علاقة له ببقيَّة الكتاب المقدَّس، بل بوصفه قسمًا واحدًا من نسيجٍ كاملٍ متَّصلٍ اتِّصالًا وثيقًا طبيعيًّا بالأقسام الأخرى.

أخيرًا، بعد أن وضَعْنا نصَّنا وفسَّرناه في سياقه ضمن تاريخِ الفداء، نطرح السؤال: ما هدف النصِّ للمؤمنين والكنيسة اليوم؟ ونجيب عن هذا السؤال باستخدام أدوات اللاهوت النظاميّ، وتطبيق النصِّ ليس فقط على حياتنا، نحن الأفراد، بل على وجودنا المشترَك، نحن الكنيسة المحلِّيَّة. وما دام يَسمحُ اللاهوت النظاميُّ لنا بتطويرِ منظورٍ كتابيٍّ شامل، فإنَّنا قادرون على تطبيق نصِّنا على غير المؤمنين، وعلى قضايا المجتمع والحكومة، وعلى أسئلة الدفاعيَّات التي أثارَتْها المنظورات العالميَّة المتصارِعة. هذه هي الطريقة التي ننتقل بها من النصِّ الكتابيِّ إلى الخطِّ الزمنيِّ للقصَّة الكتابيَّة، ثمَّ إلى الحياة المسيحيَّة الكتابيَّة.

أريد الآن أن أطلِعَكُم على العمليَّة بأربعةِ أمثلةٍ مختلفةٍ من الكتاب المقدَّس. ويمكنك إذا رغبْتَ ببساطةٍ أن تقرأَ مباشرةً دراسات الحالة التي أوردتُها لاحقًا في هذا الفصل. لكنَّك تستطيعُ أن تجعلَ التمرينَ أكثر فائدة، بأن تخصِّصَ وقتًا الآن لتفكِّرَ بنفسك في كلٍّ من النصوص الآتية، وبعدها يمكن أن تقرأ دراسات الحالة:

١. شرائع الطعام والتطهير مثلًا في سفر اللاويِّين ١١
٢. سفر يشوع ٢٤
٣. المزموران ١ و٢
٤. مَرقُس ١: ١٤– ١٥

9Marks Online PDF

أحضِرْ مجموعةً من الأوراق واكتُبْ ما تعتقد أنَّه الفكرةُ الأساسيَّةُ في كلِّ نصّ، وكيف يمكنك تعليمه أو الوعظ منه في ضَوء الأسفار المقدَّسة بمجملها. كيف يمكنك التعامُل مع كلِّ نصٍّ بطريقةٍ حسَّاسةٍ لِلَّاهوت الكتابيِّ كما تناوَلْناه؟ ما الذي ستشدِّدُ عليه؟ وما الذي ستتجنَّبه؟ كيف يمكنك إظهارُ حقيقةِ الفكرة الأساسيَّة وتطبيقها على كنيستك اليوم؟

قبل القفز إلى دراسة الحالة الأولى، أودُّ الإشارةَ بدايةً إلى بعض الخطوات التي ستكون مشترَكة بينها جميعًا. أوَّلًا، ابدأ دائمًا بالصلاة. في العهد القديم نرى أنَّ روح الله هو الذي يعطي المهارةَ للحِرْفيِّين. يُفترَضُ أنَّ بصلئيل وأهوليآب كانا يعرفان بالفعل التقنيات الأساسيَّة لحرفتهما، لكنْ عندما حانَ الوقت للعمل على خيمة الاجتماع، ملأهما روح الله "بالحِكمَةِ والفَهمِ والمعرِفَة". إذا كانت وساطةُ الروح القدس ضروريَّةً لإنتاج ما يُسمِّيه سفر العبرانيِّين مجرَّد "أشباه" الأمور السماويَّة، فكم بالحريِّ أن تسبقَ الصلاةُ تعامُلَنا مع كلام الله نفسه، بينما نطلب إلى الله الحكمة والمهارة اللازمتَين لإطعام خِرافه بأمانة!

ثانيًا، خصِّصِ الوقت اللازم لملاحَظةِ النصِّ وطرحِ الأسئلة من أجل تفسير المقطع بدقَّة، ومن ثَمَّ فهمِ القصد الأصليِّ للكاتب في سياقه المباشر (انظر الفصل ١ من هذا الكتاب). من المغري، لا سيَّما مع المقاطع المألوفة، التسرُّع في التطبيق، على افتراض أنَّنا نفهمُ ما يعنيه بالفعل. غير أنَّ كلمةَ الله غنيَّةٌ جدًّا وعميقةٌ على نحوٍ لا يُسبَر غَورُه. فحتَّى المقاطع المألوفة تستحقُّ التأمُّل فيها وملاحظتها ملاحظةً دقيقةً بغيةَ الخروج منها بأفكارٍ تفسيريَّةٍ ثاقبةٍ جديدة.

ثالثًا، احرِصْ على أن تكونَ قد حدَّدتَ الحِقبة الصحيحة من تاريخ الفداء التي يقع فيها المقطع المدروس. ولاحِظْ أيضًا ما إذا كان المقطع يشير، بصورةٍ مباشرةٍ أم غير مباشرة، إلى حِقبٍ أُخرى متميِّزة عن الحقبة التي ينتمي إليها المقطع (انظر الفصل ٢). سيكون من الصعب ربطُ مقطعك بالقصَّة الكتابيَّة كلِّها، ويكاد يكون مستحيلًا تطبيقه تطبيقًا صحيحًا، إذا كنتَ لا تعرف موضعَ نصِّك في النطاق الممتدِّ لتاريخ الفداء (وموضعك أنت منه).

لذلك، بافتراض الصلاة، والتفسير الصحيح الحريص، والموضع الدقيق للنصِّ ضمن الامتداد الزمنيِّ الطويل لتاريخ الفداء، فلنفكِّرْ في كيفيَّةِ فهمِنا لهذه النصوص (اللاهوت الكتابيّ) وتطبيقنا لها (اللاهوت النظاميّ).

9Marks Online PDF

شبكة التطبيق

قبل أن نصل إلى دراسات الحالة، أودُّ أن أعرضَ عليكم بعضَ الأدوات العمليَّة التي تساعدك على دراسة المقطع بعنايةٍ وبدراسةٍ مقصودةٍ متأنِّية في عمليَّة التطبيق. هنالك دون شكٍّ عددٌ من الوسائل الجيِّدة للتفكير في التطبيق. وإحدى هذه الوسائل التي وجدَها الكثير من القساوسة في كنيستي مفيدةً تُسمَّى "شبكة تطبيق العِظة" (انظُرِ الشكل ١,١١). يعمل بعضنا على ملءِ المخطَّط، في حين يُبقي بعضنا الآخر ببساطةٍ الفئات الأساسيَّة ذهنيًّا بينما نكتب العظة. في كلتا الحالتَين، تساعدنا الشبكة على تفعيل أدوات اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميِّ في كلِّ مرَّةٍ نعظُ فيها من الكتاب المقدَّس أو نعلِّمه.

الشبكة يسيرةٌ جدًّا، إذ يمثِّل الجانب الأيمن من الشكل نقاطَ العظة أو الدرس. وستكون هذه قد تولَّدتْ من تفسيرنا، حيث حوَّلنا مخطَّطًا تفسيريًّا إلى مخطَّطِ وعظ، ثمَّ يمثِّلُ الجزءُ العلويُّ من الشكل فئاتٍ مختلفةً مفيدةً للتفكير في التطبيق.

- أين يقع هذا المقطع في تاريخ الفداء؟ وكيف يرتبط بنا؟
- ماذا تعني هذه الفكرة لغير المؤمنين؟
- ماذا يعني ذلك لنا، نحن المواطنين والموظَّفين، وما شابه؟
- ماذا يعلِّمنا عن المسيح؟
- ماذا يعني هذا لنا نحن المؤمنين بالمسيح؟
- ماذا يعني هذا للكنيسة عمومًا؟

دون شكّ، ليسَتْ هذه الفئاتِ الوحيدةَ التي يمكنك إدراجها، لكنَّها على الأقلِّ الفئاتُ الرئيسيَّة. ولوَضْعِ نقاطِ العظة (الجانب الأيمن من المخطَّط)، أحاولُ التفكير في الإجابة عن كلِّ فئةٍ من هذه الفئات (في الجزء العلويِّ من المخطَّط). إذا كانت عندي عظةٌ من ثلاث نقاط بعد الانتهاء من ملء الشبكة، أكون قد استخدمْتُ أدوات اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميِّ لتطوير ما لا يقلُّ عن ثماني عشرة نقطةً محتمَلة للتطبيق المتميِّز. كما أنِّي لم أُقحِم أيَّ شيءٍ في النصّ. بل نشأ التطبيق مباشرةً من مخطط التفسير، وهو في الواقع يرتبط به.

9Marks Online PDF

الشكل ١١,١: شبكة تطبيق العظة

النصّ:

الفكرة الأساسيَّة في المقطع:

الفئات / المخطَّط العامّ	الحقبة/تاريخ الفداء	غير المؤمنين	المجتمع	السيِّد المسيح	المؤمنون	الكنيسة
الفكرة ١						
الفكرة ٢						
الفكرة ٣						

9Marks Online PDF

هدفي هنا ليس أن أقول إنَّ عليك استخدامَ مثل هذه الشبكة، بل أقول إنَّها تساعدُنا على البدء بالتفكير في هذه الفئات لنتمكَّن من استخدام أدوات اللاهوت الكتابيّ. إذا كنتَ مهتمًّا باستخدام الشبكة، فهذا نوعٌ من الأمور التي ستفعلها بعد وَضْعِ مخطَّطٍ وعظيّ، لكنْ قبل كتابة نصِّ العِظة.

وحتَّى عندما أعظُ مدَّةَ ساعة، لا أستخدمُ بتاتًا كلَّ نقاط التطبيق التي تولَّدتْ في شبكة التطبيق. فبعد التفكير في كلِّ فئةٍ من الفئات، من المرجَّح أن أتجنَّبَ التَّكرار والعودة إلى الموضوعات التي أفضِّلُها. أميلُ عادةً إلى تطبيق النصِّ خارجَ النطاق الضيِّق الذي يعمل فيه عادةً معظمُ معلِّمي الكتاب المقدَّس: التطبيق الأخلاقيِّ للحياة المسيحيَّة الفرديَّة، والدعوة إلى بشارة الإنجيل لغير المؤمنين. وأميل إلى تطبيق النصِّ على الحياة الشاملة في كنيستنا عمومًا، والنظر في الآثار المترتِّبة على منظور غير المؤمنين. والأهمُّ أنَّ هذه الشبكةَ تذكِّرني بأنَّ أحَد أهمِّ "التطبيقات" ليس عنِّي أنا أو عن جماعتنا، بل ببساطةٍ ما يعلِّمنا إيَّاه النصُّ عن الآب والابن والروح القدس، وكيف عملَ الثالوث معًا لغرضِ خلاصِنا وتتميمه وتطبيقه لمجده الأبديّ.

تصنيف الراعي

ما نريدُه حقًّا ليس فقط أن نكون دارسين قاصِدين لفئات تطبيقنا، بل نريد أيضًا أن ندرسَ مَن يستمعون إلينا. وفي ما يأتي هو تصنيفٌ بسيطٌ للخراف و(الجِداء) ضمن الرعيَّة، أولئك الذين يستمعون إليك بينما تعلِّمهم أو تعظهم أسبوعيًّا. طوَّرَ وليَم بيركنز، البروتستانتيُّ الإنجليزيُّ من القرن السادس عشر، مخطَّطًا من سبع نقاط في فنِّ النبوَّة.[1] وما يأتي ليس معقَّدًا بالقدر ذاته؛ فأنا آخذ الفئات الفرديَّة للمؤمنين وغير المؤمنين من الشبكة وأستكشفها أكثر قليلًا.

أوَّلًا، ينتمي كلُّ مَن يستمع إليك إلى أحد الأزواج الثلاثة الآتية:

- **مؤمنٌ أو غير مؤمن:** أريد أن أخاطِبَ كلَيهما في كلِّ عظة.

1) William Perkins, *The Art of Prophesying* (London, 1606; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1996), 63–54.

9Marks Online PDF

- **راضٍ أو قَلِق**: يتطلَّب الرضى تحذيراتٍ أكثر من الحاجة إلى الوعود؛ لأنَّ وعودَ الله لا تعني الكثير لهم. إنَّهم راضون في هذا العالم، مثل الشابِّ الغنيِّ (متَّى ١٩). في حين يحتاج القَلِقون إلى وعود؛ لأنَّهم يشعرون بالفعل بما يفتقرون إليه، ويحتاجون إلى الرجاء: "أومِنُ يا سيِّدُ، فأعِنْ عَدَمَ إيماني" (مرقس ٩: ٢٤). لا أريد أن يُغوى الخائف بالإحباط، أو المتكبِّر بالبرِّ الذاتيّ.
- **المتديِّن أو الفاجر**: سيصغي المتديِّن باهتمامٍ لأيِّ شيء تقوله عن الناموس والشرائع، لكنَّه قد يتجاهل وعودَ الإنجيل. وسيكون الفُجَّارُ حريصين على سماع وعود الإنجيل بالنعمة، لكنَّهم قد لا يقدِّرون تعليمك عن التوبة وسيادة المسيح. أعتقد أنَّ الجميع يميلون في اتِّجاهٍ واحدٍ أو آخر، ويجب تطبيق النصِّ على كلتا المجموعتَين.

ثانيًا، افترضْ أنَّ الآتي ينطبق على كلِّ مَن يصغي:

- **عبادة الأوثان**: يكافح الجميع مع عبادة الأوثان بطريقةٍ أو بأخرى. كما قال جون كالفن إنَّ قلوبنا هي مصانع للأوثان.[٢] لذلك حاولْ تحديدَ بعض الأوثان التي يتحدَّث مقطعُك بشأنها، كما يجري التعبير عنها في ثقافتنا- القوَّة، المتعة، الكبرياء، الأمان، الثروة...إلخ.
- **البرُّ الذاتيّ**: منذ جنَّة عَدْن، حاوَلْنا تبريرَ أوثاننا، وإعفاء أنفسنا من خطايانا، وتزكية نفوسنا أمام الله. نرى ذلك في رغبتنا في نَيلِ الثناء من العالم. لكنَّ علينا أن نفهمَ أنَّ رغبتنا في مديح البشر لنا هي ببساطةٍ جزءٌ من مؤامرةٍ أكبر. فرغم أنَّنا خُلِقْنا لنرفعَ التسبيحَ إلى الله، ففي قلوبنا تَوقٌ إلى تلقِّي مديحٍ من الله نرى أنَّنا نستحقُّه.
- **محبَّةُ العالم**: تتَّخذُ محبَّة العالم أشكالًا عدَّة: الجنس والمال والسُّلطة والممتلكات والترفيه والجمال، وتطولُ القائمة. ورغم الاختلافات ما بينها، فثمَّة موضوعٌ ثابتٌ يتمثَّل في عبادة المخلوق دون الخالق (١يوحنَّا ٢: ١٥- ١٧).

2) John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, I.xi.8.

9Marks Online PDF

ثالثًا، هناك أنواع مختلفة من الخراف الضالَّة التي تحتاج إلى الكلمة (١تسالونيكي ٥: ١٢- ١٤):

- **البليدون**: ليست هذه الفئة خرافًا كسلانةً بقدر ما هي عنيدة متهوِّرة. إنَّها خرافٌ ترفضُ الانضباط، وتُصرُّ على السَّير في طريقها. ويقول بولس الرسول إنَّ هؤلاء الإخوة والأخوات الدنيويِّين يحتاجون إلى تحذير. قد يشمل ذلك أحيانًا الوعظَ مباشرةً بضمير المخاطبَ (أنتم/ أنتنَّ)، بدلَ استخدام ضمير المتكلِّم للجمع (نحن) الذي يُعدُّ ألطفَ وأنعمَ.
- **الهيَّابون**: هؤلاء هم الخراف الذين لا يطيعون الكلمة، لكنْ ليس لأنَّهم رفضوها رفضًا قاطعًا، بل لأنَّهم يهابون من العواقب، وربَّما المسؤوليَّات، التي تأتي مع الطاعة الأمينة. يجب تشجيع هؤلاء الخراف بوعود الإنجيل وقيمة ميراثنا في المسيح.
- **الضعفاء**: جميعنا ضعفاء بمعنًى ما، لكنْ يبدو أنَّ بولس الرسول يفكِّر في أولئك الذين ينبع افتقارهم إلى الإيمان والطاعة من الضعف الروحيِّ الناتج عن سوء التعليم. اتِّباعُ نظامٍ غذائيٍّ من الحليب دون الطعام القويِّ قد يُبقي الخراف على قَيْدِ الحياة، لكنَّها لن تنمو لتصيرَ خِرافًا ناضجة. يقول بولس الرسول إنَّ هذه الخراف تحتاج إلى المساعدة، ونحن نساعدها بواسطة التعليم الصحيح.

أخيرًا، انتبهْ إلى الأوضاع الجسديَّة والروحيَّة لسامعيك. كيف يتحدَّثُ النصُّ تحديدًا، وربَّما على نحوٍ مختلف، بشأن الفئات الآتية؟

- الرجال والنساء
- العازبون والمتزوِّجون والأرامل
- كبار السنِّ ومتوسِّطو العمر والأطفال
- العاملون والعاطلون من العمل والمتقاعدون
- الأغنياء والفقراء

9Marks Online PDF

- المتعلِّمون وغير المتعلِّمين
- أرباب العمل والموظَّفون

كيف يمكن أن تعملَ هذه التصنيفات؟ ربَّما تكون أسهل طريقةٍ للإجابة عن هذا السؤال هي بطَرْحِ مثال. إذا كنتُ أعظ من رسالة رومية ٤ : ١٣ – ١٧، فإنَّ إحدى نقاطي التفسيريَّة واللاهوتيَّة الرئيسيَّة ستكون عن التبرير بالإيمان وليس بأعمال الناموس. وعندما أطبِّق ذلك، سأرغب في التفكير بعنايةٍ في كيفيَّةِ ترغيب الناس من محطَّات الحياة المختلفة في رعيَّتي لتبرير أنفسهم. بالتفكير في الثقافة الأميركيَّة، قد ألاحظ أنَّ الرجال يسعون إلى تبرير أنفسهم بعملهم، في حين تسعى النساء إلى تبرير أنفسهنَّ بعلاقاتهنّ. يميل الرجال إلى تقديس العمل، في حين تميل النساء إلى تمجيد العلاقات. دون شكّ، ثمَّة استثناءات لهذه التعميمات. لذلك قد لا أعرِّفُ هذه الميول على أنَّها ذكوريَّة وأنثويَّة، لكنِّي أرغب في مخاطبة كلا النوعَين من الناس. سأرغب في تسليط الضَّوء الكتابيِّ على عبادة الأوثان، ثمَّ أريهم وعود الله الأفضل في الإنجيل. إنَّ "شرائع" ما يبدو عليه الإنسان الناجح و"شرائع" ما يكوِّنُ علاقةً ذات معنى، مثل شريعة الله في العهد القديم، لا تبرِّر الشخص! الإيمان بالمسيح وحدَه هو ما يبرِّرُ الإنسان.

ما لن أفعلَه هو ببساطةٍ مناشدة رغباتهم مباشرة- من أجل تحقيق السعادة والرجاء- ثمَّ دعوتهم إلى العثور على ذلك في يسوع. ببساطةٍ تقديم حافزٍ للجماعة لقبول يسوع يفترض أنَّ رغباتهم تعمل بترتيبٍ سليمٍ وصورةٍ حَسَنة- يفترضُ أنَّهم يريدون حقًّا تبنِّيَ الأمور الصحيحة. لكنْ إذا كنَّا نؤمن بعقيدة الخطيَّة، فلا يمكننا أن نفترض ذلك. هل يريد غير المؤمنين حياةً ملآنةً بالهدف؟ بالتأكيد يريدون. المشكلة هي أنَّهم، بوصفهم وثنيِّين، يريدون أن يركِّزَ هذا الغرضُ على أنفسهم. وسيكونون سعداء حتَّى بتوظيف الله ويسوع لملء هذا الهدف المتمحور حول الذات.

ويؤدِّي كلُّ هذا إلى استنتاجٍ مفادُه أنَّنا نريد أن يكونَ تطبيقُنا مدفوعًا بالإنجيل. يمكن أن يعظَ أشخاصٌ متديِّنون من دياناتٍ أُخرى من الوصيَّة الثامنة، ويضعوا التطبيقَ أنَّ علينا ألَّا نسرقَ، وأنَّنا سنكون أسعدَ وأكثرَ تكيُّفًا مع الناس إذا لم نسرق، وأنَّ جَنْيَ الدَّخْلِ بأمانةٍ يُعطي معنًى وهدفًا للحياة. لكنْ هل يمكن أن تكون هذهِ عِظةً مسيحيَّة؟

9Marks Online PDF

تشير العظةُ المسيحيَّة عن الوصيَّة الثامنة إلى أنَّنا جميعًا لصوص، سواء سرقنا بنكًا مثلًا أم لم نفعل. لقد سرَقْنا من أرباب العمل وغيرهم ما كنَّا مَدينين لهم به حقًّا. والأهمُّ أنَّنا سرَقْنا من الله، سَلَبْناه مجدَه بادِّعائنا المجدَ لأنفسنا. وهكذا نقفُ جميعًا تحت دينونة الله بصفةِ لصوصٍ وسارقين، ماديًّا وروحيًّا. ثمَّ تمضي العظة لتفسِّرَ للمؤمن بأنَّ يسوع المسيح نقلَه من الموت إلى الحياة وأعطاه ميراثًا في السماء. لذلك، لدينا كلُّ ما نحتاج إليه في المسيح. ولا يوجد سببٌ للعودة إلى الطرق القديمة للسرقة التي تؤدِّي فقط إلى الفقر الروحيّ، ومن ثَمَّ الدينونة والموت أمام الله.

أربع دراسات حالة

كيف يمكن استخدام شبكة التطبيق وتصنيف الراعي لدى سعينا إلى فَهْمِ النصوص الأربعة المذكورة آنفًا وتطبيقها؟ فلنأخُذْها بالدَّور. والمقصود بما يأتي أن يكونَ اقتراحاتٍ وخطوطًا عريضةً للأسلوب المتَّبع، وليس إجاباتٍ شاملةً نهائيَّة. لكنِّي آملُ أن تساعدَك على البدء بالتفكير في استخدام أدوات اللاهوت الكتابيِّ واللاهوت النظاميِّ بوسائلَ جديدةٍ أكثر إثمارًا في أثناء سعيِك إلى تطبيق الكتاب المقدَّس كلَّما علَّمْتَ أو وعَظْت.

شرائع الطعام والتطهير في سِفر اللاويِّين

الفكرة الأساسيَّة

أوَّلًا، ما الهدف من هذه الشرائع في سياقها الأصليّ؟ سفر اللاويِّين ١١: ٤٤– ٤٥ يلخِّص ذلك. يكرِّسُ الناس أنفسهم لله. ولأنَّ الله قدُّوس، يجب أن يكونوا مقدَّسين ومُفرَزين له، ومنفصلين عن الأمم المحيطة. يجب أن يكونَ شعبُ الله معروفًا بوضوح على أنَّه شعبُ الله، ومنفصلٌ عن العالم المحيط. أحد الأسئلة التي نرغب في وضعها في الحسبان هو ما إذا كانت هذه استمراريَّةً أم فجوةً (انقطاعًا) في أثناء انتقالنا إلى العهد الجديد، وبأيِّ طرق.

9Marks Online PDF

الخطُّ الزمنيُّ للقصَّة الكتابيَّة

كيف يتناسب هذا النصُّ مع تاريخ الفداء أو قصَّة الكتاب المقدَّس كلِّها؟ من المهمِّ أن ننظرَ إلى الوراء إلى خروج ١٩ حيث وعدَ الله بجَعْلِ هؤلاء الناس "أمَّة مقدَّسة"، أي أمَّةً منفصلة مكرَّسة. إنَّ هذه الشرائعَ هي بدايةُ تحقيقِ الله لوعده. لكنْ هل يعني هذا أنَّ على مؤمني العهد الجديد أن يحفظوا شرائعَ الطعام اليهوديَّة؟ الجواب هو "لا"، وثمَّة نصوصٌ عدَّة في العهد الجديد مهمَّة في فهمِ السبب، وأحَدُها هو مرقس ٧: ١٥. فتعليقًا على هذه الشرائع ذاتها، قال يسوع: "ليس شَيءٌ مِنْ خارِجِ الإنسانِ إذا دَخَلَ فيهِ يَقدِرُ أنْ يُنَجِّسَهُ، لكن الأشياءَ التي تخرُجُ مِنهُ هي الّتي تُنَجِّسُ الإنسانَ". فما تلاشَتْ قداسةُ الله في العهد الجديد، ولا تغيَّرَتِ الحاجةُ لأنْ يكونَ شعبُ الله مقدَّسًا بوضوح. بل صار ناموس القداسة داخليًّا لا خارجيًّا، وهو أمرٌ يتعلَّقُ بالقلب وليس بمجرَّد طقوسٍ وحِفْظِ شريعة. والآن، ما الفجوات التي يجب أن نتذكَّرها؟ لا تنطبق هذه الشرائع مباشرةً على الكنيسة اليوم؛ لأنَّ شريعةَ قداسةِ الله صارت داخليَّة لا خارجيَّة. قد تقول إنَّ الفئات الآتية تقدِّم إلى حدٍّ كبيرٍ نقاطَ استمراريَّة.

غير المؤمن/ المنظور إلى العالم

ماذا يعني هذا لغير المؤمنين بالمسيح والمنظورات السائدة في العالم اليوم؟ على أقلِّ تقدير، تشير خصوصيَّةُ هذه الشرائع إلى أنَّ الله يهتمُّ بكلِّ جانبٍ من جوانب حياتهم: كيف يعاملون زوجاتهم وأولادهم، وطموحات قلوبهم، وما يفعلونه بأموالهم. نحن لسنا مستقلِّين كما نظنّ، كما أنَّ قداسة الله تؤدِّي إلى دينونةِ كلِّ ما هو نجس. وبوصف شرائع الطعام هي تعبيرٌ عن جانبٍ واحدٍ من ناموس الله كلِّه، فإنَّها تَدينُنا على عدم قداستنا وتُبرِزُ بحقٍّ دَينونةَ الله وغضبه على كلٍّ منَّا شخصيًّا.

المجتمع

ماذا يعني هذا لنا نحن المجتمع؟ قد يكون أحد التطبيقات هو ما لا يعنيه هذا لنا (فجوة أخرى). كان الله يفعل شيئًا فريدًا في الأمَّة العبرانيَّة على الصعيد السياسيّ، حيث أفرَزَ عِرْقًا ليكونَ شعبَه

9Marks Online PDF

المرئيَّ في العالم. ومهما كان اعتقادك بشأن الأيَّام الأخيرة، وفهمك للعلاقة ما بين شعب الله في القديم والكنيسة، فإنَّ هذا القدر واضح على الأقلّ. أميركا ليست شعبَ الله الجديدَ. لذلك ليس لدينا تفويضٌ لمحاولة سنِّ شرائع العهد القديم. غير أنَّ شريعة الله، حتَّى المختصَّة بالطعام، هي انعكاسٌ لشخصيَّته، ومن ثَمَّ قد تكون ثمَّة مبادئ هنا من شأنها أن تفيدَ الأمَّة. يهتمُّ الله بكيفيَّة عَيْشِ الناس في كلِّ أمة. وأخيرًا، إنَّنا نتذكَّر ليس فقط الفوائد، بل أيضًا القيود التي يفرضها الناموس. لا يعمل الناموس على جَعْلِنا صالحين، بل لا يستطيع في الواقع أن يفعل. انتهكَتِ الأمَّة العبرانيَّة هذه الشرائع، رغم أنَّ الله نفسَه أوصاهم بها. لذلك علينا في مجتمعنا الاعترافُ بأنَّ التحوُّلَ الثقافيَّ يحدث ليس فقط بواسطة شرائع أفضل، بل يحدثُ في النهاية بواسطة الأشخاص الذين تغيَّرت حياتهم.

المسيح

ماذا نتعلَّم عن المسيح؟ أكملَ المسيح هذه الشرائع (متَّى ٥: ١٧). لقد كان قدُّوسًا، ليس فقط لأنَّه تناولَ الأطعمة المناسبة، بل لأنَّ قلبَه كان يتميَّز بما تشير إليه هذه الشرائع الخارجيَّة- محبَّة الله والتكريس لمقاصده (انظر تثنية ٦: ٥، ١٠: ١٢، ١١: ١؛ متَّى ٢٢: ٣٧ وما يلي). من العجيب أنَّ المسيح، في تحقيق الناموس، وضعَ جانبًا السمات الخارجيَّة والطقسيَّة لشريعة جبل سيناء وقدَّم إلينا عهدًا جديدًا. وقد وضعَ المسيح هذه الفكرة بوضوحٍ أمام الرسول بطرس في أعمال ١٠. في غلاطِيَّة ٢: ١١ وما يلي، نقرأ التذكيرَ الحادَّ الذي صرَّح به الرسول بولسُ للرسول بطرسَ بماهيَّة الخبر السارّ. كان "اليهود بالجسد" يعرفون جيِّدًا "إذ نَعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يتبَرَّرُ بأعمالِ النّاموسِ، بل بإيمانِ يَسوعَ المسيح". لذلك ستركِّز أيَّةُ عظةٍ أخلاقيَّة حول سفر اللاويِّين ١١ على الناموس. لكنَّ عِظةَ الإنجيل ستشير إلى المسيح الذي أتمَّها نيابةً عنَّا.

الفرد المؤمن

ماذا يمكننا أن نقول للمؤمن الفرد؟ بالموت الكفَّاريِّ للمسيح على الصليب، عملَ على تطهيرنا. لقد أزال الحاجزَ ما بيننا وبين الله. لكنَّ العهد الجديد يدعونا، مثلما هي الحال في الأمَّة العبرانيَّة، إلى عَيْشِ حياةِ قداسة تزكِّي الله لغير المؤمنين (انظرْ ١كورنثوس ١٠؛ ٢كورنثوس ٦). ويعني هذا أنَّ

9Marks Online PDF

كلَّ مجالٍ من مجالات حياتنا مهمّ، ويجب أن يمجِّدَ الله، سواء كان أكلًا أم شُرْبًا أم مهما كان ما نفعله.

الكنيسة

ماذا يجب أنْ يُقالَ للكنيسة كلِّها؟ الكنيسة هي بالضَّبط ما يقصد الله أنْ يستخدمَه ليُنمِّيَنا نحو القداسة. يجب أن نشجِّعَ ونوبِّخَ بعضنا بعضًا لنكونَ مشابهين صورةَ المسيح. يجب أن نبنيَ حياةَ بعضنا بعضًا. كما رأينا في العهد القديم، لا يحتوي العهد الجديد على فئة "الانتماء قبل الإيمان" (أي أنَّنا يجب أن ندعَ غير المؤمنين يشعرون بأنَّهم ينتمون إلى كنائسنا لكي يؤمنوا)، كما يقول بعض قادة الكنيسة اليوم. ما يزال للقداسة طابعٌ شموليّ (١بطرس ٢). لذلك يعلِّمُ الكتابُ المقدَّس الكنيسة أن تمارسَ العضويَّة الكتابيَّة والتأديبَ الكنسيّ (متَّى ١٨؛ ١كورنثوس ٥). يجب أن نخطفَ بعضنا بعضًا من النار (يهوذا ٢٣).

تصنيف الرَّاعي

ما بعض المخاوف التي أثارها تصنيفُ الراعي؟ لعلَّ أحَدَ أهمِّ المخاوف هو أن تكونَ حسَّاسًا للحقيقة الآتية: عند التعامُل مع الشريعة، سيُدان بعض الناس بسهولةٍ ويُهزَمون ويُحبَطون، في حين سيتجاهلها آخرون بسهولة أو يشعرون بالتفوُّق عليها أو حتَّى تبريرها. يجب معالجة البرِّ الذاتيِّ والقلق كلَيهما. أيضًا، ما دُمنا جميعًا نبرِّرُ ذواتنا، فيجب أن يُشعَّ ضَوء النصِّ على عدم كفاية قداستنا، ويُبرِزَ أيضًا كفاية المسيح.

غزوُ يشوعَ لكنعان

الفكرة الأساسيَّة

الله أمين ليَدين بواسطة رجلٍ عيَّنَه هو مَن (١) يهزمُ أعداءَه و(٢) يخلِّصُ شعبَه. رغم أنَّ السردَ يركِّز في أحيانٍ كثيرة على تصرُّفات الأسباط، وليس فقط يشوع، فإنَّ السِّفرَ كلَّه مؤطَّرٌ بأمانةِ الله للرَّجل الذي خلفَ موسى، وبواسطته تصل هذه الأمانةُ إلى الأمَّة كلِّها. في النهاية، كان يشوع من الناحية النبويَّة النائبَ عن الأُمَّة بوصفه شخصًا خدمَ الربَّ بأمانة.

9Marks Online PDF

الخطُّ الزمنيُّ للقصَّة الكتابيَّة

يبدأ يشوع الأصحاح ٢٤ العمليَّة لنا. هناك ينظر يشوع إلى الوراء إلى وعد الله بالراحة لإبراهيم، والكيفيَّة التي تحقَّق فيها هذا الوعد بواسطة دخول الأرض. لكنْ يظهرُ بوضوحٍ في تصريح يشوع أنَّه لا يرى بأنَّ هذا هو التحقيقُ النهائيُّ للوعد. وقد حذَّرَ الشعبَ من الكارثة التي ستحلُّ بهم حينما يهجرون الله. ومن الواضح أنَّ ثمَّة حاجةً إلى مزيدٍ من الخلاص وإلى مزيدٍ من الراحة. بعد النظر إلى الوراء مع يشوع، يجب على الواعظ أن يتطلَّع إلى العهد الجديد، حيث نتعلَّم أنَّ وعدَ الأرض مفهومٌ على نحوٍ رمزيٍّ يتصاعدُ إلى تحقيق نهائيّ. وتبيِّن الرسالة إلى العبرانيِّين أنَّ وعدَ الراحة المعطى في عهد يشوع لم يُقصَد به أن يكونَ الراحةَ النهائيَّة لشعب الله (عبرانيِّين ٣: ٧– ٤: ١٣). ويعني هذا أنَّنا لا ننتظرُ مدينةً أرضيَّة بل مدينة سماويَّة (عبرانيِّين ١١: ١٠، ١٤– ١٦، ١٣: ١٤)، والتي كسبها من أجلنا ابن الله الممسوح، أي المسيح، باجتياحه الأرض. لذلك، لا يوجد لدى المؤمن بالمسيح أيُّ مبرِّر للحروب أو إنشاء ممالك أرضيَّة بادِّعاء تتميم مقاصد الله.

غير المسيحي/ المنظور إلى العالم

قصدَ الله بدينونته على كنعانَ أن تكون تحذيرًا لدينونةٍ أعظم آتية. ما نراه في الحروب المقدَّسة ليشوع هو ما يُسمِّيه اللاهوتيُّون دينونةً لإيقاف تفاقُم الشرّ. يبدو الأمر كما لو أنَّ اليوم الأخير لتلك الرُّقعة من العالم قد حلَّ مبكِّرًا. كما يؤكِّد لنا بطرس الرسول، فإنَّ التاريخ ليس دوريًّا أو دون معنى. فما حدث من قبل هو أشبَهُ بتحذيرٍ لما لم يأتِ بعدُ (٢بطرس ٣: ٣– ٧). إنَّ للتاريخ نهايةً محدَّدة، وتتضمَّن هذه الغاية تقديمَ حسابٍ نهائيٍّ أمام الله، حيث سيُرى أنَّ الحقَّ ليس نسبيًّا، وأنَّ البرَّ ليس منظورًا شخصيًّا.

المجتمع

يستطيع الله أن يُسلِمَ شعبًا أو أمَّةً إلى الدينونة بسبب خطيَّتهم. وهذا جزءٌ من منظور بولس الرسول في رومية ١: ٢٤ عندما أعلن أنَّ الله "أسلَمَهُمُ...أيضًا في شَهَواتِ قُلوبِهِمْ". فالرَّحمةُ إذًا محدودةٌ

9Marks Online PDF

زمنيًّا. وفي حين جرى استئمان الحكومة على سُلطةِ معاقبة منتهكي القانون (رومية ١٣: ١– ٥)، لا توجد لحكومةٍ دنيويَّةٍ السُّلطة لإعلان نفسها وكيلَ دينونة الله النهائيَّة على شعبٍ آخرَ واتِّباع سياسة الإبادة الجماعيَّة. كانت حرب يشوع المقدَّسة فريدةً من نوعها للأمَّة العبرانيَّة. وكما سنرى أدناه، فإنَّ الحرب المقدَّسة التي يُدعى المسيحيُّون إلى تنفيذها مختلفةٌ تمامًا، وإنْ لم تكُنْ أقلَّ جذريَّةً.

المسيح

يرمزُ يشوع إلى يسوع المسيح، الديَّانِ النهائيِّ الحقيقيِّ المعيَّنِ من الله (يوحنَّا ٥: ٢٧) الذي جاء لهزيمة كلِّ تمرُّدٍ على الآب السماويِّ وتدميره، وبهذا يخلِّصُ شعبَ الله. في المجيء الأوَّل ليسوع، أنجز هذا على نحوٍ غير متوقَّعٍ بواسطة الصليب (كولوسِّي ٢: ١٣– ١٥). أمَّا في مجيئه الثاني، فقال إنَّه سيُنجزُ ذلك في المجد من عرشه (رؤيا ١٤: ١٤ وما يلي).

الفرد المؤمن

تقع أحداث الحرب المقدَّسة في العهد الجديد في قلوبنا. "فإنَّ مُصارَعَتَنا لَيسَتْ مع دَمٍ ولَحمٍ، بل... مع وُلاةِ العالَمِ علَى ظُلمَةِ هذا الدَّهرِ، مع أجنادِ الشَّرِّ الرُّوحيَّةِ في السماويَّات" (أفسس ٦: ١٢). "فأميتوا أعضاءَكُمُ التي علَى الأرض..." (كولوسِّي ٣: ٥). مثل بني إسرائيل، نحن لا نُبرمُ أيَّة معاهدات مع خطيَّتنا ولا نعطيها موطئ قدم، بل علينا أن نُميتَ الخطيَّة في حياتنا، وإلَّا فستهلِكُنا. من منظورٍ أوسع، يجري تذكيرنا أنَّ هذا العالم وحياتنا، نحن الأفراد، ما يزالان ساحةَ معركة، لا ملعبًا، مع أنَّ النصرَ تحقَّقَ بالسيِّد المسيح.

الكنيسة

كم هو أمرٌ حسَّاسٌ في كنائسنا وجود قادةٍ صالحين وتعليمٍ أمينٍ لكلمة الله! لئلَّا تُغرينا آلهة الثقافة المحيطة بنا وتُسقِط أمَّة العهد القديم (انظر سفر القضاة). علاوةً على ذلك، لا تعني الحرب الروحيَّة التي نخوضها أن نواجهَها وحدَنا، إذ يوجَدُ بُعدٌ شاملٌ للمعركة، تمامًا كما أنَّ هناك بُعدًا شاملًا للرَّاحة الموعودة التي ما تزال تنتظرنا. يجب أن نرى هذا في كنائسنا المحلِّيَّة، كما نحرِّضُ

9Marks Online PDF

بعضنا بعضًا على المحبَّة والأعمال الصالحة (عبرانيِّين ١٠: ٢٤). ومثلما اشتركَ أسباط بني إسرائيل بعضهم مع بعضٍ في دخولِ أرضِ كنعان، يجب أن نتشارك مع الكنائس الإنجيليَّة المحلِّيَّة الأخرى من أجل تقدُّمِ عملِ الإنجيل.

تصنيف الرَّاعي

تتبادر إلى الذهن قضايا عدَّة في الحال. أوَّلًا، يجب معالجة مشكلة الإبادة الجماعيَّة، بسبب الإساءة إلى غير المؤمنين وضمائر الكثير من المؤمنين. ثانيًا، توفِّر اللغة والتصوير المستخدمَين للقيادة والمعركة فرصةً حقيقيَّةً للتحدُّث بقوَّةٍ إلى رجالِ الجماعة، لمنحهم منظورًا حول ماهيَّة الحياة الروحيَّة الحقيقيَّة. ثالثًا، سيكون ثمَّة أفرادٌ ضمن الجماعة أصابَتْهم جروحٌ بليغةٌ في المعركة، ويميلون إلى الانسحاب. إنَّ أهمِّيَّة مساعدة الضعفاء، بتذكيرهم برجائهم في السماء، هو أمرٌ غايةٌ في الأهمِّيَّة.

المزموران ١ و٢

الفكرة الأساسيَّة من المزمور ١

ثمَّة طريقان للعيش، وطريقُ الأمانة لكلمة الله هو طريق البركة.

الفكرة الأساسيَّة من المزمور ٢

رغم أنَّ الأممَ رفضوا الله بتعجرف، فإنَّ الله سيؤسِّس مُلْكه بواسطة ابنه، الذي سيخلِّصُ بدَورِه شعبَ الله ويَدين أعداءه.

وضْعُ المزمورَين معًا

يبدأ سفر المزامير بتصريحات متوازيةٍ بأنَّ البركةَ تأتي بواسطة كلمة الله وبواسطة ابن الله.

9Marks Online PDF

الخطُّ الزمنيُّ للقصَّة الكتابيَّة

بالنظر إلى الخلف، نرى منذ البداية (من سِفر التكوين)، أنَّ ابنَ الله دُعي إلى طاعة كلمة الله ومن ثَمَّ التمتُّع بالبركة (تكوين ٢: ١٥– ١٧). لكنَّ الابنَ عصى مِرارًا وتَكرارًا، وبهذا اختبرَ دينونةَ الله. ونرى هذا مثلًا في آدمَ والأمَّة العبرانيَّة وداوُدَ وسليمان. أمَّا يسوع فهو الابنُ الحقيقيّ، الذي تلذَّذَ بكلمة الرَّبّ، وهزمَ أعداء الله، وهكذا يجري التوكيد علنًا أنَّه الابنُ الذي يؤسِّس ملكوت الله ويجلبُ بركاتِ جنَّة عَدْن بشجرةٍ مثمرة (متَّى ٣: ١٣– ١٧؛ ١٧: ١– ١٣). لقد جئنا إلى ذلك الملكوت الذي هو ميراثٌ للابن (أفسس ١: ١٨؛ مزمور ٢: ٨). لكنَّنا أيضًا جُعِلْنا نحن أنفسنا أبناء، وذلك ليس بحِفْظ الناموس، بل بالاتِّحاد مع الابن، الذي يخلِّصُنا ليس فقط من الغضب، بل يجعلُنا ملائمين للسَّيرِ في شريعةِ الله ونتمتَّع بشجرةِ الحياة (غلاطِيَّة ٣: ٢٦– ٤: ٧، ٥: ١٣– ٢٦؛ رؤيا ٢٢: ١٤).

غير المؤمنين/ المنظور إلى العالم

هناك تطبيقٌ شاملٌ لشريعة الله ومُلك الله بواسطة الابن. لذلك، ثمَّة طريقان فقط للعَيش، بغضِّ النظر عن عدد الاختلافات التي يظهِرُها أحَدُ هذَين الطريقَين. ويشيرُ هذان المزموران معًا أيضًا إلى تفرُّد المسيح بوصفه السبيلَ الوحيدَ إلى ملكوت الله، والمهربَ الوحيدَ من الدينونة الآتية.

المجتمع

يكونُ أيُّ مجتمعٍ مباركًا بمقدار قدرته على أن يعكسَ كلمةَ الله. وبهذا المعنى، فإنَّ الكثيرَ من البركة التي تعرفُها دولٌ كثيرةٌ مقارنةً بدُوَلٍ أخرى مشتقَّةٌ من تراثٍ مسيحيٍّ باكر. وهكذا، ليس ثمَّةَ مجالٌ للدُّوَل المبارَكة أن تفتخرَ بثقافتها. ومن جهةٍ أخرى، في يوم من الأيَّام سوف تصير "مَمالِكُ العالَمِ لرَبِّنا ومَسيحِهِ" (رؤيا ١١: ١٥)، لأنَّه يُخضِعُ الخليقةَ للدَّينونة النهائيَّة. لذلك، يجب تشجيع الحكومات على تحسين سويَّةِ الحرِّيَّات الدينيَّة والدفاع عنها، لا سيَّما حرِّيَّة المعتقد.

9Marks Online PDF

المسيح

يسوع المسيح هو الرجل المطوَّب حقًّا في المزمور ١، وهو الوحيد الذي يعلن النصر الحقيقيَّ للابن في المزمور ٢. يساعدنا المزمور ٢ أيضًا على إدراك لقبِ "ابن الله" في الأناجيل بوصفه لقبًا للمَلَكيَّة كما أنَّه بالضرورة لقبٌ للألوهيَّة.

الفرد المؤمن

المؤمنُ بالمسيح مدعوٌّ إلى التوبة والإيمان، وإلى حياةٍ تنطلقُ من السير بحسب الحقّ. وفي الواقع، هذا الحقُّ هو حقُّ يسوع المسيح، وليس مجرَّد حِفْظ الناموس. وإذ ندرك أنَّ المسيحَ هو الرجل المطوَّب، فهذا يمنعنا من الوعظِ مجرَّدَ عِظةٍ أخلاقيَّة من المزمور ١.

الكنيسة

الكنيسة هي بالضبط جماعة الذين وجدوا ملجأً في المسيح، والذين يسلكون فيه الآن. إنَّنا ندرك أنفسَنا على أنَّنا التعبير المرئيُّ لملكوته على الأرض، ويركِّز رجاؤنا الجماعيُّ وطاقتنا على الشهادة بالقول والفعل حتَّى اليوم الذي يأتي فيه ملكوته في المجد. يتحدَّث هذا المقطع أيضًا بشأن ضرورة التأديب الكنسيّ، الذي يستبعد غير التائبين من الكنيسة تحسُّبًا لليوم الأخير. كما يقول بطرس الرسول: "لأَنَّهُ الوقتُ لابتِداءِ القَضاءِ مِنْ بَيتِ الله..." (١بطرس ٤: ١٧).

تصنيف الرَّاعي

ما دام المزمور ١ يتحدَّث بكيفيَّة العثور على البركة، فثمَّة فرصةٌ حقيقيَّةٌ لاستكشاف الكيفيَّة التي نميل بها جميعًا إلى السعي وراء البركة بمحبَّة العالم، بدلَ الأمانة للمسيح. لذا يتحدَّانا هذا المزمور في تعريفاتنا للحياة الجيِّدة والازدهار والقبول. من جهةٍ أخرى، يتحدَّانا كلا المزمورَين أن نفحصَ السخرية والازدراء بالله وطرقه، والاعتراف بهما والتوبة عنهما.

9Marks Online PDF

مَرقُس ١: ١٤- ١٥

الفكرة الأساسيَّة

الرسالة التي بشَّر بها يسوع (والتي من شأنها أن تتحقَّق ضمنيًّا) هي أنَّ ملكوت الله بدأ لكلِّ الذين يتوبون عن خطيَّتهم ويؤمنون برسالة الملكوت. لذلك فإنَّ ملكوت الله هنا ليس مكانًا (مملكة)، بل هو مُلْكٌ، تُسكب فيه بركات الله في الخلاص على شعبه. إنَّه حرفيًّا حياةُ السماء التي تشقُّ طريقها إلى الحياة على الأرض.

الخطُّ الزمنيُّ للقصَّة الكتابيَّة

إنَّ ملكوت الله- الذي بدأ في تكوين ١، لكنَّه أُحبِط جرَّاء الخطيَّة في تكوين ٣، وهو ما صُوِّر في الأمَّة العبرانيَّة، ووَعد به الأنبياء- يجد تنصيبه في الكرازة بيسوع واستجابة جميع الأمم بالتوبة والإيمان. اليوم هذا الملكوت خفيٌّ وروحيٌّ على حدٍّ سواء. لكنْ سيُستكمَلُ يومًا ما الملكوت في سماءٍ جديدةٍ وأرضٍ جديدة. وهكذا يقفُ هذا النصُّ كأنَّه محور، ينتقل من ملكوتٍ رمزيٍّ للشعب القديم إلى ملكوت المسيح الروحيِّ الحقيقيّ.

غير المؤمن/ المنظور إلى العالم

لا نجد في بولس الرسول ادِّعاءات غير متسامحة من جانبٍ واحدٍ حول المسيحيَّة، بل يجدُ تفرُّدُ المسيح أوَّل تعبيرٍ عنه على شفاه يسوع. من زاويةٍ أخرى، تتحدَّى كرازة يسوع بملكوت الله كلَّ الجهود البشريَّة اليوتوبيَّة (الفاضِلة المثاليَّة). هو وحده يستطيع أن يُقيم الفِرْدَوس وسيُقيمه، وسيكون دخول هذا الفِرْدَوسِ بالتوبة والإيمان، لا بخُطَّةٍ استراتيجيَّةٍ سياسيَّةٍ أو اقتصاديَّة. في الأساس، يصرُّ هذا النصُّ على أنَّنا نكرزُ بالمطلوب للتَّوبة والإيمان، تمامًا مثلما أعلنَ المسيح.

9Marks Online PDF

المجتمع

وَفقًا ليسوع المسيح، ثمَّة فصلٌ واضحٌ ما بين الكنيسة والدولة؛ بين ممالك هذا العالم وملكوت الله (متَّى ٢٦: ٥٢– ٥٦؛ يوحنَّا ١٨: ٣٦). أيعني هذا أنَّ المؤمنين بالمسيح لا ينبغي أن يهتمُّوا بما يحدث من حولنا، أو أنَّهم يستطيعون رَفْضَ السياسة الدنيويَّة؟ لا بتاتًا. إنَّ ما بين تدشين ملكوت الله وإتمامه، تكون السُّلطة السياسيَّة الأرضيَّة شرعيَّةً وضروريَّةً من أجل المصلحة العامَّة (رومية ١٣). غير أنَّ هذه السُّلطة وقتيَّةٌ محدودة، ونحن لا نضعُ رجاءنا النهائيَّ فيها (راجعْ أعمال الرسل ٤: ١٩– ٢٠).

المسيح

ما هو ضمنيٌّ في هذا الإعلان الأوَّل، والذي صارَ جليًّا بعد الصلب والقيامة، هو أنَّ يسوع نفسه هو موضوع توبتنا وإيماننا. ومن المفارَقات أنَّ الشخصَ الذي يعلن الملكوت هو أيضًا الشخص الذي يضمنُ إدراجنا فيه بموته والذي دشَّنَه بقيامته. وكما لاحَظْنا بالفعل، فإنَّ هذا الملكوت لا يتعلَّق بمكانٍ أكثر من كونه مُلكًا، ولا يتعلَّق الانضمام إليه بالعِرْق بقدر ما يتعلَّق بالخضوع لذلك الـمُلك.

المؤمن الفرد والكنيسة

بعد أن تُبْنا وآمنَّا، أوكِلَتْ إلينا الرسالة ذاتها للمصالحة مع الله بالتوبة والإيمان بالمسيح (٢كورنثوس ٥: ١٦– ٢١). إنَّنا نعيش أيضًا في رجاءِ إتمامِ الـمُلك. وما يغيبُ على نحوٍ لافتٍ للنَّظر عن بقيَّة العهد الجديد هو أيُّ تفويضٍ أو إشارة يفترضان أن نبنيَ الملكوت أو أن نأتيَ به. علينا أن نُعلنَه وندعو الآخرين للدخول فيه بالمسيح. غير أنَّ المسيح، لا الكنيسة، هو الذي يأتي بملكوت الله. ويتحدَّث العهد الجديد بشأن الملكوت في بعض النواحي التي تشير إلى الاستمراريَّة مع هذا الوجود (مثلًا، رومية ٨: ٢٠– ٢١). لكنَّ غالبيَّة مراجعها تشير إلى فجوةٍ جذريَّة (مثلًا، ١كورنثوس ١٥؛ ٢بطرس ٣: ١٠– ١٣). ويؤكِّد هذا الطبيعة الجذريَّة لما يفعله الله، وسيفعله عند المجيء الثاني للمسيح.

9Marks Online PDF

تصنيف الرَّاعي

دون شكّ، فإنَّ التمييزَ الأساسيَّ الذي يجب إدراكه هو التمييز ما بين المؤمن وغير المؤمن. لكنْ يجب ألَّا ننسى حقيقةَ أنَّ جزءًا من بشارة الإنجيل كما أعلنه يسوع هو تجاوُبنا، ويشملُ هذا التجاوُبَ التوبةَ والإيمان. في الثقافة الأميركيَّة، مثل ثقافاتٍ أُخرى عدَّة، أنتجَتْ عقودٌ من الكرازة الإنجيليَّة التي تحثُّ على التجاوُبِ العمليِّ واتِّخاذ القرار، وما يبدو إيمانًا يسيرًا، جماهيرَ من المسيحيِّين الاسميِّين الذين يفترضون أنَّ وطنَهم هو السماء، في حين أنَّ الأمرَ قد لا يكون كذلك. ويوفِّر هذا النصُّ فرصةً لشَرْح ماهيَّة التوبة الحقيقيَّة، ومن ثَمَّ توضيح ما يعنيه أن تكون مؤمنًا حقيقيًّا بالمسيح.

الخلاصة

بدأتُ هذا الفصل بالقول إنَّ اللاهوت الكتابيَّ أشبَهُ بأداةٍ لا تطلب أن تحجزَ مكانًا على الرفّ، بحيث لا تُنزلُه من هناك بتاتًا. وكما رأينا في دراسات الحالة، فإنَّ اللاهوت الكتابيَّ هو ما يسمحُ لنا بالكرازة بالمسيح من كلٍّ من شرائع الأكل في سِفر اللاويِّين كما من إنجيل مرقس. إنَّه يسمح لنا بتعرُّف الكتاب المقدَّس كلِّه والكرازة وَفقَ طبيعته الحقَّة: الكتاب المقدَّس للمسيحيِّين. إنَّه يحول دون إضفائنا طابعًا أخلاقيًّا على العهد القديم، وفي الوقت نفسه يعطي الوزن الواجبَ لمعنى كلِّ نصٍّ من نصوص العهد القديم في السياق الأصليّ. إنَّه يشجِّعنا على رَبْطِ كلِّ مقطعٍ نعظه بما فعله الله في الماضي وما وعد به في المستقبل، كما أنَّه يوفِّر لنا منظورًا إلى العالم، قصَّةً تتحدَّى القصص السائدة في ثقافتنا. وهو يحول دون وعظنا فقط الموضوعات التي تحلو لنا. والأهمُّ أنَّه يركِّز على النقطة الأساسيَّة لكلِّ مقطع ضمن القصَّة الكبرى للكتاب المقدَّس- قصَّةِ عمل الله لفداء شعبٍ لنفسه، بواسطة دينونة ابنه، لمدح نعمته المجيدة.

إذا كان اللاهوت الكتابيُّ لا يوضَع على الرفّ، فأين يوضع؟ إنَّه يوضَع على حزام العمل، أي أنَّه ينتمي إلى قلبك وشفتَيك، ويجب أن يحويَ أفكارك ويلوِّنَ الطريقةَ التي تنظر بها إلى الأمور. في كلِّ مرَّةٍ تفتح فيها فمك للتحدُّث من الكتاب المقدَّس؛ وفي كلِّ مرَّةٍ تجلس لتكتبَ على حاسوبك، يجب أن يكون اللاهوت الكتابيُّ هو العدسة التي تركِّز أفكارك وتؤلِّفُ كلماتك.

9Marks Online PDF

اللاهوتُ الكتابيُّ بهذا المعنى هو فهمُ قصَّةِ ما فعله الله من أجلنا في المسيح، وتطبيق هذه القصَّة على حياتنا اليوم.

في هذه المرحلة، قد يشعر بعضكم بالإرهاق. ربَّما أحببتَ ما أقوله، لكنْ لا يمكنك أن تتصوَّرَ القيام به بنفسك. وسأتحدَّث بهذا أكثر في الفصل المقبِل، لكن يكفي أن أقول، كلَّما بدأتُ بالتفكير في الكتاب المقدَّس بهذه الطريقة، صارَ الكتاب المقدَّس طبيعيًّا أكثر لي. خصِّصْ وقتًا كلَّ أسبوع لتتنفَّس الهواء العليل للَّاهوت الكتابيّ. في أوقات خلوتك، لا تقرأْ فقط الخُطَّة اليوميَّة، أو النصَّ الذي تستعدُّ لتعظَ منه، بلِ اقرأ الكتاب المقدَّس بصورةٍ موسَّعة، ومن منظورِ كيفيَّةِ تَناسُبِ المقطع الذي تقرأه مع الأسفار المقدَّسة بمجملها، والطريقة التي يُعِدُّنا بها المسيح، والكيفيَّة التي تؤدِّي إلى اكتمالِ ملكوت الله.

يجب أن يكونَ طموحُنا هو عدمَ التحدُّث من الكتاب المقدَّس ما لم نتحدَّث وَفقَ هذه الشروط؛ لأنَّ هذه هي الطريقة التي يفسِّر بها الكتاب المقدَّس نفسَه. ولدَينا في الكتاب المقدَّس كلماتُ الحياة، الكلماتُ الوحيدة التي ستُطعِم خرافَ المسيح، وتبعَثُ الحياة في الأموات.

9Marks Online PDF

الفصل الثاني عشر

اللاهوت الكتابيُّ والكنيسة المحلِّيَّة

في الفصل السابق نظرنا في كيفيَّة تأثير اللاهوت الكتابيِّ في أسلوبنا للتَّعليم والوعظ من نصوصٍ محدَّدةٍ من الكتاب المقدَّس. فكَّرنا في كيفيَّة الانتقال من نصٍّ ما إلى المسارات اللاهوتيَّة الكتابيَّة الأكبر التي تمرُّ بهذا النصّ، بحيث نربط النصَّ عندما نعظ منه ببقيَّة الكتاب المقدَّس، ونطبقه على نحوٍ مناسبٍ لسياقنا.

وفي حين أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ أمرٌ بالغُ الأهمِّيَّة للوعظ والتعليم الأمين، فلا تنتهي أهمِّيَّته عند هذا الحدّ. أعتقد أنَّ من الإنصاف أن نقول إنَّ كلَّ شيءٍ في حياةِ الكنيسة المحلِّيَّة وخدمتها يتأثَّر بالاستخدام السليم للَّاهوت الكتابيّ.

المقدِّمة: ما علاقة اللاهوت الكتابيِّ بالكنيسة؟

فلأقدِّمْ إليكم بعض الأمثلة عن الأماكن التي كان فيها اللاهوت الكتابيُّ مفيدًا لي في مواقف الخدمة العمليَّة.

في سنتي الأولى في الخدمة الراعويَّة، حضرتُ جنازةَ أحد أعضاء الكنيسة دون كتابيَ المقدَّس، كما لم أكنْ مستعدًّا للتحدُّث أمام الحاضرين. لم تكُنْ في ذلك مشكلة؛ لأنَّ الأسرةَ كانت قد رتَّبتْ مع خادمٍ

9Marks Online PDF

آخَر ليُجري مراسِمَ الخدمة. ومع ذلك، فقد طلبَتْ إليَّ العائلة في اللحظة الأخيرة أن أتحدَّثَ أيضًا. لم تكُنْ ثمَّة كتبٌ مقدَّسة، فقط كتاب الخدمة الذي يحمله الخادم الآخر، وقد أعارَني إيَّاه بلُطف. وجدت هناك المقطع من يوحنَّا ١٤: ٢- ٣ الذي يتكلَّم عن أنَّ يسوع ذاهبٌ لإعداد منازلَ لنا.لم يكُنْ لديَّ وقتٌ للاستعداد قبل أن يحينَ موعد حديثي. لكنَّ القدرة على وَضْعِ كلمات يسوع في السياق الأوسع لقصَّة الكتاب المقدَّس سمحت لي بوَعظِ خدمةِ الجنازة بعد ظهر ذلك اليوم. كنتُ قادرًا على الحديث بشأن قصَّةِ وعدِ الله بإحضار شعبه إلى مكانه تحت حكمه، ويسوع هو الوحيد الذي يستطيع إحضارنا إلى هناك بواسطة بشارة الإنجيل. وبدلَ بشارةِ إنجيلٍ أميركيَّةِ الطراز تتناوَل المنشِّطات، أمكنني سريعًا التقاطُ صورةٍ غير اعتياديَّة وجَعْلُها منطقيَّةً بطريقةٍ تعظُ المسيح.

أقيمُ الكثير من صلوات الزفاف. ويسأل الزوجان أحيانًا عمَّا إذا كان في وُسعهما كتابة نذورِهما الخاصَّة. عادةً ما تكون الحُجَّة شيئًا مثل: "نريد عهودًا تتحدَّث بشأن علاقتنا المميَّزة وحبِّنا الفريد. لا نريد النذور التي يستخدمها الجميع". لستُ شخصًا رقيقًا جدًّا، لذا فإنَّ ردَّ فعلي عادةً هو قَول: "لا"، لكن دون سببٍ وجيه، كما أنِّي لا أحبُّ عهودَ الزواج الرقيقة. ورغم ذلك، فقد شعرتُ دائمًا بشيءٍ ما نشازٍ حول هذه الطلبات.

عندما بدأتُ أفكِّر في الطلب ومعنى الزواج، ساعدَني اللاهوت الكتابيُّ على فهمِ سبب أنَّ تأجيلي للموافَقة على مثل هذه الطلبات كان أكثر من مجرَّد مسألة ذَوْق. فصحيحٌ أنَّ كلَّ زواجٍ فريدٌ مميَّز، لكنْ صحيحٌ أيضًا أنَّ ما يؤكِّده الكتاب المقدَّس حول الزواج هو الأمر المشترك ما بين جميع الزيجات. يجري عقدُ جميع الزيجات على المستوى نفسه، ويجري تنظيمها جميعًا وَفقًا للعهد نفسه. لذلك فالصحيح أنْ تَأْخُذَ جميعها العهود ذاتَها.

لماذا التشديدُ على ما هو شائع؟ لأنَّه كما يُظهِر اللاهوتُ الكتابيُّ للزَّواج، فإنَّ الزواج لا يتعلَّق بالمحبَّة الفريدة ما بين رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدة، بل يتعلَّق بقضيَّة المحبَّة ما بين المسيح والكنيسة. ويشيرُ كلُّ زواجٍ إلى هذا الزواج النهائيّ. وسواء أدرك الزوجان ذلك أم لا، فإنَّ زواجَهما يأخذ معناه وأهمِّيَّته من ذلك الزواج الآخر. في الواقع أنا لستُ بخيلًا متزمِّتًا. فأحياناً أسمحُ للزوجَين بكتابة نذورهما الخاصَّة، لكنَّني أطلب دائمًا أن يستخدما أيضًا النذور التقليديَّة؛ لأنَّ المهمَّ أخيرًا في

9Marks Online PDF

عهودهما وبقيَّة زواجهما ليس ما يجعله فريدًا من نوعه، بل ما يجعله مشابهًا لكلِّ الزيجات الأخرى. وللسُّخرية، فإنَّ إعطاءَ التركيز الأساسيِّ على ما هو فريدٌ من نوعه يجعلُ المسيحَ والكنيسةَ ثانويَّين، ما قد يشير إلى إمكانيَّةِ وجودِ وثنٍ معبودٍ يختبئ وراء تلك النذور الشخصيَّة.

إليكم مثالًا آخَر. قبل سنوات، عندما بدأتْ كنيستنا بالنموّ، بدأ الناس يسألون عن الوقت الذي سننتقل فيه إلى خدماتٍ متعدِّدة. دون شكّ، في هذه الأيَّام، السؤال ليس خدماتٍ متعدِّدة؛ فالجميع يحسبُ ذلك أمرًا مسلَّمًا به. السؤال الحاليُّ هو مواقع متعدِّدة. لكنْ سواء تحدَّثْنا بشأن الخدمات أم المواقع، فإنَّ إجابةَ كنيستنا ما تزال هي نفسها. كلَّا. نحن كنيسةٌ محلِّيَّة، ويعني هذا جماعةً واحدة. ويعني وجودُ خدماتٍ أو مواقعَ متعدِّدة وجودَ جماعاتٍ عدَّة، أيْ كنائسَ عدَّة. في النهاية، تعني الكلمة اليونانيَّة للكنيسة "الجماعة"، أي أولئك الذين يجتمعون في المكان والزمان ذاتهما. أهذه مجرَّد حُجَّةٍ مبنيَّةٍ على كلمة؟ نعم ولا.

نعم، إنَّها حُجَّةٌ تستندُ إلى كلمة، على الأقلِّ جزئيًّا. عندما اختارَ يسوعُ والرسلُ كلماتٍ بوحيِ الروح لوَصْفِ التجمُّع المحلِّيِّ للمؤمنين بالمسيح، اختاروا كلمةً عَلمانيَّةً تعني جماعة. غير أنَّ ثمَّة ما هو أكثر من ذلك. إنَّ فكرةَ الجماعة لا تظهرُ أوَّل مرَّةٍ في العهد الجديد، بل في العهد القديم. كان شعب العهد القديم جماعةَ الله التي دعاها عند سفح جبل سيناء وأبرم عهدَه معها (انظُرْ تثنية ٤: ١٠). ومنذ ذلك الحين، بينما اجتمعَ الناس في قراهم المختلفة لتلقِّي التعليم من اللاويِّين، اجتمعَتِ الأمَّة ثلاث مرَّات فقط في السنة لعبادة الله في اجتماعٍ مقدَّسٍ عند خيمةِ الاجتماع، وبعد ذلك في الهيكل في أورُشَليم. وإذ نتطلَّع إلى الأمام، فإنَّ سِفر العبرانيِّين يدعو أورُشَليمَ السماويَّة، جبل صِهْيَون، "كنيسة أبكار" (عبرانيِّين ١٢: ٢٢– ٢٣). هذه هي الجماعة النهائيَّة للعهد الجديد، لكنْ يخبرنا الكتاب المقدَّس بأنَّ كنائسَنا المحلِّيَّة تشارك في الواقع في تلك الجماعة السماويَّة "...مع جميعِ الذينَ يَدعونَ باسمِ رَبِّنا يَسوعَ المسيحِ في كُلِّ مَكان..." (١كورنثوس ١: ٢).

بالتأكيد ليس صدفةً أنَّ يسوعَ دعا شعبه "الجماعة" وليس "المجمَع". كما أنَّ هناك جسدًا واحدًا، وعروسًا واحدةً، ورغيفًا واحدًا، وقطيعًا واحدًا، وكرمًا واحدًا، هناك أيضًا جماعةٌ واحدةٌ فقط. وكما لاحظَ اللاهوتيُّون منذ مدَّةٍ طويلة، فإنَّ الكنيسة المحلِّيَّة ليسَتِ الكنيسةَ كلَّها،

9Marks Online PDF

بل هي الكنيسة مكتمِلة، بمعنى أنَّ كلَّ شيءٍ يكونُ في الكنيسة الكونيَّة، تصوِّرُه الكنيسة المحلِّيَّة على نطاقٍ مصغَّر.[١]

وتعملُ وَحدة هذه الجماعة نفسِها في أساليبَ عمليَّةٍ عدَّة. عليهم أن يحتملوا بعضهم بعضًا (أفسس٤: ٢). وعليهم أن ينتظروا بعضهم بعضا، ويمارسوا عشاء الربِّ معًا (١كورنثوس ١١: ٣٣). يجب أن يتقاسموا مع الآخرين المحتاجين من أفراد الجماعة (أعمال الرسل ٤: ٣٢- ٣٥)، وهم يتنافسون معًا من أجل الإيمان (فيلبِّي ١: ٢٧).

وهكذا، فعندما نبني "لاهوتًا كتابيًّا" للجماعة، نتعلَّم أكثر بكثيرٍ ممَّا نتعلَّمه من دراسةٍ أساسيَّةٍ لكلمةٍ يونانيَّة. نتعلَّم في الواقع أنَّ المسيح يقصد بالكنيسة المحلِّيَّة أن تكونَ صورةً محلِّيَّةً الآن للكنيسة التي اشتراها بدمه، تلك الجماعة الوحيدة التي سيُحضِرُها أخيرًا في اليوم الأخير. إذا كانت هذه هي الحال، فلن تكون لدينا مواقعُ أو خدماتٌ متعدِّدة. يجب أن نتوصَّلَ إلى حلٍّ آخرَ للمشكلة الرائعة المتمثِّلة في النموّ.

ليسَتْ هذه سوى أمثلةٍ قليلةٍ موجزةٍ عن الأسئلة الحقيقيَّة التي حاوَلْنا الإجابةَ عنها في كنيستي بأدوات اللاهوت الكتابيّ. ما أريد القيام به الآن هو النظر في ما لدى اللاهوت الكتابيِّ ليقولَه لمجالاتٍ معيَّنةٍ من الخدمة. كما سنرى، يساعدنا اللاهوتُ الكتابيُّ أحيانًا في حمايتنا من الخطأ في نهجنا نحو الخدمة. في حالاتٍ أخرى، يساعد اللاهوتُ الكتابيُّ في وَضْعِ حدودٍ وأهدافٍ مناسبةٍ لحياتنا والعمل معًا، نحن الكنيسة. لذلك أودُّ أن نطَّلِعَ معًا على أمثلةٍ عدَّة. عندما أنتهي، فلن أكون قد استنفدتُ بعدُ تطبيقَ اللاهوت الكتابيِّ على الكنيسة. لكنِّي أرجو أن أكون قد أظهرتُ ما أعنيه حول التطبيق العمليِّ والجدوى من اللاهوت الكتابيِّ للخدمة، وستكون في وَضْعٍ أفضلَ لتطبيقه على المواقف والفرص التي تواجهها في كنيستك.

---

١) للاطِّلاع على مناقشةٍ موجزةٍ لفكرة الجماعة الكتابيَّة، غير أنَّها ممتازةٌ رغم كونها موجزة، انظُرْ:

Edmund Clowney, *The Church* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1995), 32–30.

9Marks Online PDF

دراسات حالة

سننظر في كيفيَّة تشكيل اللاهوت الكتابيِّ لتفكيرنا في أربعة مجالات مختلفة: المشورة، والإرساليَّات، ورعاية الفقراء، والعلاقات ما بين الكنيسة والدولة.

المشورة

نحن جميعًا نشارك في عمليَّة المشورة، سواء فكَّرنا في ذلك أم لا، وسواء كان ذلك في مسمَّانا الوظيفيِّ أم لم يكُنْ. صديقٌ يشاركنا مشكلةً ويطلب النُّصح. مؤمنٌ أصغرُ سنًّا نُرشِده، فيطلب إلينا المشورة بشأن ما يجب أن يفعلَه في حياته. تحتاج صديقةٌ متزوِّجةٌ إلى التشجيع بسببِ صعوباتٍ في زواجها. يعترفُ عضوٌ في الكنيسة بأنَّه يكافح سلوكًا إدمانيًّا. تشعر ابنتك المراهقة بالقلق بشأن مسألةِ القبول من أقرانها في المدرسة. سواءٌ كان الأمرُ في السرَّاء والضرَّاء؛ وسواء كان دقيقًا أم غير دقيق، وسواء كان كتابيًّا أم عَلمانيًّا، فإنَّ ما تقوله هو "مشورة".

كيف يمكنك أن تقرِّرَ ما عليك قَولُه في مِثْلِ هذه الحالات وغيرها الكثير الكثير؟ حسنًا، إذا رغبتَ في إجابةٍ أطوَل، يمكنك الحصول على مادَّةٍ ممتازة وضعَتْها "المؤسَّسة المسيحيَّة للمشورة والتعليم" (Christian Counseling and Educational Foundation- CCEF).[٢] لكنَّ الإجابة المختصرة هي: تعتمد اعتمادًا أساسيًّا على اعتقادِكَ بماهيَّة البشر، وتحديدكَ لمشكلتهم، والكيفيَّة التي يتناوَلُ بها الكتاب المقدَّس تلك المشكلة.

في الكثير من هذه المواقف، يكون الإغراء هو معاملة الشخص كلِّه إمَّا بحسب تفكيره وإمَّا وَفقَ سلوكه. ثمَّ نشخِّصُ مشكلتَه على أنَّها إمَّا تفكيرٌ خاطئ وإمَّا سلوكٌ خاطئ. من جهة العلاج، ننتقل إلى الكتاب المقدَّس بصفته كتابَ إجاباتٍ لنوضِّح لهم كيفيَّة التفكير تفكيرًا صحيحًا أو السلوك سلوكًا سليمًا. والنتيجة هي أسلوبٌ يتَّسمُ بالاعتماد على نصٍّ كتابيٍّ لإثباتِ كلٍّ من التشخيص والوصفة العلاجيَّة، وينتج عنه عمومًا نوع من النسخة المسيحيَّة من العلاج السلوكيِّ

2) Paul Tripp, *Instruments in the Redeemer's Hands: People in Need of Change Helping People in Need of Change* (Philipsburg, NJ: P&R, 2002);
Timothy Lane and Paul Tripp, *How People Change (Greensboro*, NC: New Growth Press, 2008).

9Marks Online PDF

أو العلاج المعرفيّ. النصيحة الأساسيَّة هنا: "تحتاج ببساطة إلى التعلُّم، بقوَّةِ الروح، لتفكِّرَ أو تسلك بصورةٍ مختلفة".

لكنْ، أهذا ما يقودُنا إليه لاهوتٌ كتابيٌّ للبشر والمشكلةِ البشريَّة؟ بالتأكيد لا. تبدأ الأنثروبولوجيا الكتابيَّة مع بشرٍ مخلوقين على صورة الله من أجل عبادة الله بأن يعكسوا مجدَه في حياتهم (تكوين ١: ٢٦– ٢٨). لذلك، لا يجري تعريفُنا أخيرًا بسلوكنا أو أفكارنا. بل نحن نحدِّد ما نعبدُه. نحن في الأساس عابدون، وما يُحدِّدُ هُويَّتنا هو ما نفكِّر فيه، أو مَن نفكِّر فيه.

لقد جرى تشويه هذه الصورة وتشويشها في السقوط، بحيث نعبد الآن المخلوقَ بحرِّيَّة واعتياديَّة بدلَ عبادة الخالق، ومخلوقنا المفضَّل للعبادة هو أنفسنا (رومية ١). لذا فمشكلتنا ليسَتْ سلوكيَّةً بصورةٍ أساسيَّة، مع أنَّها ستَظهَرُ في سلوكنا، ولا مشكلتنا فكريَّة في الأصل، مع أنَّها تظهر في تفكيرنا، بل مشكلتنا في الأساس روحيَّة، وهي العبادة المضطربة للأوثان.

ويساعدُنا اللاهوت الكتابيُّ أيضًا على رؤية الآتي: مع أنَّ آدَمَ وكلَّ نسله خُلِقوا على صورة الله، فقد صُمِّم فعلُ الخلق على غرارِ صورةِ يسوع المسيح غير المخلوق (كولوسِّي١: ١٥ وما يلي). يشير لوقا إلى آدم على أنَّه ابن الله (لوقا ٣: ٣٧)، لكنَّ يسوع هو ابنُ الله الحقيقيّ، صورةُ الله الحقيقيَّة في كلِّ ملئها. من ثَمَّ، فإنَّ هدفَنا ليس تعديلَ تفكيرنا وسلوكنا إلى نسخةٍ أفضل، بل هدفنا، وفي الواقع هدف كلِّ الخليقة (انظُرْ رومية ٨: ١٩)، هو أن نشابهَ صورةَ المسيح، وهو أمرٌ لا يتحقَّق إلَّا بواسطة الروح بقوَّة الله المجدِّدة في الإنجيل (رومية ٨: ٢٩؛ ٢كورنثوس ٣: ١٦– ١٩). بواسطة الإنجيل، يوحِّدنا الروح بالمسيح، بحيث تكون الحياة التي نعيشها هي حياتَه (رومية ٨: ٩– ١١؛ غلاطِيَّة ٢: ٢٠؛ فيلبِّي ١: ٢١). في يوم من الأيَّام، سيكتمل عمل الروح القدس في تقديسنا، وفي ذلك اليوم، عندما يجيء المسيح أو نذهب لنكونَ معه، سوف نتمتَّع بالتمجيد. سنراه كما هو، لأنَّنا سنكون مثله (١يوحنَّا ٣: ٢). هذا، بخطوطه العريضة على الأقلّ، لاهوتٌ كتابيٌّ لصورة الله في الإنسان. إنَّه لا يقول كلَّ ما يقوله اللاهوتُ النظاميُّ عن الأنثروبولوجيا اللاهوتيَّة، مثل مشكلة خطيَّة آدم. لكنَّه يعطي مسارَ القصَّة في ضَوءِ مشكلةِ فساد آدم. إنَّه يعلِّمنا عن المكان الذي أتينا منه، والمكان الذي نحن فيه، والذي نتَّجه إليه، إذا كنَّا في المسيح. ويبدأ بوَضْعِ بعضِ المعايير لِما يعنيه أن تكونَ إنسانًا.

9Marks Online PDF

ماذا يعني هذا للمشورة؟ بدايةً، لا ترضى المشورةُ المدعومةُ باللاهوت الكتابيِّ بمجرَّد إصلاحِ الأفكار أو السلوك. ولا تكون راضيةً لأنَّها تعلم أنَّ هذا ليس المشكلةَ الجذريَّة، وهو لن ينجحَ في النهاية. بل تستهدفُ المشورةُ الكتابيَّة القلبَ، مقرَّ العبادة، إذ تعلمُ أنَّ الفمَ يتكلَّم من فضلةِ القلب (متَّى ١٢: ٣٤). ولا تكتفي مثل هذه المشورة بتغيير السلوك ما يعمل على تغطية المشكلة الحقيقيَّة للقلب العابد للأوثان، كما أنَّ هذه المشورة تفهم أنَّ التغييرَ الدائمَ في السلوك والتفكير لن يأتي إلَّا عندما نغيِّر غايةَ عبادتنا.

كيف يحدث تغيير العبادة، والذي يسبِّب بعد ذلك تغييرًا في التفكير والحديث والسلوك؟ إنَّه لا يأتي من العلاج النفسيّ، ولا من التحليل، بل يأتي فقط من فوق، من حيثُ يجدِّدُ الروحُ القلبَ ويُحيِّيه (يوحنَّا ٣). والوسيلة التي يستخدمها الروح هي الإنجيل، الذي يُقبَل بالتوبة والإيمان. ويصف بولس الرسول هذا التغيير في حياة أهل تسالونيكي بأنَّه تحوُّل من عبادة الأوثان إلى الله، لخدمة الله وانتظار عودة يسوع (١تسالونيكي ١: ٩- ١٠).

- ويتضمَّن تحوُّلُهم تغييرًا في الاتِّجاه، أي توبة.
- كان الأمر يتعلَّق بالإيمان، حيث قبِلوا الرسالة ووثقوا بها.
- وأدَّى ذلك إلى تغيير المحبَّات، حيث باتوا الآن يخدمون الله.
- وأسفر ذلك عن إعادة توجيه رجائهم، حيث انتظروا عودة المسيح وخلاصهم من دينونة الله الآتية.

وَفقًا لبولس الرسول، وبما يتَّفق مع فهمنا للطبيعة البشريَّة، يحدث التغيير الحقيقيُّ بواسطة الإنجيل، بقبول ما أتمَّه المسيح على الصليب والاتِّكال عليه، ثمَّ العيش في ضَوء ذلك. يتضمَّن التغييرُ الحقيقيُّ الانتقالَ من عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الحقيقيّ. ويعني التغييرُ الحقيقيُّ التوبةَ عن الخطيَّة، والإيمان بنعمة الله التي في يسوع المسيح. وينطبق هذا على المؤمن بالمسيح مثلما ينطبق على غير المؤمن. المؤمن الذي ارتكبَ أعمالًا خاطئة أو سلوكًا إدمانيًّا أو تبنَّى معتقداتٍ مدمِّرة هو شخصٌ يعبد الأوثان. كما في بداية الحياة المسيحيَّة، هكذا في الوسط، وحتَّى نهاية تلك

9Marks Online PDF

الحياة، يدعونا الإنجيل إلى الابتعاد عن عبادة الأوثان بينما يحمل الرجاء في أن نصبح مثل المسيح عندما يعود.

والمؤسف أنَّ الكثيرَ من المشورة المسيحيَّة صارتْ متأثِّرةً بثقافة العلاج العالميّ، ويتعامل من منطلق أنَّ الحاجةَ الإنسانيَّةَ الأساسيَّةَ هي عافيةٌ أو سعادة. ونتيجة لذلك، يجري تغيير الإنجيل لتلبية هذه الحاجات المحدَّدة حديثًا. وقد لخَّص ب. ب. وارفيلد، لاهوتيٌّ جامعة برينستون في القرن التاسع عشر، هذه الصلة تلخيصًا جيِّدًا عندما قال:

> الحقيقة هي أنَّ وجهات النظر التي يتَّخذها البشر عن الكفَّارة تتحدَّد كثيرًا بمشاعرهم الأساسيَّة للحاجة– ما يتوق البشر إلى الخلاص منه. ومنذ البداية، جرى تتبُّع ثلاثة أنواع من الأفكار حول هذا الموضوع، وهي تتوافق مع ثلاث حاجاتٍ أساسيَّةٍ للطبيعة البشريَّة كما تتكشَّف في هذا العالم المحدود. يقع البشر تحت سطوةِ الجهل، أو البؤس، أو الخطيَّة التي يشعرون بأنَّهم غارقون فيها، ويتطلَّعون إلى المسيح لتخليصهم من الشرِّ الذي يرتكبونَه، فإنَّهم يميلون إلى تصوُّر عمله على أنَّه يتكوَّن غالبًا من إعلان المعرفة الإلهيَّة، أو في تنصيب ملكِ السعادة، أو في التحرُّر من لعنة الخطيَّة.[٣]

ترفض المشورة الكتابيَّة وضْعَ أهدافٍ كاذبةٍ موَقَّتة، مثل حياةٍ أسهلَ أو متعةٍ أكبر، أو وضْعَ حِيَلٍ ونصائحَ لسلوكٍ أفضل. بل إنَّها تحمل هدفَ التقديس والتمجيد، بجعلِنا نشابِهُ صورة المسيح ذاتها. لذلك فإنَّ طريقتها هي الإنجيل لأنَّ المسيحَ هو الهدف.

الإرساليَّات

في السنوات الأخيرة، كان هناك الكثير من الضجيج حول الحاجة إلى أن تكونَ الكنيسةُ رسوليَّة. كونك رسوليًّا ليس هو نفسه التزام الإرساليَّات، أو التفكير فيها، بل أن تكون رسوليًّا هو طريقةٌ

3) B. B. Warfield, "*Modern Theories of the Atonement*," in Works, IX (Baker, 1932; repr. 2003), 283.

9Marks Online PDF

للتفكير في الكنيسة وكيفيَّة ارتباطها بالعالم. تدركُ الكنيسةُ الإرساليَّةُ أن الكنيسةَ لا تذهب في مأموريَّة، أو ترسل أشخاصًا لإنجاز رحلاتٍ إرساليَّة. بل تُرى الكنيسة أنَّها رسالةُ الله إلى العالم، لشفاء العالم ومصالحة البشر مع الله. لذلك، فإنَّ الكنيسة ليست موكَّلةً إلى حدٍّ كبير برسالة، بل هي مدعوَّةٌ لتجسيد شخص. ليس هدفُنا في المقام الأوَّل هو إعلانَ عملِ يسوع على الصليب للعالم، بل نحن نجعلُ كلام يسوعَ وأفعالَه وحياتَه مرئيَّة في كلِّ ركنٍ من أركان مدينتنا.[٤]

من أين جاء الناس بهذا الفهم للكنيسة ودعوتها في ما يتعلَّق بالعالم؟ لكي نكون صادقين، نشأ من محاوَلة التفكير في الرسالة والكنيسة من منظور اللاهوت الكتابيّ.[٥] ما لاحظَه هؤلاء اللاهوتيُّون الإرساليُّون هو أنَّ الله إلهٌ إرساليّ، ينتقل إلى المناطق والأحياء، ويتجسَّدُ في عالمنا. لماذا يفعل ذلك؟ من أجل فدائنا، ومن أجل تأسيس ملكوته. من المشي بعد الظهر في جنَّة عَدْن، مرورًا بالمسكن في وسط محلَّة الشعب القديم، ثمَّ بتجسُّد يسوع المسيح، وصولًا إلى الكلمات الأخيرة في سفر الرؤيا، سعى الله باستمرارٍ إلى أن يكونَ مع شعبه، وفي وسطهم. إنَّها صورةٌ للحميميَّة والعلاقة، ويبدو أنَّها في صميم ما يشغلُ السماء (رؤيا ٢١: ٣- ٤؛ ٢٢: ٣- ٥). وصحيحٌ أنَّ الخطيَّةَ فصلَتِ الإنسان عن الله، لكنَّها لم تثبِّطِ الشخصيَّةَ الإرساليَّة لله. في الواقع، كما يتبيَّن من تاريخ الفداء، فإنَّ خطيَّة البشريَّة جعلَتْ هذا التوجُّه الإرساليَّ لله أكثر إلحاحًا.

لذلك يجري إرسال الكنيسة كما أرسل الله المسيح إلى العالم ليكون فداؤه معلومًا (يوحنَّا ١٧: ١٨). هذا هو النموذج للكنيسة الرسوليَّة. كما أُرسل المسيح، نُرسَل أيضًا نحن، أي جسده. وكما تجسَّد المسيح في الحضور المخلِّصِ لله، هكذا نتجسَّد نحن في وجود المسيح الفادي. إنَّنا نضحِّي بأنفسنا بواسطة الخدمة، بمشاركة الثقافة من حولنا بالرحمة والأعمال الصالحة.

---

٤) مثلًا انظُرْ:

Darrell L. Guder, ed., *Missional Church: A Vision for the Sending of the Church in North America* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1998), 17-1.

٥) انظُرْ تحديدًا:

Christopher J. H. Wright, *The Mission of God: Unlocking the Bible's Grand Narrative* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2006).

9Marks Online PDF

ماذا نستنتج من الأجندة الإرساليَّة؟ أيجب أن يقودَنا اللاهوتُ الكتابيُّ إلى إلغاء برنامج الإرساليَّات وإنشاء مراكز تعليميَّة وعيادات صحِّيَّة بدلَ ذلك؟ هل يجب أن نركِّز أكثر على أماكن عامَّة يرتادها الناس ليشعروا بالحرِّيَّة مثل ستاربكس أو صالة الألعاب الرياضيَّة، حيث يمكننا أن نذهبَ في وسط العالم ونكونَ مؤمنين بالمسيح فيه، بدلَ بناء مبانٍ أكبر حتَّى يتمكَّن المزيد من الناس من "القدوم وسماع" رسالةِ المسيحيَّة في وسط الكنيسة؟

أعتقد أنَّه ليس ثمَّة شكٌّ في أنَّنا يجب أن نذهبَ إلى العالم، ونكون ملحًا ونورًا (متَّى ٥: ١٣-١٦). وأعتقد أيضًا أنَّه لا يوجد شكٌّ في أنَّ الله هو إلهٌ إرساليّ؛ فهو لا ينتظر منَّا أن نجده (كما لو أنَّنا نستطيع). بدل ذلك، يتحرَّك إلى جوارنا وهو مَن يجدنا. ولغة يوحنَّا ١ غنيَّةٌ بالصِّلات اللاهوتيَّة الكتابيَّة، لا سيَّما صورة المسيح الآتي و"خيمة الاجتماع" التي تحلُّ بيننا (يوحنَّا ١: ١٤). وهناك عنصرٌ هائلٌ من الأخبار السارَّة هو الآتي: "في هذا هي المحَبَّةُ: ليس أنَّنا نَحنُ أحبَبنا الله، بل أنَّهُ هو أحَبَّنا، وأرسَلَ ابنَهُ كفَّارَةً لخطايانا" (١يوحنَّا ٤: ١٠). لكنَّ مسألةَ ما يجب أن تكون عليه الكنيسة، وكيف يجب أن تفكِّر في الإرساليَّة ليست تمامًا مثل الاعتراف بأنَّ التجسُّد هو تحقيقُ العمل الإرساليِّ لله في العهد القديم.

أوَّلًا، يتضمَّن اللاهوت الكتابيُّ للكنيسة ورسالتها موضوعاتٍ يتجاهلها مناصرو الإرساليَّات أو يقلِّلون من شأنها، مثل دعوة الكنيسة إلى أن تكونَ منفصلةً متميِّزةً عن العالم من أجل إظهار حكمة الله وقداسته. ويتجلَّى هذا بوضوح في دعوة إسرائيل، كما تُرى في نهاية الشرائع اللاويَّة، وهي الدعوة التي يجري تناوُلُها وتكثيفها في حياة الكنيسة. كافحَ الرُّسل بولس (في كورنثوس الأولى والثانية)، ويوحنَّا (في ١يوحنَّا ٢)، وبطرس (في ١بطرس ١) من أجل تعريف الكنيسة من حيث قداستُها وتميُّزها عن العالم. والمؤكَّد هو عدم التشبُّه بالعالم أو شهواته. لذلك، فإنَّ خدمة تجسُّد المسيح، مهما كان معناها الإيجابيّ، لا تعني التكيُّف مع العالم.

ثانيًا، تُعطى الكنيسة، مثلما أُعطِيَتْ إسرائيل، هُوِيَّةً جامعة. تُدعى إسرائيل ابن الله، ونُدعى نحن جسدَ المسيح. غير أنَّ هذه ليسَتِ القصَّة كلَّها. يُعطي أيضًا المسيحُ، رأسُ الكنيسة، إرساليَّةً محدَّدةً للكنيسة: أن تُتلمِذَ وتكرِزَ ببشارة الإنجيل، وتعلِّمَ التلاميذ أن يعملوا كلَّ ما أوصانا به

9Marks Online PDF

يسوع (متَّى ٢٨: ١٨- ٢٠). ويؤكِّد الكتاب المقدَّس مِرارًا وتَكرارًا الإرساليَّة التي يجب أن تعلنَها الكنيسة.

وبالتأكيد ليسَتْ هذه نقطةَ انفصال ما بين المسيح وجسده، بل إنَّ لحظةَ تأمُّلٍ تُظهِرُ أنَّ هذا يتوافق مع تشديد يسوع نفسه. لقد طالبَ يسوع مِرارًا وتَكرارًا مَن نالوا معجزاته، من شفاءات وطردِ أرواحٍ شرِّيرة، أن يحفظوا الأمر سرًّا. وطلب إلى الناس ألَّا يخبروا أحدًا بما فعله. وعندما تزايدَتْ أعداد الجموع، وكانت تصرخ طالبةً لمستَه الشافية، غادرَ إلى مكانٍ آخر. لماذا فعل يسوع ذلك؟ كانَتْ لديه القدرةُ على شفاء الجميع. فلماذا لم يفعلْ؟ لماذا غادرَ فقط عندما ظهرَتْ فرصةٌ لإظهار قوَّة الشفاءِ الإلهيِّ على نطاقٍ واسع؟ وتأتي الإجابةُ من الربِّ يسوع. في مرقس ١: ٣٨، وردًّا على أسئلة مماثلة من التلاميذ، يقول يسوع لهم: "لنَذهَبْ إلَى القرَى المجاوِرةِ لأكرِزَ هناكَ أيضًا، لأنِّي لهذا خرجتُ".

لم يأتِ يسوع في المقام الأوَّل ليعملَ أعمالًا حَسَنة، ولم يأتِ للشِّفاء وطَرْدِ الشياطين، أو لإظهار البُعدِ الفدائيِّ لحياة الملكوت. لا، بل جاءَ يسوع في المقام الأوَّل للكرازة ببشارة الملكوت وَفقَ ما قالَه. ولماذا الكرازة ببشارة الإنجيل؟ جاء للكرازة لأنَّ العملَ الذي أُعطِيَ له من الله كان تتميم الفداء بالموت الكفَّاريِّ على الصليب. لكنَّ هذا الموتَ كان صامتًا على نحوٍ مأساويّ، بحيث يتعذَّر على الآخرين الوصول إليه، دون رسالة الإنجيل التي كرزَ بها واستأمنَ تلاميذه عليها. لقد فسَّرَ هذا الخبرُ السارُّ ما أنجزه موته، وكيف يمكن أن يستفيدَ منه الخطاةُ مثلنا بواسطة التوبة والإيمان. لقد جاءَ يسوع ليموت، لكنَّ مجيئه لم يكنْ فقط لذلك. جاء للكرازة أوَّلًا حتَّى نتمكَّنَ من فهم موته والاستفادة منه.

لذا، فجزءٌ من النمط الذي يظهر هو هذا: في حين أنَّ الأمَّة العبرانيَّة والكنيسة تشيران إلى بعض جوانب خدمة المسيح وتُبشِّران بها، بل تتكرَّر تلك الجوانب فيهما وتُعظَّم، فإنَّ جوانبَ أخرى من خدمته ما تزال فريدةً للمسيح وحدَه. مثلًا، لا تموت الكنيسة من أجل خطايا العالم، ولم تُعطَ الكنيسة من أجلِ شفاء الأمم، وهي لا تقود الناس إلى ملكوت الله. هذه هي الخدمات المعطاة بصورةٍ فريدةٍ للابن.

9Marks Online PDF

ماذا تفعل الكنيسة؟ إنَّها شاهدٌ للابن، وتنشر رسالتَه، وتتلمِذُ المؤمنين. وهي تعرضُ في ذاتها حياةَ الملكوت. إنَّ الكنيسةَ منارةٌ، كأنَّها بقعةٌ من السماء، وهي عرضٌ للعمل الفريد الذي يُنجزُه الابن في الكنيسة.

مثلما أُرسِلَ يسوع، تُرسَل الكنيسة إلى العالم لإعلان هذه الرسالة التي تهبُ الحياة، وتُدشِّنُ الملكوت. إذًا هل يجب أن نكونَ إرساليِّين؟ الإجابةُ هي نعم، بمعنًى ما. يجب أن نكون ملحًا ونورًا في العالم قَولًا وفعلًا. لكنْ أيعني هذا أنَّنا يجب أن نتوقَّف عن إطلاق المرسَلين؟ أيعني هذا أنَّنا يجب أن نتوقَّف عن التركيز على الإعلان العامِّ عن الأخبار السارَّة من أجل التركيز على تجسيد حياة ملكوت الله في مجتمعاتنا؟ بالتأكيد لا. يعني هذا ليس فقط عصيانَ الوصيَّة الصريحة للمسيح، الذي هو رأس الجسد، بل يعني أيضًا محوَ التمييز ما بين الرمز والمرموز إليه؛ الصورة والأمر الحقيقيّ.

علاوة على ذلك، إنَّ الاستخدام المتبادَل للمصطلحَين "مأموريَّة أو رسالة" و"إرساليّ" يجعلُنا نفوِّتُ موضوعًا آخرَ من القصَّة الكتابيَّة والتي فيها ليس فقط تتبارك ممالك العالم بحضور ملكوت الله، بل تصير تلك الممالك أيضًا ملكوتَ ربِّنا ومسيحه. بسبب الخطيَّة، انقسمَتِ الأمم في بابل. وفي المسيح، جرى حقًّا لمُّ شملهم مجازيًّا في يوم الخمسين، حيث خرجَتْ بشارةُ الإنجيل إلى جميع الأمم. لكنْ لا تتحقَّقُ نهايةُ القصَّة بواسطة خدمة الرحمة للكنيسة، بل عندما يكون المختارون من جميع الأمم قد صاروا إلى الأبد واحدًا في سماءٍ جديدةٍ وأرضٍ جديدة. في ذلك اليوم، ستتبارك جميع أمم الأرض بواسطة إبراهيم لأنَّ جمعًا غفيرًا "من كلِّ أمَّةٍ وقبيلةٍ وشعبٍ ولسان" سيقفون أمام العرش في ثيابٍ بِيضٍ مغسولةٍ بدم الحمل (رؤيا ٧). تُعلنُ الكنيسة رسالةَ تدشين الملكوت، لكنَّ الملكَ نفسَه هو مَن سيتمِّمُها.

علاوةً على ذلك، كما توضح القصَّة، فإنَّ الغرضَ الإلهيَّ هو ليس الإرساليَّة، بل العبادة. كما أشار بايبر: "الإرساليَّات موجودةٌ لأنَّ العبادة ليسَتْ موجودة".[٦] لذلك، تُرسَلُ الكنيسة في مأموريَّة، لكنَّها موجودةٌ للعبادة. إنَّ إعطاءَ تعريفٍ للكنيسة من منظورِ الإرساليَّة هو فعليًّا عمليَّةُ تغييرِ الله التركيز من ذاته إلى التركيز على العالم. في الحقيقة، الأمرُ هو تمامًا خلافُ ذلك. لقد جاء الله

6) John Piper, *Let the Nations be Glad! The Supremacy of God in Missions* (Grand Rapids, MI: Baker, 1993), 11.

9Marks Online PDF

إلى العالم لأنَّه في الأساس مرتبطٌ بذاته ومجده. وخلاصة القول: إنَّ لدى الكنيسة الإرساليَّة أمورًا مفيدةً عدَّة لتعلِّمَنا إيَّاها، في إطارِ استراتيجيَّةِ الكرازة. لكنْ في إطار انتقاد الإرساليَّات، وضمن تعريف الكنيسة، فإنَّ مفهوم الإرساليَّة غير كافٍ ومضلِّل.

رعاية الفقراء

نَشَأتْ بصورةٍ دوريَّة في تاريخ الكنيسة، دعوةٌ مفادُها أنَّ الإنجيل يُمثَّلُ خيرَ تمثيلٍ بالأفعال أكثر من الأقوال، أو أنَّه لا يمكن الكرازة بالإنجيل بأمانةٍ ما لم يَظهَرِ الإنجيلُ عمليًّا أيضًا. في أحيانٍ كثيرة، يتركَّز هذا الاهتمام على الفقراء، والمسؤوليَّة الأساسيَّة للكنيسة للتخفيف من حدَّةِ هذا الفقر.

والرؤيةُ الداعمة لجَعْلِ رعاية الفقراء مسؤوليَّةً أساسيَّةً للكنيسة المحلِّيَّة، يلجأ الكُتَّابُ إلى الأعداد الرئيسيَّة في العهد الجديد، ومثال الشعب في العهد القديم، ورؤية الكتاب المقدَّس للخليقة الجديدة. في العهد الجديد، نقرأ وصيَّة يسوع "فليُضِئْ نورُكُمْ هكذا قُدَّامَ الناسِ، لكَيْ يَرَوْا أعمالكُمُ الحَسَنَةَ، ويُمَجِّدوا أباكُمُ الذي في السماوات" (متَّى ٥: ١٦). وفي السياق الأوسع للموعظة على الجبل، من الصعب إنكار أنَّ توجيهَ الرحمةِ إلى الفقراء كانَ على الأقلِّ جزءًا ممَّا كان في ذهن يسوع عندما أشارَ إلى الأعمال الصالحة. ومن الواضح أنَّ المسيحيِّين الأوائل مارَسوا كرَمًا واضحًا تمامًا تُجاهَ الفقراء (انظرْ أعمال الرسل ٤: ٣٢- ٣٧)، ويبدو أنَّ يعقوبَ يشجِّعُ تقريبًا على التحيُّز إلى الفقراء، أو يَدين على الأقلِّ أيَّ تحيُّز ضدَّهم (يعقوب ٢: ١- ٩).

في العهد القديم، نرى أنَّ شعبَ الله أُمِرَ تحديدًا بإظهارِ الرحمة تُجاهَ الفقراء. وأدَّى ذلك إلى آليَّاتٍ جماعيَّةٍ لها هيكليَّاتٌ للتخفيف من حدَّة الفقر (مثلًا، انظُر ممارسات التقاط بقايا الحصاد، لاويِّين ١٩: ٩- ١٠؛ وشريعة الوليّ، راعوث ٣؛ والزواج بأرملة الأخ المتوفَّى، تثنية ٢٥: ٥- ١٠). كان سياقُ تلك الجماعات هو تاريخها الذي عانَتْ فيه الفقرَ والاضطهاد في مصر. وكما أحبَّهم الله وخلَّصهم من فقرهم، كانوا هم أيضًا يعاملون الفقير والأرملة واليتيم والغريب بالرَّحمة والاحترام (تثنية ١٠: ١٦- ١٩، ٢٤: ١٨- ٢٢).

9Marks Online PDF

بالتطلُّع نحو الأمام، وصفَ الأنبياءُ الخليقةَ الجديدةَ بأنَّها تتَّسم بالوفرة والفرح (إشعياء ٦٥–٦٦) وبالمسيح الذي سيدخل هذا العصر الجديد بأخبارٍ سارَّة للمساكين (إشعياء ٦١).

عند التفكير في هذه المقاطع معًا، يبدو أنَّها توفِّر لاهوتًا كتابيًّا للكنيسة مثل بدء حياة العصر الجديد وتحقيق وعود الله لإسرائيل، على نحوٍ يحفلُ بإظهارِ مجيء الملكوت بواسطة أعمالِ الرحمة تُجاهَ الفقراء في مجتمعاتهم.

يبدو هذا مُقنِعًا لكثيرين، لكنِّي أعتقد أنَّ اللاهوتَ الكتابيَّ يرسمُ صورةً أكثر تعقيدًا نوعًا ما.

في البداية، ليس السؤال: "هل يجب أن يهتمَّ المسيحيُّون بالفقراء؟ فالجواب عن هذا السؤال واضح، سواءٌ فكَّرنا في القصَّة الكبرى للكتاب المقدَّس أم في تفاصيل كيفيَّة تفاعُل هذه القصَّة في حياتنا، نحن الأفراد؛ إذ يجب أن يكون المسيحيُّون أشخاصًا يُظهرون محبَّة الله ورحمته لكلِّ مَن يتواصلون معهم، بما في ذلك الفقراء.

فالسؤال إذًا هو: هل الكنيسة، بوصفها جماعةً محلِّيَّة، لديها التزامٌ خاصٌّ نحو رعاية الفقراء؟

من ناحية، يَفهمُ اللاهوت الكتابيُّ للكنيسة أنَّ ثمَّة استمراريَّةً وفجواتٍ (انقطاعًا) ما بين شعبِ الله في العهد القديم والعهد الجديد. كان العبرانيُّون أمَّةً سياسيَّةً كاملةً مع حدودٍ معترَفٍ بها دوليًّا، وشروطٍ للمواطنة، ومن ثَمَّ كانت ثمَّة مسؤوليَّات مدنيَّة على عاتق أولئك المواطنين. ومن جهةٍ أخرى، الكنيسة منتشرةٌ حول العالم وأعضاؤها، الغرباء والنزلاء، هم مواطنون من دولٍ عدَّة، لكنَّ المواطَنة في النهاية سماويَّة (فيلبِّي ٣: ٢٠). كان ملكوت إسرائيل أرضيًّا سياسيًّا، أمَّا نحن فأَتَيْنا إلى ملكوتٍ روحيٍّ سماويّ (يوحنَّا ١٨: ٣٦).

علاوةً على ذلك، نرى على طول الامتداد الواسع للقصَّة أنَّه لم يُفترَضْ أن يكونَ الشعبُ القديمُ نموذجَ نظامٍ سياسيٍّ للمسيحيَّة، بل إنَّ تجرِبة الشعب القديم في أرض الميعاد هي رمزٌ يشير إلى السماء (عبرانيِّين ٤). وهكذا نرى في السماء الإدراكَ الكاملَ لشرائع الشعب القديم، حيث لا يكونُ حُزنٌ ولا صُراخٌ ولا وجَعٌ في ما بَعدُ، بما في ذلك ما يسبِّبه الحرمان المادِّيّ؛ لأنَّ كلَّ أسباب الحزن هذه تكون قد زالت (رؤيا ٢١: ١– ٤؛ راجعْ متَّى ٢٦: ١١).

9Marks Online PDF

إنَّ إدراك هذا التمييز ما بين إسرائيل والكنيسة المحلِّيَّة والسماء يساعد على فهمِ أمورٍ عدَّة. أوَّلًا، نرى لماذا يجري توجيه الرعاية إلى الفقراء داخل الكنيسة المحلِّيَّة ونموذجها في العهد الجديد (أعمال ٤، ٦؛ رومية ١٥: ٢٥– ٢٧؛ ١كورنثوس ١٦؛ ٢كورنثوس ٨– ٩). وعندما ينظر الناسُ إلى ما في الكنيسة المحلِّيَّة، بوصفها منزلًا من السماء، فإنَّهم يرَونَ شيئًا مختلفًا عن العالم من حولهم. ثانيًا، نحن نفهم لماذا لم توصَ الكنيسة المحلِّيَّة قَطُّ بتخصيص شيءٍ من موازنتها للتخفيف من حدَّة الفقر في العالم. صحيحٌ أنَّ المسيحيِّين أُمِروا بذلك (مثلًا، غلاطِيَّة ٦: ١٠)، لكنَّ "موازنة الكنيسة" موجودة أساسًا لإعداد القدِّيسين لعمل الخدمة، وسيجعلُ هذا الإعداد بدَوره أولئك القدِّيسين يشتركون شخصيًّا في رعاية الفقراء. ثالثًا، نحن نفهم كيف أنَّ المأموريَّة العظمى، الدعوة إلى إعلان بشارة الإنجيل، هي في الواقع الرسالةُ الأساسيَّةُ التي أُعطِيَتْ للكنيسة المحلِّيَّة تُجاه الفقراء؛ فالفقراء يخلُصون من بؤسهم ببشارة الإنجيل، وليس بالمال في حسابهم المصرفيّ.

هل يمكن أن تنفق الكنيسة، بوصفها جماعةً، من موازنتها على أعمال الرحمة الاجتماعيَّة؟ نعم، على أن يكون ذلك الإنفاق عملًا من أعمال الرحمة، ووسيلةً حكيمةً لتزكية بشارة الإنجيل. أليس كذلك؟ كلَّا. ما على الكنيسة القيام به لتكونَ كنيسةً هو أن تتلمذَ المؤمنين وتعمِّدَهم وتعلِّمَهم كلَّ ما أوصى به المسيح. ما يجب القيام به هو إعلان الأخبار السارَّة للفقراء برسالة المصالحة مع الله بموت يسوع المسيح وقيامته. وبقدر ما يمكن استخدام رعاية الفقراء، في كثير من الأحوال، في التلمذة وتزكية بشارة الإنجيل، يمكن أن تقيِّمَ الكنيسة قياداتها المختلفة، وتختار مسؤوليَّة رعاية الفقراء خارج إطار جماعة الكنيسة. أقول "تختار" لأنَّ الكنيسة التي تضعُ على عاتق موازنتها مسألةَ رعايةِ الفقراء يجب أن تحذر. عليها ألَّا تُغفِلَ أولويَّتها القُصوى، وألَّا تعطي أعضاءها عذرًا لتجنُّب المسؤوليَّة الشخصيَّة بأهمِّيَّة محبَّة القريب. ستعمل الجماعات والمؤسَّسات الأخرى في العالم على تغذية الفقراء بالخبز والحساء، لكنْ لا توجد جماعةٌ أُخرى في العالم ستعطي الأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء خبزَ الحياة والماء الحيَّ الذي يجعلُ مَن يتناوَلُهما لا يجوع ولا يعطش ثانيةً (يوحنَّا الأصحاحان ٤ و٦).

9Marks Online PDF

العلاقة ما بين الكنيسة والدولة

لا يوجد سؤالٌ أكثرُ إثارةً للقلق في تاريخ الكنيسة من مسألةِ العلاقة ما بين الكنيسة والدولة. من المسيحيَّة السياسيَّة في العصور الوسطى، واتِّحاد الكنيسة والدولة تحت تاجٍ واحد، إلى مطالبات الباباوات في العصور الوسطى بممارسة السُّلطة الزمنيَّة لا الروحيَّة فحسب على المسيحيِّين في كلِّ مجالٍ من مجالات الحياة، إلى الحروب الثقافيَّة اليوم مع جمهورٍ مُسيَّس منقسمٍ جزئيًّا على أسس دينيَّة، إلى المخاوف بشأن بعض الأديان الأخرى التي ترفضُ تنظيمَ الدولة على أسسٍ عَلمانيَّة، إلى المخاوف من أنَّ المسيحيِّين الأصوليِّين قد يتَّبعون نهجَ الرفض ذاته إذا ما وصلوا إلى السُّلطة في أميركا- ما تزالُ مسألة العلاقة ما بين السُّلطة السياسيَّة والروحيَّة تسبِّبُ الصراع والخوف.

إنَّ هذه المخاوف التي سترتبط بالمسيحيِّين مدهشةٌ جدًّا بالنَّظر إلى الردِّ البارع ليسوع عندما أتتْ إليه السُّلطات بصيغةٍ كلاسيكيَّةٍ للمشكلة: أيَجوزُ أنْ يعطي اليهودُ جِزيَةً لقَيصَرَ؟ فرفعَ يسوعُ دينارًا رومانيًّا، عليه صورة قيصر، وقال لهم: "أعطوا إذًا ما لقَيصَرَ لقَيصَرَ وما لله لله" (متَّى ٢٢: ٢١). هل حُلَّتِ المشكلة؟

حسنًا، ماذا نفعل حِيالَ مثال إسرائيل؟ ألا نرى هناك اتِّحادًا ما بين السُّلطة الروحيَّة والمدنيَّة؟ وماذا عن النظرة الأخلاقيَّة الشاملة للمسيحيَّة، والتي تعلن ليس فقط سيادةَ المسيح الكونيَّة الشاملة، بل أيضًا قدسيَّة الحياة البشريَّة والطابع الأخلاقيَّ للكون الذي نعيش فيه؟ ألا تحاجُّ هذه الحقائق بالتزامِ السعيِ إلى إقامةِ دولةٍ مسيحيَّةٍ صريحة؟

ترتبط الإجابة في بعض النواحي بالمناقشة التي أجْرَيْناها للتوّ، ومن ثَمَّ ستكون أكثر إيجازًا من الأمثلة السابقة. علينا الانتباه إلى القصَّة الكاملة، وليس فقط إلى الأجزاء التي تلائم أجندتَنا أو ميولنا. هدف الخليقة هو ملكوت الله. لكنْ لم تكنْ إسرائيل نموذجًا، بل كانت رمزًا، صورةً تشير إلى الأمر الحقيقيّ. عندما يُدشَّن الملكوت في الحقيقة، فهو صغيرٌ بل حتَّى غير مرئيّ (مرقس ٤: ٣٠- ٣٢). وبهذا فإنَّ المرموزَ إليه يشبه هذا الرمز، أي إسرائيل، التي لم تكُنْ أكبر الأمم ولا أقواها عندما اختارها الله (تثنية ٧: ٧). لكنْ توجَدُ طرقٌ مهمَّةٌ لا يكون فيها الملكوت مثل الرمز الذي سبقه. إنَّ الملكوت المدشَّن هو ملكوتٌ روحيّ، لا تحدُّه الحدودُ السياسيَّة، بل بالأحرى الحكم الروحيّ، الحكم المخلِّص لله.

9Marks Online PDF

كيف ترتبط الكنيسة بقصَّة الملكوت تلك؟ الكنيسة مدعوَّة لتكونَ شاهدًا على هذا الخلاص، لكنَّها ليسَتْ مطابِقةً للملكوت نفسه؛ لأنَّ ثمَّة أمورًا عدَّة مُدرَجة في الملكوت هي ليسَتْ جزءًا من الكنيسة (مثلًا، قدِّيسو العهد القديم والملائكة المختارون). بل تنظر الكنيسة في رجاءٍ إلى عودة الملك، عندما يؤسِّس ملكوته بقوَّة وعلى نحوٍ مرئيّ. في تلك الأثناء، حياتنا في الملكوت مخفيَّةٌ محجوبة، تمامًا كما كان المسيح الملك في تجسُّده. يؤسِّس الله سلطةً سياسيَّةً أرضيَّةً تكونُ موَقَّتةً محدودة، لكنَّها تكونُ مشروعةً أيضًا (رومية ١٣). أسَّسَ الله مجالاتٍ منفصلةً من السُّلطة والمسؤوليَّة حتَّى عودة الملك. في أثناء ذلك الوقت ما بين مجيئَيهِ الأوَّل والثاني، تُناطُ السُّلطة الروحيَّة في الوعظ من كلمة الملك. لكنْ مثلما كان إبراهيم الذي كانت لديه وعودٌ لكنَّه تطلَّع فقط إلى مملكة إسرائيل، تعيش الكنيسة أيضًا غريبةً نزيلةً في هذا العالم. لدينا الوعد، ونحن ننتظر مجيء الملكوت في مجده. غير أنَّنا لن نظلَّ حُجَّاجًا إلى الأبد، وسيأتي اليوم الذي يعود فيه المسيح، وتخضعُ كلُّ سُلطةٍ له، ويعلن جَهارًا أنَّه ملكٌ وربّ (رؤيا ١١).

يجب على الكنيسة من جهةٍ مقاومةُ إغراءِ الإفراط في إدراك الأُخرويَّات. ليس من شأننا أن نقرِّر متى ينتهي حبسُنا بوصفنا حُجَّاجًا، كما لو أنَّ إنشاءَ دولةٍ مسيحيَّةٍ سيحقِّق ذلك. من ناحيةٍ أخرى، لا ينبغي للكنيسة أن تعيشَ كما لو أنَّ هذا العالم غير مهمّ. يجب أن تكون أعمالنا الصالحة واضحةً للجميع. لكنَّ رسالتَنا في النهاية ليسَتْ تجديدَ الثقافة، بل خلاص النفوس. ليسَتْ حربُنا حربًا ثقافيَّة، بل هي حربٌ روحيَّة في مواجهة قوى الشرِّ الروحيِّة في السماويَّات. وليس رجاؤنا في الإمساك بمقاليد السُّلطة السياسيَّة، بل في سيادةِ ملك الملوك وربِّ الأرباب، الذي يملك الآن في يمين عرش الله. في هذه الأثناء، "...ليس لنا هنا مدينةٌ باقيَةٌ، لكنَّنا نَطلُبُ العَتيدَةَ" (عبرانيِّين ١٣: ١٤).

الخلاصة

ضربتُ بعض الأمثلة على الكيفيَّة التي يُشكِّلُ بها اللاهوتُ الكتابيُّ نهجَنا تُجاهَ فئاتٍ عدَّة من الخدمة. قد لا توافق على بعضٍ من استنتاجاتي وتطبيقاتي، لكنَّ ما أرجو أن تراه هو أنَّنا لا نستطيع البدء بتناوُل موضوعاتٍ كهذه وغيرها الكثير، دون لاهوتٍ كتابيّ.

9Marks Online PDF

الأمر متروكٌ لك تمامًا لتتولَّى الأمر من هنا. ماذا لدى اللاهوتِ الكتابيِّ ليقولَه لك من جهة أسلوبك في خدمة الأطفال، والتعليم المسيحيِّ عمومًا؟ كيف سيؤثِّر ذلك في طريقةِ تفكيرك في الموسيقا في الكنيسة؟ ماذا يعني ذلك للطريقة التي تعلِّمها عن العمل واختيار المهن؟ كيف سيؤثِّر ذلك في خُطَطك الخاصَّة بتجديد مبنى كنيستك أو توسيعه؟ إذا كان ما قلتُه عن اللاهوت الكتابيِّ صحيحًا، وأنا مقتنعٌ بأنَّه صحيح، فإنَّ فيه أمورًا مفيدةً ليقولها في كلِّ هذه المجالات. اللاهوت الكتابيُّ هو اللاهوت التي تطبِّقه بينما تخدم كنيستك.

9Marks Online PDF

الخاتمة

عندما تنتهي بعد لحظات من قراءة هذا الكتاب، ربَّما لن تعيدَ التفكير كلِّيًّا في مجال الخدمة. بل قد تذهب إلى اجتماع للتحدُّث بشأن موازنة العام المقبل أو للتخطيط لخدمة الأحد المقبل. أو ستتناول الغداء مع عضوٍ جديدٍ يريد أن يكون فاعلًا، أو مع شمَّاسٍ قديمٍ يهتمُّ ببعض التغييرات التي أجريتَها في الأوقات القليلة الماضية. في ذلك الاجتماع، أو بينما تجلس إلى مائدة ذلك الغداء، ستحتاج إلى اتِّخاذ قراراتٍ ملموسةٍ ومقترحاتٍ عمليَّة. ستحتاج إلى المنظور والفطنة. والأهمُّ أنَّك ستحتاج إلى رؤيةٍ وإحساسٍ واضحٍ بالمكان الذي يقود فيه الله كنيستك أو خدمتك، وكيفيَّة التعامل مع القضيَّة المطروحة، كبيرةً كانت أم صغيرة، لتكون ملائمةً لكم.

هذا هو المكان الذي يؤتي فيه اللاهوت الكتابيُّ ثمارَه حقًّا، لكنْ ليس بالطريقة التي تفعلُها معظم الأدوات العمليَّة. إنَّه لا يعطيك طريقةً أو برنامجًا، ولا يحدِّد الخطوات العشر لبناء كنيسة أكبر وأفضل، ولا يخبرك بكيفيَّة اختيار الأشخاص المناسبين ليصعدوا إلى متن الحافلة (بينما تمضي قُدُمًا)، وإبقاءِ غير المناسبين خارجها. غير أنَّه يمنحك أمرًا أفضل: يمنحك رؤيةً- رؤيةً لاهوتيَّةً على وجه الدقَّة.

كما رأينا، يعطيك اللاهوتُ الكتابيُّ ليس فقط قصَّة الكتاب المقدَّس، بل يضعُ قصَّتك في سياقِ قصَّة الله. إنَّه يغمرُك في قصَّته، والتي اتَّضح أنَّها أكثر من مجرَّد قصَّةٍ عن التاريخ الماضي والتاريخ المستقبليّ؛ إذِ اتَّضح أنَّها قصَّة الحاضر أيضًا. وكما قال ريتشارد لينتس، وأحسن القَول: عندما نفهم اللاهوت الكتابيَّ بهذه الطريقة، نكتشف أنَّ "أسفار الكتاب المقدَّس هي... المترجمُ الأساسيُّ

9Marks Online PDF

للعصر الحاليّ".[1] ويُنتِجُ اللاهوتُ الكتابيُّ بالوسائل التي ناقَشْناها هنا رؤيةً لاهوتيَّةً للخدمة في العصر الحاليّ.

وبوجود مثل هذه الرؤية، نحن في وضعٍ يمكِّننا من تطبيقِ الجانبِ العمليِّ للَّاهوت، وتطبيقِ حقِّ قصَّة الله على تفاصيل حياتنا وحياة مَن نخدمهم.

ويشمل هذا أشخاصًا مثل صديقِ زميلي الشَّيخ، الذين بدأتْ قصَّتُه هذا الكتاب. لقد تعلَّم خطأً أنَّ سفر التثنية ٢٨ يعني أنَّ الله قصدَ أن يعطيَه الآن أفضلَ حياة- التي تُعرَّف أنَّها حياةُ الوفرة المادِّيَّة- إذا كان عنده إيمان. الآن بعد أن قرأتَ هذا الكتاب، كيف ستردُّ عليه؟ أرجو ألَّا تأخذ كتابك المقدَّس وتقتبس له ١بطرس ٤: ١٢، كما لو أنَّ استخدام نصٍّ كتابيٍّ لإثبات الحجَّة سينُهي المسألة.

بدل ذلك، أرجو أن ترى أنَّ ما حدث ليس مجرَّد سوءِ قراءةٍ للأصحاح، بل هو سوءُ فهمٍ لقصَّة الكتاب المقدَّس كلِّها، ومن ثَمَّ سوء تفسيرٍ لقصَّة حياته هو. قبل أن يطبِّق سفر التثنية ٢٨ و١بطرس ٤ تطبيقًا صحيحًا، يجب أن يُعادَ ترتيبُ منظوره إلى العالم، ويُعادَ توجيهُ رؤيته اللاهوتيَّة. عليه أن يفهمَ أنَّ صورة سفر التثنية ٢٨ كانت أشبَه برسمٍ كرتونيٍّ مقارنةً بالواقع الذي خطَّطه الله في النهاية لشعبه في السماء الجديدة والأرض الجديدة. عليه أن يفهمَ أنَّ الله يقصدُ الأفضلَ لحياته، لكنْ في العالم الساقط، لا يأتي المجد إلَّا بالألم، ولا تأتي الحياة إلَّا بالموت. عليه أن يعرفَ أنَّ الثروةَ التي يقصد الله منحَها له ليسَتْ في النهاية ثروةَ هذا العالم، بل ثروةُ الشركة غير المنقطعة مع الله نفسه بواسطة الاتِّحاد بالمسيح. عليه أيضًا أن يعرفَ أنَّ قيمةَ هذا الميراث تظهرُ بواسطة إيماننا في خِضَمِّ تَيهاننا الحاليِّ في البرِّيَّة. هذا هو عملُ اللاهوتِ الكتابيِّ واللاهوتِ النظاميِّ الذي ينتُج منهما. وهذا في الواقع ما قاله له زميلي الشيخ.

غير أنَّه لم يعلِّم صديقَه فقط أن يُبقي عينَيه مركَّزتَين على المسيح مهما كانت أحواله، بل أبقى الشيخ نفسه عينَيه مركِّزة أيضًا. ولأنَّ حياةَ هذا الشيخ تتشكَّل أيضًا بالقصَّة الكتابيَّة، فقد فهمَ أنَّ كنزَه الحقيقيَّ وميراثَه النهائيَّ، ومن ثَمَّ رجاءَه الأبديَّ هو في السماء، وليس على الأرض. وهكذا،

1) Richard Lints, *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993), 312.

9Marks Online PDF

لا يرتبط بالقصَّةِ الكاذبة لهذا العالم أنَّ الثروة تعني الأمان، فقد سحبَ حرفيًّا بسخاءٍ في مدَّخراته الأرضيَّة "كنزه الدنيويّ"، وقدَّم مساعدةً مادِّيَّةً لصديقه العاطل من العمل.

هذه هي الرؤية التي نحتاج إليها للخدمة، لكنَّنا لا نحصل عليها دفعةً واحدة، ولا تأتي من قراءة كتابٍ واحدٍ فقط. تنشأ الرؤية التي أتحدَّث بشأنها من القراءة المتكرِّرة بصبرٍ للكتاب المقدَّس كلِّه مع ملاحظة النصّ. وسيعني ذلك إجراء بعض التعديلات على الطريقة التي تقرأ بها الكتاب المقدَّس وتدرسه، وفي الوقت الذي تخصِّصه للتأمُّل، وفي مقدار الوقت الذي تخصِّصه لإعداد العظة. سيعني ذلك تغييرَ عاداتك الذهنيَّة عندما تواجه مشكلاتٍ وتحدِّياتٍ في الخدمة. قبل البحث عن حلٍّ عمليّ، ستصرُّ على وضْعِ الأمور في سياقٍ لاهوتيّ.

كما فكَّرْنا سابقًا، فإنَّ تخصُّصَ اللاهوتِ الكتابيِّ هو طريقةٌ لقراءة الكتاب المقدَّس، وهو استراتيجيَّةٌ تفسيريَّةٌ ترفضُ تحويلَ قصَّة الله إلى كتابِ إجاباتٍ صغيرٍ في الحياة، لكنَّها تعترف بها على أنَّها القصَّة الكبرى التي تمنحُ معنًى لقصصنا. ويعني هذا أنَّ الرؤيةَ التي نحتاج إليها تأتي ليس من جلسات العصف الذهنيِّ أو العمليَّات المدفوعة النَّهج، بل من عادةِ الصلاة المستمرَّة للذِّهن التي ترفضُ أن تفهمَ اليوم وَفقًا لشروط السرديَّات الثقافيَّة المتداوَلة رواياتِ التقدُّم والعِرقِ والتكديس مثلًا. بدلَ ذلك، يجري تعريفها اليوم في ضَوء القصة الكتابيَّة. هذه القصَّة تحدِّد على نحوٍ متزايدٍ مَن نكون، ومن أين أتَينا، وإلى أين نحن ذاهبون. ونتيجةً لذلك، تخبرنا تلك القصَّة بما يجب اليوم أن نفعله ونفكِّر فيه ونشعر به.

في المرَّة المقبِلة التي تذهب فيها إلى اجتماعِ تخطيطٍ أو غداءٍ بغرض التلمذة، أرجو أن تمسكَ بكتابك المقدَّس- ليس من أجل التأمُّل الافتتاحيِّ أو اقتباس نصوص لإثبات الحجَج، بل من أجل الرؤية التي تحتاج إليها لتوجيه نفسك وخدمتك إلى العمل الذي يقوم به الله في هذا العالم بواسطة المسيح. كما قلت، هذه الرؤية لا تأتي كلُّها دفعةً واحدة، بل بنعمة الله تأتي، وهي تُغيِّر كلَّ شيء.

اللاهوت الكتابيُّ لاهوتٌ مفيدٌ حقًّا، وهو اللاهوت العمليُّ حقًّا. لذا التقطْ كتابك المقدَّس ولننطلِقْ في العمل.

9Marks Online PDF

قراءاتٌ إضافيّةٌ باللغة الإنجليزيّة

إضافةً إلى الكتب الموصى بها في مقدِّمة الكتاب، ستساعدك المراجع الآتية على استكشاف موضوعاتِ الفصول المختارة استكشافًا أكبر.

الفصل الأوَّل

Beynon, Nigel, and Andrew Sach. *Dig Deeper: Tools to Unearth the Bible's Treasure*. Wheaton, IL: Crossway, 2010.

Carson, D. A., *Exegetical Fallacies*, 2nd ed. Grand Rapids: Baker, 1996.

يلفتُ نظرَك إلى أساليبَ عدَّة يمكن بها إساءة قراءة النصّ، ويعطي بعض التلميحات المفيدة لتجنُّب تلك الأخطاء.

Fee, Gordon D., and Douglas Stuart. *How to Read the Bible for All It's Worth*, 3rd ed. Grand Rapids, MI: Zondervan, 2003.

رغم أنِّي لا أتَّفق بشدَّةٍ على مواقف المساواة المتَّخذة في هذا الكتاب، فإنَّك لن تجدَ مقدِّمة أفضل وأسهلَ إلى التفسير التحقيقيِّ للكتاب المقدَّس (وَفقَ الترجمة الإنجليزيَّة).

9Marks Online PDF

الفصل الثاني

Goldsworthy, Graeme. *According to Plan: The Unfolding Revelation of God in the Bible.* Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2002.

يتَّخذُ هذا الكتاب نهج " إنجيله وملكوته" ويطبِّقه في كلِّ الأسفار المقدَّسة.

Robertson, O. Palmer. *The Christ of the Covenants. Phillipsburg*, NJ: P&R, 1981.

رغم أنِّي لا أتَّفق مع بعضِ استنتاجاته في تعليم المعموديَّة، فإنِّي لم أشهَد مقدِّمةً أفضلَ منه إلى العهود عمومًا.

الفصل الثالث

Baker, David. *Two Testaments, One Bible: a Study of the Theological Relationship between the Old and New Testaments*, rev ed. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1991.

مقدِّمةٌ شاملة.

Clowney, Edmund P. *The Unfolding Mystery: Discovering Christ in the Old Testament.* Philipsburg, NJ: P&R, 1991.

يوفِّر تعليماتٍ عمليَّةً واضحةً للقساوسة ومعلِّمي الكتاب المقدَّس.

الفصل الرابع

Lints, Richard. *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993.

من بين أمور عدَّة، يوضحُ هذا الكتاب كثيرًا العلاقةَ ما بين اللاهوتِ الكتابيِّ واللاهوت النظاميّ.

Wells, David. *The Courage to Be Protestant. Truth-lovers, Marketers, and Emergents in the Postmodern World*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008.

يتناوَلُ مسألة ضرورةِ الحقِّ العقائديِّ للأمانةِ الإنجيليَّة.

9Marks Online PDF

الفصل الخامس

Frame, John. *Salvation Belongs to the Lord: An Introduction to Systematic Theology*. Phillipsburg, NJ: P&R, 2006.

يحدِّد بوضوحٍ وجهات النظر المختلفة للمعرفة العقائديَّة. متخصِّصٌ نوعًا ما، لكنَّه يستحق الجهد المبذول في الاطِّلاع عليه.

Lints, Richard. *The Fabric of Theology: A Prolegomenon to Evangelical Theology*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1993.

إنَّ استكشافَ هذا الكتاب لمسار التأمُّل اللاهوتيِّ يستحقُّ اقتناءَه.

الفصول من السادس حتَّى العاشر

من الأمثلة الأخرى على اللاهوت الكتابيِّ على المستويَين الراعويِّ والأكاديميّ:

Beale, G. K. *The Temple and the Church's Mission: A Biblical Theology of the Dwelling Place of God*. New Studies in Biblical Theology. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2004.

Hamilton, James M. *The Center of Biblical Theology: The Glory of God in Salvation Through Judgment*. Wheaton, IL: Crossway, 2010.

Roberts, Vaughn. *Life's Big Questions: Six Major Themes Traced Through the Bible*. London: Inter-Varsity, 2004.

الفصل الحادي عشر

Clowney, Edmund P. *The Unfolding Mystery: Discovering Christ in the Old Testament*. Philipsburg, NJ: P&R, 1991.

Goldsworthy, Graeme. *Preaching the Whole Bible as Christian Scripture*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2000.

يشاركُ بعضًا من الأرضيَّة مع هذا الكتاب، لكنَّه يكرِّسُ نصفَه الثاني للتَّطبيق العمليِّ للوعظ من كلِّ الأنواع الأدبيَّة.

9Marks Online PDF

الفصل الثاني عشر

عن المشورة:

Powlison, David. *Seeing with New Eyes. Counseling and the Human Condition Through the Lens of Scripture*. Resources for Changing Lives. Phillipsburg, NJ: P&R, 2003.

مقدِّمةٌ ممتازةٌ إلى التفكير في المشورة في ضَوء إطارِ عملِ الكتاب المقدَّس.

عن الإرساليَّات:

Bavinck, J. H. An *Introduction to the Science of Missions*. Trans. David H. Freeman. Phillipsburg, NJ: P&R, 1992.

يجمع ما بين رسالتَيْ "تعالَ وانظُرْ" و"اذهبْ وأخبِرْ" في الكتاب المقدَّس من خلال عدسة يوم الخمسين.

9Marks Online PDF

هل تنعم كنيستك بالصحَّة؟

تهدفُ هيئة «9Marks» لتزويد قادة الكنائس بمصادر كتابيّة وعمليَّة، لإظهار مجد الله للأمم من خلال الكنائس الصحيحة.

من أجل هذا الهدف نريد أن نساعد الكنائس على النموِّ في العلامات التسع للصحَّة والتي كثيرًا ما يتمُّ إغفالها:

١- الوعظ التفسيريّ
٢- اللاهوت الكتابيّ
٣- الفهم الكتابيّ لبشارة الإنجيل
٤- الفهم الكتابيّ للاهتداء
٥- الفهم الكتابيّ للكرازة
٦- العضويَّة الكنسيَّة
٧- التأديب الكنسيّ الكتابيّ
٨- التلمذة الكتابيَّة
- القيادة الكنسيَّة الكتابيّة

نكتبُ في «9Marks» مقالات، وكتبًا، وتقييمات لكتب، كما نُصدرُ مجلّةً إلكترونيَّة، وأيضًا نعقدُ مؤتمرات، ونقومُ بتسجيل مقابلاتٍ وننتج مصادر أخرى لتمكين الكنائس من إظهار مجد الله.

يمكنك زيارة موقعنا الإلكترونيِّ لتجد محتوىً بأكثر من ٣٠ لغة، كما يمكنك تسجيل دخولك على موقعنا لتحصل على مجلَّتنا الإلكترونيَّة المجانيَّة.

يمكنك أن تجد قائمة بمواقعنا الأخرى الخاصَّة بلغات مختلفة على هذا الرابط:

https://www.9marks.org/about/international-efforts/

www.9Marks.org

9Marks Online PDF

اللاهوت الكتابيُّ في حياة الكنيسة

يكشف الكتاب المقدَّس عن قصَّةٍ واحدةٍ موحَّدة على مرِّ تاريخ البشريَّة- قصَّة الفداء الإلهيّ. وانطلاقًا من هنا، يعمل هذ الكتاب على تتبُّع موضوعات رسالة الإنجيل لهذه القصَّة في مجمَل الكتاب المقدَّس، ما يُعيننا على بناء فهمٍ عمليٍّ لِما يفعله الله في عالمنا.

في هذا الكتاب، يقدِّم القسُّ مايكل لورانس دليلًا قيِّمًا للأدوات والمنظورات بهدف مساعدة الخدَّام والمؤمنين بالمسيح على النموِّ في فهْمِ قصَّة الفداء، مع تحديدِ موضعِنا ضمن تسلسُلِها.

أيًّا كان القسم الذي تبدأ بقراءته من بين الأقسام الأساسيَّة الثلاثة للكتاب، ستجد مبادئَ تستثيرُ التفكير، وأدواتٍ عمليَّةً لمساعدتك أنت وأعضاء كنيستك على المشاركة مشاركةً فاعلةً في القصَّة الإلهيَّة في زماننا الحاضر.

مايكل لورانس

الراعي المسؤول في "كنيسة هنسون المعمدانيَّة" في بورتلاند، أريغون. يحمل شهادة الدكتوراة في تاريخ الكنيسة من جامعة كامبردج، وشهادة الماجستير في اللاهوت من كلِّيَّة لاهوت غوردون-كونول، وشهادة البكالوريوس من جامعة ديوك. هو عضوٌ في مجلس هيئة "تحالف الإنجيل" (Gospel Coalition).

ISBN 979-8987-01-482-0
9 798987 014820

Jordan Baptist Publishing Ministry
خدمة النشر المعمدانيَّة الأردنيَّة

9Marks Online PDF